



سلسلة تراث كربلاء الثقافي (٧)

الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء

دراسات أدبية موسعة، تحليلات فكرية حول الأدب، نسب بيوتات كربلائية،
قضايا وحوادث تاريخية عديدة

السيد صادق آل طعمة

عضو جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين

الطبعة الأولى ١٣٨٨ - ١٩٦٨

الطبعة الثانية

الجزء الأول

قام بإعادة طبعها

شعبة التراث الثقافي والديني

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة



* 1 0 1 0 6 *

دينار 8500



الحركة الأدبية المعاصرة
في كربلاء

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

imamhussain-lib.com

البريد الإلكتروني: info@imamhussain-lib.com

سلسلة تراث كربلاء (٧)

الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء

دراسات أدبية موسعة، تحليلات فكرية حول الأدب، نسب بيوتات كربلائية،
قضايا وحوادث تاريخية عديدة

قدم له

سماحة حجة الإسلام السيد محمد جمال الدين الهاشمي
الأديب الكبير الأستاذ توفيق الفكيكي
الخطيب الشهير السيد مرتضى القزويني

الطبعة الأولى ١٣٨٨ - ١٩٦٨

السَّيِّدُ صَادِقُ آلِ طَمَّةَ
عضو جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين

المجلد الأول

قام بإعادة طبعها
شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

بسمه تعالى

مقدمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الحمد لله الذي رزقنا نعمة العلم والتعلم، وألهمنا الإيمان به وبكتبه وأنبيائه، وسهل لنا الاطلاع على تراث من سبقنا لنعتبر ونزداد علما، والصلاة على سيد الكائنات والمرشد الأول أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأخيار المنتجبين الأطهار.

وبعد:

دأب قسم الشؤون الفكرية بتتبع تراث أهل العلم والأدب لاسيما في كربلاء المقدسة، ووقف على جهودهم ونتائجهم فحرص على إيصال هذا العطاء العلمي وهذا النتاج الفكري إلى محبي الكلمة وعاشقي المعلومة ومتذوقي الثقافة، فكان مما قام به من جهد وما بذله من عطاء هو حصوله على الكتاب الموسوم (الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء) في جزئين، هذا الكتاب الذي يضم في طياته ما لذ وطاب من سيرة العلماء والأدباء والخطباء المؤمنين الذين رقدوا الساحة الأدبية بعطائهم، وسقوا الشريحة العلمية بمعين

علمهم، فصاروا بذلك نبراساً للمثقفين، وروضة للباحثين في مجال العلم والأدب، نعم: أن هذا الكتاب يطالعنا تارة بسيرة شاعر فيسلط الضوء على حياته وعلى شعره، وتارة أخرى بسيرة خطيب وهكذا، فلكي نحافظ على تراث هؤلاء الأماجد، ولكي نجعل سيرتهم حافزاً للشباب الباحث عن الأدب، ولكي نطلع الساحة الأدبية والعلمية على تراث أدياء كربلاء المقدسة أخذ قسم الشؤون الفكرية والمتمثل بشعبة التراث الثقافي والديني على عاتقه طبع هذا الكتاب القيم.



صورتني ثنيك عني
أنا أفنى وهي ذكرى
حيث تقضي سنة الموت
وكتابي في يد القراء
وهو تاريخ قضايا
الذي يسمو غلا في
بلد الإشراق والثورات

إنها رمز وجودي
لي على مر العهود
على من في الوجود
عنوان خلودي
أدب العصر الجديد
بلد السبط الشهيد
والمجد التليد

تقريض

أتحنفا شاعر كربلاء الكبير الأستاذ السيد مرتضى الوهاب بهذا التقريض
الرائع الذي تجلى به فن التأريخ الشعري بأسمى معانيه وأجلى مظاهره مؤرخاً
به صدور هذا الكتاب.

والأستاذ الوهاب قد انفرد بهذا الفن الجميل وفاق به شعراء التاريخ
المعاصرين.

وسفرُ جامع من كلِّ فنٍّ

بدا روض المعارف فيه وارق

يفيض نغمه أدباً مروقاً

وشعراً بالقوافي الغر رائق

أفاض "أبو ضياء" به علينا

فجاء لمقتني الآداب لائق

فخططه يراع فتى أديب

خطيب شاعر بالنظم فائق

حديث الشعر والشعراء صدقاً

فما ينييك عنه مثل واثق

وأبدع في البيان فأرخوه

ففي الأدب المعاصر نشر صادق

٢٠٨ - ٤٣٢ - ٧٤٥ - ١٣٨٥ هـ

كربلاء_ السيد مرتضى الوهاب

تصدير

بقلم العلامة

السيد محمد جمال الدين الهاشمي

العلامة الجليل حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد محمد جمال الهاشمي من فحول شعراء النجف الأشرف، ومن أعلام الفكر في وطننا الحبيب يشار إلى شخصيته اللامعة بالبنان، وقد شاء أن يغمرنا بفيض من ينبوع أدبه النابض، ورشحات من معين فكره الزاخر، بهذه الكلمة القيمة، فشكراً لسماحته، على تقديره العميق للمؤلف وكتابه.

بسم الله الرحمن الرحيم

-١-

هل الأدب يناقض الدين؟

لو ألقيت هذا السؤال عل شبابنا المتأدّب لرأيتّه يجيب عليه بقول واحد: - نعم... لأن الأدب في عقيدة الشباب تحرر وانطلاق من القيود، والدين مجموعة من الحدود والسدود تفرضه العقيدة وقيمه الإيمان بالدين وأحكامه، فبين الأدب والدين تضاد وتضارب ظاهر. ولذلك رأينا غالبية أدباء الشباب تبتعد عن الدين

وأجوائه.. تبعد عنه لتنتقل مع الأدب إلى الآفاق الواسعة الشاسعة.

إنّ هذه النظرة الكالحة إلى الدين ليست إلا السلاح الذي اخترعه "الجهاز الموجه" لمحاربة الإسلام ومعارفه، وكم لهذا الجهاز من أسلحة فاتكة يوجهها إلى قاعدة الدين وحصونه الشاخمة، وإلاّ فإنّ نظرة بسيطة إلى دستور الإسلام (القرآن الكريم) تفنده النظرية المجرمة.

فالقرآن - موسوعة أدبية تضم ساير المواضيع التي يتوخاها الأديب في دراساته للأدب ومواضيعه كما حققها المؤلفات الباحثة عن الجانب الأدبي في القرآن الكريم.

وإن من توجيهات الإسلام الثقافية دعوته إلى المعرفة بجميع ألوانها إلا ما يتصادم مع الإنسانية وانطلاقها في الحياة: (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد). كما وإن العصور تزخر بالمشاهير من الأدباء الملتزمين بحدود الدين وأحكامه الإلهية، فقد رأينا القادة من رجالات الإسلام يهتمون بالأدب ويحتفلون بالأدباء.

فهذا - ابن عباس - رضي الله عنه - على سمو منزلته في الإسلام والإيمان يستقبل (عمر بن أبي ربيعة) الشاعر المتحرر ويطلب منه أن يقرأ عليه ما استجد من شعره الماجن، فالدين في حقيقته ومعنويته لا يتصادم مع الأدب مهما كان لونه وأسلوبه - نعم: يقف الدين في وجه الطاقات الفاتكة بإنسانية الإنسان... يقف في وجهها ليوجهها إلى صالح الإنسانية ولو كانت تلك الطاقات - الأدب أو العلم.

-٢-

تاريخ علم الأدب يتشعب إلى مواضيع ثلاثة، فالفكرة الأدبية لها تاريخ خاص ينبغي للباحث أن يدرسها باستقلال ويبحث تطورها وتسلسلها في الظروف والأوضاع، والنتاج الأدبي بإطاره العام الشامل للموسيقى والسبك والأسلوب له تاريخه المتطور في العصور الأدبية، والشخصيات الأدبية لها تاريخها الزمني وخصائصها (السيكلوجية - والفيسلوجية) والبيئة والمحيط وغير ذلك من الحدود واللامكانية التي تؤطر الأديب وتحصر شخصيته.

وبما أن تاريخ الأدب عنوان عام يشمل المواضيع الثلاثة لذلك ينبغي للباحث عنه أن يدرس هذا التاريخ من حدوده الثلاثة.

وأكثر ما يستعمل عنوان تاريخ الأدب في الموضوع الثالث، فيراد من إطلاق تراجم الأدباء والبحث عن حدودهم الشخصية اللامكانية، وقلمما تجد في المؤلفات الباحثة عن تاريخ الأدب كتاباً يؤرخ الفكرة ويدرس النتاج الأدبي، وإنما تجد - ابن سلام والأصبهاني والثعالبي وابن خلكان والعماد - وغيرهم يؤرخون الشخصيات الأدبية ويسجلون الوقائع التي حدثت في زمانهم مع خبط طائفة قليلة أو كثيرة من نتاجهم الأدبي، بينما كان اللازم أن يهتموا بالفكرة الأدبية والنتاج فأهما يعيشان مع العصور الإنسانية.

نعم: اهتم أدباء العصر في بعض الحواضر الأدبية بدراسة الفكرة وبتقييم النتاج وجعلوا لهما تاريخاً خاصاً تلمس فيه تطورها عبر العصور الفكرية وتلك بادرة تبشر الحقل الأدبي بالنمو والازدهار، وتلمس هذه

الظاهرة في أدباء المهجر، وأدباء مصر، وأدباء لبنان، كما وتشتم رائحتها في بعض الآثار الأدبية في العراق ومنها هذا الكتاب الأدبي، والعراق تربة خصبة تتربى بها البذور إن وجدت لها مغزاً فيها، وبما إننا وجدنا أثر هذه الظاهرة في المنتوجات العراقية لذلك نرجو للعراق أن يسبق الحواضر العربية في إنتاج هذا النوع من أدب الحياة.

-٣-

الأستاذ السيد صادق آل طعمة - شاب ينتمي إلى أسرة عريقة لها مكانتها الدينية والاجتماعية في أوساط كربلاء، تربى هذا الشاب في محيط مضمخ بالمثل الروحية والقيم الدينية، فكبلاء كانت ولا تزال مهبط أرواح المؤمنين، ومنزل أحلامهم اللامتناهية، وها هي قوافل الحجاج تقطع الأماد البعيدة لتحج قبر الحسين عليه السلام ولتتجرد في روضته عن العالم المادي وأوضاعه، فقبر الإمام الحسين سلام الله عليه مطاف العقيدة الصادقة، ومعتكف الإيمان الخالص ولا غرو، أن يحج الإيمان لشهيد الخالد، وإن تطوف العقيدة حول إمامها الأقدس.

ولقد كان - آل طعمة - ولا زالوا من نقباء السادة الذين التزموا بسدانة هذه البقعة الطاهرة وبالاحتفاء بزوارها الأخيار، وكان هذا الالتزام امتيازاً روحياً وشرفاً اجتماعياً يرفعهم عن الوسط العام في مجتمع كربلاء، وهم على مختلف فروعهم وتفاوت مكانتهم الاجتماعية لا زالوا يرحبون بزوار الحسين عليه السلام ويقومون لهم بكل ما يحتاجونه بكل حفاوة واحترام.

والسيد صادق - آل طعمة - غصن من هذه الشجرة الطاهرة تضمخ وجوده بعطرها، وتشبعت نفسه بقداستها وروحانيتها.

فقد تلقى من وراثته وبيئته ومجتمعه ما جعله - أنموذجاً حياً - للعقيدة والشرف والسيادة ، وفي كربلاء تتلاقح العقيدة والمعرفة والبطولة الأدبية، فلا غرو: أن ينشأ (ابنها البار) هذا طافحاً بالدين والعقيدة والكرامة والأدب، وأن يبرز إلى المجتمعات بروحه الثائرة على الجهل والإلحاد، فيشارك في حفلاتها الأدبية خاصة الاحتفال السنوي التاريخي الذي تقيمه مدينة كربلاء ليلة ميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مساء ١٣ / رجب من كل عام، ويقاوم الحركات الهدامة كالموجة الشيوعية المخيفة التي اكتسحت العراق بعد عام (١٩٥٩) وغيرها من العواصف السياسية المدمرة، فلقد اثبت وجوده الأدبي والديني بمقاومة مبادئها وآرائها ولا زال يواصل نشاطه الأدبي والاجتماعي في المناسبات الأدبية الخاصة والعامة وصادر كتابه الرائع في ذكرى فقيد العلم والتقوى في كربلاء آية الله السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (قدس سره) في عام - ١٣٨١ هـ . .

-٤-

المؤلف الذي بين يدي تجربة أدبية يقوم بها المؤلف النشط محاولاً دمج الفكرة والوجود الأدبي في حياته الأدبية نفسه، وهي محاولة جريئة ينبغي أن نبارك المؤلف عليها، وهو وإن لم يكن يتوفق في بلوغ المقصد الذي حاول في دراساته، إلا أنه لم يبتعد عنه كثيراً، ففي مؤلفه يرسم لنا فكرة الأديب، كما

يخطط أجوائه الأدبية عند دراسته لحياة الأديب ونشأته الثقافية.

فالكتاب إذن من الآثار الأدبية التي تطوف حول دراسة تاريخ الأدب دراسة موضوعية، وقد تمكن أن يترجم لاثني عشر أديباً وهو جزء من سلسلة أجزاء ننتظر صدورها تبعاً لإنشاء الله.

كما وإنني أسأل الله تعالى أن يوفق المؤلف الأستاذ الشاعر الأديب السيد صادق آل طعمة في جهاده الأدبي، وأن يفتح على قلمه وأدبه أبواب المعرفة الحقيقية، وأن يخلق بروحه الشاعرة إلى الآفاق الساحرة ليزود المكتبة الأدبية بآثاره المستطرفة إنه وليّ التوفيق.

النجف الأشرف / محمد جمال الهاشمي

تحريراً في ١٤/١١/١٣٨٥

تقديم

بقلم الأستاذ: توفيق الفكيكي

تبرز شخصية الكاتب الألمعي والأديب المفكر الأستاذ الكبير توفيق الفكيكي بين أقطاب الفكر والأدب في العراق وفي موطن الضاد فيشار إليه بالبنان وهو صاحب المؤلفات القيمة ومنها كتابه الثمين - الراعي والرعية - الذي يعتبر جوهرة غالية في تراثنا العربي الفكري ومن دواعي الغبطة أن نعطر الصفحات الأولى من هذا الكتاب المتواضع بنفحات من عبقريته الفكرية فهذه مقدمته الرائعة التي تفضل - مشكوراً - فكلّله بها.

بسم الله الرحمن الرحيم

رزحت بلاد الرافدين في ظل الحكم التركي مدة أربعة قرون كانت حصيلتها أن فقدت كثيراً من تراثها الحضاري ، وبالرغم من همجية العنصر "الطوراني" واستبداد الحكام الأتراك فقد صمدت العروبة وقاومت بكل إباء وجبروت إزاء - الطواغيت الدخلاء - وأبت عليهم تزييف معادن العربية وجواهر لغتها وأدبها.

وكان القرآن العظيم هو الحصن المنيع لحفظ أصالة القومية العربية وصيانة لسانها القويم المبين من غزو السياسة "البربرية التركية".

ولما تفرعت عصابة - جون ترك - باتجاهها نحو - الطورانية - وسياسة -
 التتريك - بعد خلع السلطان عبد الحميد على يد حزب (الإتحاد والتّرقّي)
 وجدت لها بعض الدعاة من المرتزقة ومن طلاب المناصب والوظائف
 والوجاهة من العرب في أكثر أقطار العروبة ومن جعلتها أعالي - دجلة -
 وبخاصة - الوسط البغدادي - فتغلّلت اللغة التركية في المدارس والبيوت
 والدوائر ، وكادت بغداد تفقد مركزها الثقافي التاريخي لولا أن تتعهد الكوفة
 وجامعة النجف الأشرف وكربلاء المقدسة بتدعيم مقوّمات حياتها العربية
 ومواريتها القومية، وهذا غير خاف على العارفين ومؤرخي الأدب العربي في
 عصر الانحطاط وطوائف الملوك وقد أشار إلى هذه الحقيقة شاعرنا، الفحل
 المرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزي ابن كربلاء البار فقال :

أمرء شعبك يا عراق حسبتهم بين الملا عربا وهم أتراك
 وقوله أيضا :

كنا نظن بأنهم عرب لم ندر قد نشئوا وهم ترك

وله في هذا الباب شعر كثير مشبوت في دواوينه الشعرية الكثيرة.

ومن مدن العراق وحواضره الكبرى التي احتضنت معاهد العلم
 والأدب والتصوف الإسلامي هي مدينة كربلاء المقدسة، وقد شرفها الله
 فصيرها مشهداً لرياحين ريحانة الوجود رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله
 وسلم وللصفوة من أهل اليقين والإيمان أصحاب سيد الشهداء الإمام الحسين
 بن علي عليهما السلام حتى جعلت تربتها مسجداً لكل مؤمن من أهل القبلة

الإسلامية، وهي لهذا أصبحت دار الهجرة لكثير من الأجناس المسلمة ومثوى لمن يحدوه الحب والشوق لمجاورة المراقد المباركة ما خلا قوافل الزوّار المتتالية في كل يوم ومن شتى ديار الإسلام، وهذا الشرف العظيم الذي تزدهي وتستطيل به أرض الطف قد حبت للمهاجرين الثواء في أرباضها حتى اندمج منهم بسكانها العرب بشتى الوسائل والمسببات كما وقع مثل ذلك في الوسط البغدادي وفي الجانب الشرقي منه خاصة من وراء المصاهرة مع الأتراك والأكراد.

وقد كادت كربلاء في العهد العثماني تذوب شخصيتها العربية لتغلب الرطانة في بعض أحيائها ومنازلها لولا الفحول من علمائها وأدبائها وشعرائها المبدعين اللامعين أمثال: المرحوم السيد نصر الله الحائري الفائزي والرحوم الشيخ محمد علي كمونة والرحوم الشيخ محسن أبو الحب الكبير والشيخ البارعين من آل الهر وهم قاسم وكاظم وجعفر وكالشاعرين الشهيرين المطبوعين الشيخ محمد حسن (أبو المحاسن) والشيخ عبد الحسين الحويزي وأضرابهم.

ومما يدل على جهد هؤلاء الجهابذة ومقام سدانتهم على التراث القومي في كربلاء هو قول المرحوم شاعر الفصحى الحويزي في قصيدته - غرباء في بلادنا.

نجحت بها الرؤساء حين تجنست

وبها استبانّت خيبة الأعراب

غرباء في الوطن العزيز تأهلت
سامت جميع العرب ذل رقاب

ومنها:

أضحت بشعب العرب "فارس" فارساً
للسبق مكن رجلها بركاب

وكان لبعض هؤلاء الأدباء الأقحاح الأثر الفعال في تحريك العزائم وتنشيط الهمم وإثارة العواطف في إشعال نار الثورة العراقية الكبرى في سنة ١٩٢٠ - ضد قوى الاحتلال الانجليزي وتحرير البلاد من العبودية الأجنبية، وقد قدم أمناء الأدب في لواء كربلاء للثورة الخالدة أروع الأمثلة وأجمل الألوان واصدق الشعر الحماسي في سبيل إشعال الثورة وخدمة أغراضها بعد القوة الدينية وفتاوى المجتهدين العظام فكان صوت الأدباء والشعراء، يتعالى في مواكب جهاد أساطين الفقهاء والعاملين الأبرار بقيادة زعيم الثورة الخالد آية الله المرحوم محمد تقي الشيرازي - رحمه الله - فجزاهم الله عن - الضاد - والإسلام خير الجزاء.

وإن أنس لا أنسى الأثر الكبير الفعال في الحركة الأدبية في تلك الفترة، ذلك الأثر المبارك الذي قام به السادات الأكابر (آل طعمة) من سدنة الأدب والعلم بالإضافة إلى ما يتحلون به من شرف الزعامة في خدمة الروضة الحسينية المقدسة منذ القرون الغابرة ومن أعلام (هذه الأسرة) الكريمة الذين

عايشتهم وتشرفت بصادقتهم هو العلامة الجليل والأديب الحصيف المرحوم الحاج السيد عبد الحسين (آل طعمة) كبير سدة الروضة الحسينية المشرفة المتوفى سنة "١٣٨٠ - ١٩٦٠" فلا زال لواء المجد معقوداً على هامات أعياصهم وفروعهم.

على أن تلك التيارات التركية حول ضفاف - دجلة - وكذلك مؤثرات قوافل الزائرين المجاورين لمراقد الشهداء لم تستطع بحمد الله التأثير أو البقاء في مناخ العروبة موطن الضاد فسرعان ما اندحرت وانصهرت لغة التنزيل الحكيم وإذابته بعد عشية وضحاها وذلك بفضل يقظة الشباب ونهضتهم ووعيهم، وقوة عزماتهم وشدة إقبالهم وإقدامهم على إحياء تراثهم المجيد العتيق، وهيامهم بحب الثقيف بالثقافة القديمة والحديثة ولا مشاحة ولا جدال، فان من درس تاريخ نهضات الأمم في المشرقين ووقف على أسرار وعلل ثورات الشعوب التاريخية الكبرى يجد بعد الفحص البصير إن نواة تلك النهضات الاجتماعية والعلمية والأدبية والثورات التحررية كانت قد تفجرت عن نواة حركة أدبية عارمة سبقت ومهدت للميلاد الجديد والحياة الخلاقة المتطورة.

وعليه فإن أساس التجديد والتطور في حياة الأمم وتقدمها وبعثها من سباتها العميق ودفعها إلى حلبات المجد والارتقاء هو ديوان أدبها الصادق وصرخات أدبائها القوية المدوية وثورة شعرائها الصاخبة العاتية.

أجل: إن الأساس هو صيحات الشعراء المجاهدين وكفاح كتابها المثقفين المخلصين، هذه هي الحقيقة التاريخية في تاريخ الإنسانية منذ فجر الحياة

البشرية، زارني السيد النسيب، والشاعر الأريب " الشَّهيد صادق السيد محمد رضا آل طعمة وتكرم بتقديم مؤلفه الفاخر وهو هذا الكتاب الممتع، بل ذخيرته النفيسة، وطلب إليّ متفضلاً أن أقدمه إلى القراء الألباب، وهو في غنى عن التقديم والتعريف والثناء والإطراء لما في أبوابه وفصوله من المحاسن والروائع، والغرر الشاذخة التي يتطلبها ويتحلى بها الأثر الأدبي والمطبوعات العربية في هذا العصر، ومع هذا فقد لبيت وامثلت.

قلت آنفاً إن تاريخ المجد الأدبي لمدينة أبي الشهداء الإمام الحسين عليه السلام تضيق به المجلدات والموسوعات. ويهمّنا من فصوله الزاهرة صفحاته الخالدة التي خلدها بعد عهد الانحطاط هؤلاء الأساتذة الكبار الذين وطّدوا الأسس المتينة، وقعدوا القواعد الرصينة، وشيّدوا الدعائم القويمة، لمن جاء بعدهم من الجيل الطالع الصاعد وكان هذا الجيل الجديد الواعي المتفتّح - والحقّ يقال - (خير خلف لخير سلف).

فالحركة الأدبية المعاصرة التي ينطق بحقائقها هذا الكتاب الذي ضم بين دفتيه شتى الزهر المتأرجح، وأينع الثمر الناضج، وأطيب شعر شعرائها النابحين، الذين أسهب المؤلف الفاضل وأطال الأطناب في الإطناب^(١) على طول باعهم وتفوقهم في النظم والنثر وقد لمحت من خلال مطالعاتي صفحات الكتاب ما ينعش الروح، ويهز القلب، ويبسط فسحة الأمل بالمستقبل الموعود

١- الأطناب - الأولى بالفتح جمع: طنّب. وهو حبل الخيمة. والثاني بالكسر وهو ضد الإيجاز

لازدهار مجاني أدب للشباب الغضّ الصادق، النابض بالحياة التقدمية المؤمنة بالعروبة والإسلام وهي المرجوة لإعادة المجد الأدبي الباذخ الذي شيد صرحه الشامخ ورفعته أيدي الميامين من نبغاء كربلاء المشرفة.

وقد سرني ما لمست في - المؤلف - من طموح مبكر. وفكر متوثب، وقلب ملتهب بحرارة العقيدة، ونفس مطمئنة بالإيمان وبرد اليقين، وقدرة على التعبير الفصيح.

كما سرني هذه البواكر الشعرية المفتحة الأكمام، التي سيسطع غيرها الفواح في رياض الأدب العربي فستثمر ثمارها الشهية، وتجنّي جناها المستطاب طلائع الجبل الطالع إن شاء الله تعالى، وأرى بل أرجو لهذه الطلائع الرشيدة الرائدة الأفضاذ في السير في طرق الكمال الوعرة المتشعبة، والتزود من مناهل المعرفة و اللغة والأدب القديم والحديث والاعتراف من جداول الفنون العصرية وغدرانها الرقاقة العذبة السائغة، وذلك لتكثر مفاخرهم وتعظم مآثرهم في ميادين الأدب العامر البناء، الخلاق المخترع، غير مقيد بالقيود والجمود، ومنطلق من أسر التقليد والمحاكاة ويمتاز بروح تقدمية متساوقة مع أساليب الحضارة العصرية مع المحافظة على أصول اللغة وقواعدها المتيسرة، وبذلك نكون قد خلعنا عنه أثوابه العتيقة البالية. وأكفان الرجعية الأدبية البغيضة ولكن بشرط أن يبقى - شرقي الهوى عربي الروح - غربي الإبداع والتصوير في المعاني الأ Bakar.

وبعدُ فإنّ الجهد المشكور الذي بذله الأستاذ الأديب - المؤلف - في خدمة

(الحركة الأدبية المعاصرة) في مدينة أبي الشهداء وسيّد الأبطال الإمام الحسين عليه السلام عليه وعلى أصحابه الكرام أفضل الصلاة والسلام.... في تأليف هذا الكتاب المفيد، والناطق بفضله وأدبه. والشاهد على فواضله وصفاء روحه الطيبة.



ولا أريد أن أختم كلمتي قبل أن أشير إلى ما لفت نظري من الشعر والنثر، ففي شعر الأديب السيد مرتضى الوهاب جاء قوله: _
والعابد صار عدو الدين وللدينار تعبده
وأحل الشرع ربا الأموال وكان حراماً مورده

فهذا التنديد بالعلماء الأدعياء المزيفين قد أجاد فيه حضرة الشاعر، بيد انه أبهم التعبير على القارئ في البيت الثاني وليس كل قارئ قد أتقن الاستعارة والمجاز وفن المعاني والبيان فهو قد جعل - الشرع الشريف - بمقام العالم المزيف الدعي الذي أحل الربا للناس وكان معبوده الدينار في الحياة. وهذا التركيب يجعل القارئ يعتقد أن - الشرع - قد أحل - الربا - وهذه تهمة ينكرها دين الإسلام الحنيف وشريعته الغراء. وأرجح أن يعيد الشاعر اللبيب نظره في صياغة البيت وان كان محمولاً على لسان العالم الفاسق.

والأمر الثاني الذي لفت نظري هو تعبير الأستاذ المؤلف في مقدمة ترجمة - الدكتور صالح جواد آل طعمة - فقال: _

"لأن الفكر كلما كان ناضجاً، والعقل كلما اتسم بمستوى الكمال"

والعبقريّة كلما حلت في رؤوس المفكرين... كلّما كانت البشريّة أكثر تقدماً... الخ".

فترى أنّ حضرته قد استعمل لفظة (كلّما) أكثر من مرة في جملة أو جملتين وكان بإمكانه أن يكتفي بـ(كلّما) الأولى: لأنّ لفظ - كلّما - من خاصيّة التكرير والإعادة فلا يجوز تكرارها في الجملة. وفي القرآن الكريم وكلام العرب شواهد كثيرة على ذلك منها قوله تعالى:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، الآية.

فلم يكرر - كلما - بعد كلمة المحراب. وقوله تعالى أيضاً: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، الآية.

ولم ينفرد جناب المؤلّف بهذا الاستعمال الخاطئ، بل جرى على أسلّات أقلام الكثيرين من كتاب العصر المعروفين وقد لفتنا نظر بعضهم من حملة - الدكتوراه - في الأدب العربي.

والخلاصة: فأني لأرجو أن يكون هذا الأثر الأدبي النافع محفزاً للشباب الباحثين في الأدب العراقي المعاصر كما أرجو لحضرة المؤلّف الفاضل مزيد التوفيق والتسديد ليمد بقلمه الفياض وشاعريته الدافقة دنيا الأدب الحي والأوساط الأدبية وأوطان الضاد بكل جديد طريف. والله أسأل أن يزيد في توفيقه وتسديده انه بالإجابة جدير.

بغداد: الأعظميّة/ توفيق الفكيكي تحريراً في يوم

الاثنين ٢٢/شوال ١٣٨٥هـ. ١٤/٣/١٩٦٦)

كلمة

بقلم الخطيب الشهير فضيلة

الحاج السيد مرتضى القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
الطاهرين.

إن لكربلاء المقدسة منزلة عظيمة في نفوس المسلمين وغيرهم فهي محط
أنظار الأمة، ومعقد آمالها، لأنها ضمت رفات سيد الشهداء وأبي الأحرار
وقائد الثوار الإمام السبط الحسين صلوات الله عليه.

ولقد نمت هذه المدينة وترعرعت خلال عشرات القرون منذ فاجعة
الطف إلى يومنا هذا وأثمرت تربتها الطاهرة خير الثمار من فطاحل العلم
وجهابذة الأدب ورجال الجهاد المقدس، فكانت لهم آثار خالدة في التاريخ
وصفحات بيضاء تنم عن طاقات هائلة وثروات علمية وأدبية زاخرة.

وقد تصدى الكثيرون لتدوين هذه الآثار والمآثر، فمنهم من كتب عن

تاريخ كربلاء وعمرانها والتطورات التي مرت بالحائر الشريف^(١). ومنهم من كتب عن البيوتات الأدبية والأسر العلمية فيها^(٢). ومنهم من دون الحوادث التاريخية والواقع التي شهدتها هذه المدينة عبر القرون قديماً وحديثاً منها - ثورة العشرين - على الأخص.

حتى قيض الله كذلك أحد أبناء كربلاء البررة ليتصدى للبحث والتنقيب عن مآثر هذه البلدة المقدسة فيخرج إلى المجتمع هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم باسم [الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء] وهو حصيلة جهود مضنية، ومساع مشكورة بذلها مؤلفه الفاضل أخونا الشريف المنيف، الحسيب النسيب، الشاعر الأديب اللامع السيد صادق نجل سيدنا الجليل الورع الكامل الحاج السيد محمد رضا آل طعمة الموسوي المنتهى نسبه العريق إلى سيدنا الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه.

وقد نهض من زمن ليس بالقصير باحثاً ومنقّباً، يتحرى الأخبار ويجمع تراجم الأعلام، ويتتبع كل شاردة مما يتصل بموضوع الكتاب حتى أناف ما كتبه على ثلاثة مجلدات كبار هذا أولها، وسوف يقدم الجزء الثاني إلى الطبع

١- انظر - تاريخ كربلاء وحائر الحسين - للدكتور السيد عبد الجواد الكليدار آل طعمة وبغية النبلاء في تاريخ كربلاء - العلامة الباحثة السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة ومدينة الحسين - في ثلاثة أجزاء للسيد محمد حسن الكليدار آل طعمة وموسوعة العتبات المقدسة، وغيرها.

٢- انظر - البيوتات الأدبية في كربلاء - للأستاذ موسى الكرباسي. والبيوتات العلوية - للسيد الدين القزويني. وكربلاء في التاريخ - للمرحوم السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة وغيرها.

بإذن الله تعالى.

والكتاب كما تصفحت بعضه يستوعب التراجم، ويكاد يجسد للقارئ كل ما يتصدى لوصفه ونعته، ويمتاز بدقة التعبير وسلامة الألفاظ، ورصانة الأسلوب. وربما استطرد في تراجم بعض الأدباء إلى ذكر أعلام آخرين بالمناسبة، وتدوين الحوادث التي تتصل بالترجم لهم من قريب أو بعيد وهو مضاف إلى ما ذكر.. مجموعة تحتوي على غرر الشعر وعيون الأدب التي تفجرت من هذه الأرض الطاهرة الخصبة فسالت عذبة رقراقة على السنة أدبائها وشعرائها. وجرت بأقلام كتابها لتسقى طلاب الفكر والأدب والمعرفة. كما أنه يضم بين دفتيه سوائح تاريخية شهدها المؤلف بنفسه مما سوف نشير إليها.

وهو إلى جانب هذا لا يقتصر على ذكر النصوص وسرد القضايا فحسب، بل يتناول كل شخصية بالدرس والتحليل، ويلقى عليها أضواء من التمحيض والتدقيق، مما يزيد من عمق الكتاب وغزارته وأهميته الأدبية والتاريخية ويرفع من مستواه.

أما المؤلف

فهو غنى عن التعريف بانتمائه إلى أسرة من أجل الأسر العلوية العريقة في هذه المدينة المقدسة، وكان منذ الطفولة يتذوق الأدب ويتعاطاه نظماً وشعراً، وكان له مزيد رغبة في تلقى العلوم العربية وآدابها خاصة.

(١) - وقد صرف جهوداً طويلاً في مزاولة الخط العربي بل مختلف الخطوط على تعدد أنواعها حتى أصبح بفضل الله من مشاهير الخطاطين، وانك

لا تجد لوحة جميلة أو قطعة جذابة، أو خطأ حسناً، إلا وترى معظمها مزدانة بتوقيع الأستاذ الخطاط السيد صادق طعمة.

(٢) - كما أن مواهبه الأدبية لم تقتصر على النظم والنثر كتابة فحسب، بل تعدت ذلك إلى المقدرة الخطائية في الحفلات والمهرجانات والمناسبات العامة، في كربلاء حيث كان ولا يزال يساهم في معظمها بكل جرأة وجدارة، حتى تسنى له أن يكون (عريفاً وخطيباً) عدة سنوات في المهرجان السنوي العظيم الذي اعتادت كربلاء على إقامته في ليلة ١٣ رجب من كل عام بمناسبة ميلاد سيد الأوصياء الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

(٣) - وللمؤلف - إلى جانب ما ذكرنا عنه - مواقف صامدة إبان المد الشيوعي الأحمر الذي اجتاحت العراق على عهد الحكم القاسمي المقبور، وحيث كانت كربلاء قد انفردت عن كافة مدن العراق باستقامتها وصلابتها في مواجهة التحدي الشيوعي السافر بفضل الله تعالى وبجهود علمائها وأبنائها الغيارى فكان حينئذ للمؤلف صولات ومواقف مشهورة بقلمه ولسانه ويده وقد دون بعض تلك السوائح في ثنایا الكتاب بالمناسبة، ويجد القارئ الإشارة إلى ذلك خلال مطالعته لصفحاته.

إنني في الوقت الذي أهني نفسي وأبناء جلدتي - قبل تهنئة المؤلف الفاضل - بنشر هذه الدراسات القيمة، أرجو الله تعالى أن يأخذ بيده إلى ما يحب ويرضاه ويسدد خطاه انه ولي التوفيق، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كربلاء المقدسة في ١/ربيع الأول سنة ١٣٨٨هـ

مرتضى القزويني

كلمتي

عزيزي القارئ :

أنت الآن معي بروحك ومشاعرك وأحاسيسك..

أجل : أنت معي على صفحات هذا الكتاب المتواضع بداية ونهاية، ولا أخالك تجهل تاريخ كربلاء المقدسة ذات الكيان العظيم، الذي استطال بالشرف الرفيع وشارف آفاق السماء.

كربلاء الحافلة بعظمة المجد الإسلامي الزاهر الخالد، التي شرف أرضها الجرداء بإقدامه الطاهرة أبو الشهداء الإمام الثائر الحسين عليه السلام سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وشبل أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم وقف وقفته البطولية النادرة بنهضته الجبارة التي تحدى بها جيوش الكفر والغدر والخيانة، وكان مصرعه الأليم ومصارع الكرام من ذويه وأنصاره الأبرار (إيذاناً بفناء ملك - يزيد بن معاوية - العضوض ودولته الباطلة الفاسدة وإمبراطوريته الباغية العاتية و)إعلاناً للنصر الذي كتبه الله للإسلام باستشهاده في سبيله وقد نال بذلك أسمى مراتب المجد والخلود).

فلقد ضحى بكل غال ونفيس، وأدّى رسالته المقدسة، رسالة الآباء والشرف والحرية والكرامة والقيم الإنسانية التي كان هو معدن جوهرها النقي.

فهو شهيد الحق والعدالة والمثل العليا، وهذا مرقده الطاهر، المتأرجح بأشذاء العقيدة والإيمان ما زال منذ شهادته حتى آخر الأبد يزداد نوراً على نور - بإرادة الله - ينير الطريق بإشعاعاته القدسية وقبساته الروحية، ويكتسح الظلام. وهو خالد مع العصور والأجيال. خالد خلود الكون والحياة. وهو كذلك مهوى الأفئدة وملاذ النفوس ومنتجع العشاق والوالهين. ومطاف العقيدة والإيمان ومثوى ملائكة الله المقربين. يحجّه المسلمون بمختلف أجناسهم وقومياتهم في مشارق الأرض ومغاربها للتشرف بأعتابه المقدسة والتقرب إلى الله بالولاء له كما يحجون البيت الحرام فهو يقف في مصاف الكعبة المشرفة بقدسيته وروحانيته وعظمة مقامه.



أجل: أيها القارئ الكريم - هذه هي كربلاء، وهذه منزلتها العظيمة في نفوس العرب والمسلمين. وتاريخها المشرق المجيد يزخر بروعة التراث العلمي والأدبي قديماً وحديثاً. فهي مهد العلوم والآداب، وفيها تفجرت ينابيعها الثرة، وأينعت ثمارها الشهية.

وما الحركة الأدبية المعاصرة اليوم إلا امتداد للحركات الأدبية في عصورها الماضية. واستمداد منها. في ترابط جوهرى وتماسك روحي وثيق.

وما الأدباء والشعراء المعاصرون الذين تحتضنهم كربلاء إلا وهم الأبناء والأحفاد الذين ورثوا مواهبهم الأدبية من آبائهم وأجدادهم من الأدباء والشعراء الماضيين، وهم اليوم - بأدبهم الرفيع الموروث - يحملون مشاعل للفكر ينثرون بها الطريق للأجيال التي تتعاقب بعدهم على هذا الصعيد الطاهر وهم إذن - خير خلف لخير سلف.

ومن يتتبع تاريخ هذا البلد المقدس - العربي الأصيل - بروح العدل والإنصاف يتملكه الإعجاب ويقف إزاء صفحاته المشرقة بنور الفكر والعرفان موقف الإعجاب والإجلال والإكبار، ثم يؤمن من أعماق قلبه إيماناً راسخاً بأن هذه المدينة لم يكن حظها من الرقي أقل من حظ غيرها في ميادين الحركات الفكرية بل إنها كانت دائماً جنباً إلى جنب مع الحواضر العلمية والأدبية في العراق التي ساهمت في بناء صروح العلم والأدب الشامخة.

ولقد أنجبت كربلاء المئات من جهابذة العلم ومراجع الدين الإسلامي العظام والأدباء والشعراء النوابغ الذين هم في عداد العباقرة في التاريخ.

وخشية الإطالة والإسهاب نجعل حديثنا يقتصر على تاريخ الأدب في كربلاء وحسب. ونبدأ في ذلك بإيجاز من مطلع القرن الثالث عشر الهجري الذي هو "العصر الذهبي الزاهر" حيث بلغ الأدب فيه أوج مراتب السمو في هذه المدينة رغم ما شهدت منذ حلول هذا القرن من الفتن والاضطرابات السياسية إذ كانت كربلاء مسرحاً للحروب والحوادث الدامية لانتفاضاتها وثوراتها المتعاقبة ضد الحكم العثماني العسوف حتى كانت نهايتها "ثورة

العشرين" التي أشعلت "هي" نيرانها اللاهبة ضد جيوش الاحتلال البريطاني وقدمت الضحايا والشهداء من خيرة أبنائها ورجالاتها الأشاوس في سبيل عروبتها وكرامتها ومن أجل السيادة والاستقلال الوطني في جميع الحوادث التي وقعت وأهمها:

١- غارات الوهابين على كربلاء "١٢١٦-١٢٢٢".

٢- واقعة داود باشا أو - المناخور- سنة ١٢٤١ هـجـ.

٣- واقعة نجيب باشا سنة ١٢٥٨ هـجـ.

٤- واقعة حمزة بك سنة ١٣٣٣ هـجـ.

٥- ثورة العشرين ١٩٢٠.

مقومات الحركة الأدبية

والجدير بالذكر انه رغم وقوع الفواجع والمآسي التي شهدتها كربلاء منذ أوائل هذا القرن - الثالث عشر- فان الحركة الأدبية فيها كانت آخذة بالنمو والازدهار ولم يكن لذلك الجو السياسي المرعد القاتم أي تأثير عليها. ومن أهم مقومات هذه الحركة:

١- طبيعة هذا القرن الذي توفرت فيه إسهاب النهوض بالأدب إلى

المستوى الذي صح أن نعبر عنه بـ(العصر الذهبي)، في كربلاء.

٢- نبوغ العشرات من الشعراء الأفذاذ خلال هذا القرن.

٣- شعور هؤلاء الشعراء الذين كانت قرائحهم الوقادة تتفجر في وجه

الأعداء من الحكام العثمانيين والانجليز في معترك تلك الحوادث السياسية وكأنها قذائف النيران المحرقة.

٤- وجود دواوين سادات البلد وزعمائه ورؤسائه وشيوخه التي كانت تنوف على "٤٠" ديواناً حيث كانت هذه الدواوين في كربلاء مسرحاً لأفكار أولئك الأدباء والشعراء، ومنطلقاً لهم، ومرتعهم الخصب، الذي ساعد على نضج قابلياتهم والتهاب حماسهم وإبراز طاقاتهم الخلاقة إلى حيز الوجود.

لقد كان الأدب في القرن الثاني عشر الهجري قد بلغ مراتب عالية من السمو بوجود الشعراء الفحول الذين نبغوا فيه وكان في طليعتهم السيد نصر الله الحائري الفائزي مدرس الطف. إلا أنه كان أقل ازدهاراً من القرن الثالث عشر الهجري للأسباب التي تقدم ذكرها.



كانت تنعقد مجالس الشعراء الكربلايين والوافدين وندواتهم في الدواوين، وكانوا يتبارون فيها بمواهبهم الأدبية ومساجلاتهم الشعرية في صفاء من الفكر والعاطفة والشعور إلى جانب عقيدتهم الخالصة وقوة إيمانهم بدينهم الحنيف - الإسلام - ووعيتهم السياسي الذي لم تخمد جذوته، لان مدينة كربلاء كانت مبعث الوعي السياسي والوطني الجبار الذي كان يرعب الخصوم ويقطع دابر المعتدين، والحقيقة أن هذه الدواوين - المدارس والمعاهد، كما إنها للمدينة عزها وهيبته ومرآة شخصيتها، وهي التي نشأ أولئك الشعراء الخالدون في رحابها وترعرعوا في أحضانها وحلقوا في أجوائها - الفكرية

والأدبية .. وهم عدد كبير لا نستطيع أن نذكر أسماءهم في هذا الإيجاز ولو على سبيل المثال، وقد نبغ جلّهم في البيوتات الكربلائية العريقة مثل :

آل الوهاب - آل زيني^(١) - آل كمونة - آل الحميري - آل عواد - آل بدقت - آل أبي الحب - آل الهر - آل عويد - وغيرها.

وقد تركوا من مناهل عبقرياتهم الفكرية الزاخرة تراثاً أدبياً رائعاً ظلّ يتعطر بأشذائه تاريخ الأدب في كربلاء جيلاً بعد جيل.

ونستعرض الدواوين لنعطى لها صورة جديدة في موضوعيتها عن الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في كربلاء، ولنعكس أيضاً عروبة هذه المدينة الأصيلة التي تتمثل في بيوتاتها العلوية وغير العلوية، ولكي نخرج من ذلك بهذه الحقيقة :

إنّ كربلاء قد اتّجهت من عظماء الرجال ونوادير الشخصيات إلى جانب أعلام العلم والفكر والأدب الذين يعتز تاريخها بأمجادهم وتراثهم دائماً وأبداً، ولم تنجب أمثالهم أي مدينة في عراقنا الحبيب.

ولقد كانت كربلاء حتى العهد القريب من تاريخها الماضي المشرق مربض الأسود، وقلعة الثوار، وحصن الأبطال المغاوير وموطن الأحرار، ولا

١- آل زيني أسرة عريقة في كربلاء في السيادة والأدب ويمثلهم اليوم الوجيه السيد سعيد زيني، وهو من الذين قاوموا المبدأ الهدام عام ١٩٥٩ خاصة موقفه يوم ورد الإمام الحكيم إلى كربلاء يذكر بخير، وله مشاركة فعالة في احتفال كربلاء السنوي بميلاد الإمام علي عليه السلام .

غروا: فألها البلد العشائري الثائر العريق الذي لم يكن ليرضخ للنفوذ الأجنبي بأي شكل من أشكاله، لبطولاته وجهاده الطويل، وكفاحه المتواصل، وتضحياته الخالدة في مختلف عهوده وأدواره التاريخية.

وبهذه المناسبة نقول للذين دأبوا على الطعن بعروبة كربلاء بوحي من ضمائرهم: إن كربلاء بلد عربي يحتضن العشائر والبيوتات العربية العريقة إضافة إلى العشائر المحيطة به، وكلما يقال خلاف هذا الواقع إنما هو (هراء) يتمشّدق به منطق الجهل وينفث في ثناياه السموم بل - نكرة - من نكرات الحقد والزيف المكشوف في تخرصات المغرضين.

مع الدواوين أهمها وأبرزها

١- ديوان السادة الأجلاء - آل الشهرستاني - ويرجع تاريخ هذا الديوان إلى عهد المرحوم الورع التقي سيد المجتهدين آية الله العظمى السيد محمد مهدي الشهرستاني الخالد، وآل شهرستاني يلتقون مع (آل زحيك) في نسبهم المتصل بإبراهيم المرتضى الأصغر بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام . وهم كربلائيون عريقون هاجروا من كربلاء إلى إيران على عهد السيد فضل الله في عهد الصفويين في القرن العاشر الهجري وأقاموا في أصفهان وفيها ولد السيد محمد مهدي من أحفاد السيد فضل الله عام ١١٣٠ هـ ونزح في أيام شبابه إلى كربلاء موطن آبائه وأجداده القدماء وتتلّمذ على كبار مراجع الدين الذين كانت توج بهم كربلاء يومئذ وأصبح من أعظم العلماء وصاحب نفوذ روحي واسع، توفي عام ١٢١٦ هـ وكانت له اليد الطولى في تطوير

وتوسيع الروضة الحسينية المقدسة.

وبيته في كربلاء بيت علم وشرف وأدب، وما زال ديوان آل الشهرستاني مفتوحاً وهو مجمع الفضلاء والوجهاء وذلك برئاسة الوجيه الحاج السيد خليل نجل المرحوم السيد إبراهيم الشهرستاني (أحد العاملين في ثورة العشرين) ابن العالم الكبير السيد مرزّه صالح بن آية الله السيد محمد حسين بن السيد محمد مهدي المذكور، والبارزون فيهم اليوم كثيرون منهم الأديب الباحثة السيد صالح الشهرستاني نزيل طهران وهو شقيق السيد خليل - أبي فؤاد.

٢- ديوان الزعيم الديني السيد كاظم الرشتي، وكان متدى الأدباء والشعراء (سوق عكاظ) لأهميته الدينية والسياسية الكبيرة.

٣- ديوان السادة الأكارم (آل ثابت) ومنهم نقباء الحائر وسدنته كما برز فيهم رجال أقوياء اشتركوا في معظم حوادث كربلاء السياسية التاريخية منها ثورة العشرين، وأربعة منهم تولوا فقط سدانة الروضة العباسية المقدسة وهم: - السيد محمد علي بن درويش والسيد ثابت بن درويش والسيد سعيد بن سلطان. السيد حسين بن السيد سعيد، وما زال ديوانهم مفتوحاً للقاصدين ومن شخصياتهم البارزة اليوم عميد الأسرة الجليل السيد محمد حسن والسادة الفضلاء محمد سعيد ومحمد رضا وبهاء وعزي والمحامي عبد الأمير وعبد الرزاق.

٤- ديوان المرحوم السيد محمد مهدي بحر العلوم وكان من الشخصيات السياسية البارزة تقلد وزارة المعارف والصحة العراقية عام ١٩٢٠ وهو والد

الأستاذ السيد محمد صالح بحر العلوم نائب كربلاء في أواخر العهد الملكي البائد^(١).

٥- ديوان المرحوم السيد أحمد الوهاب آل السيد يوسف بنو عم (آل زحيك)، وسيأتي ذكره.

٦- ديوان المرحوم السيد صالح السيد سليمان آل طعمة وكان من أعظم شخصيات كربلاء، قابل السلطان عبد الحميد العثماني مرتين في "الأستانة" وكان في ضيافته، وقد قلده السلطان ثلاثة أوسمة شرف وعينه "والياً" فخرياً على كربلاء توفي عام ١٣١٩هـ - ١٨٩٩م، ومن نوادر أعماله ومآثره الجليلة انه عندما أصدرت السلطات العثمانية ببغداد حكم الإعدام على حوالي ١٢٠ شخصاً من أهالي - قفقاس - لأنهم جاءوا لزيارة العتبات المقدسة في العراق بطريق غير مشروع فتدخل السيد صالح لإنقاذهم من الموت حيث ابرق إلى السلطان عبد الحميد بذلك فلأجله عفى عنهم وأمر بإطلاق سراحهم.

٧- ديوان المرحوم السيد حسين الدّده وكان من رجال السياسة المبرزين، مثل كربلاء في البرلمان في العهد الملكي وكان من أبرز قادة ثورة العشرين، وعندما قتل الشيخ ضاري "القائد البريطاني - لجمان" في معارك الثورة العراقية

١- ومن آل بحر العلوم اليوم في كربلاء حجة الإسلام السيد مرتضى الطباطبائي والعلامة السيد عباس الحجة والسيد علي بن آية الله والمرحوم السيد عبد الحسين الحجة والسادة الفضلاء الإخوان جواد ومهدي وجعفر أنجال المرحوم السيد حبيب وغيرهم وتربطهم بآل بحر العلوم في النجف روابط النسب والقربى.

الكبرى جاء إلى كربلاء لاجئاً عند الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة، فأمر الإمام السيد الدّده بأن يقوم بضيافته فأتمثل الأمر وضيّفه ثلاثة أيام وبعد ذلك قدم مجلس القيادة الحربية في كربلاء للشيخ ضاري مبلغاً كبيراً من المال مع الرجال والسلاح وبعثه إلى أعالي الفرات لمواصلة جهاده ضد الانكليز.

٨- ديوان سدنة الروضة الحسينية للزعيم السيد عبد الوهاب الكبير آل طعمة والسيد محمد جواد آل طعمة وابنه السيد علي^(١) وابنه السيد عبد الحسين :

٩- ديوان السادة الأماجد آل النقيب من آل زحيك تولى العديد منهم نقابة الحائر وكان جدهم المرحوم السيد محمد الدراج نقيب نقباء العراق عام ١٠٣٢ هـ وما زال ديوانهم مفتوحاً، ومن أبرز شخصياتهم اليوم عميد الأسرة: السيد كاظم السيد أحمد والسيد كاظم السيد مهدي والسدي جواد السيد مهدي، والسيد محمد علي السيد حسن، والسيد بهاء ومنهم الشاعر السيد رضا صادق والأديب السيد كاظم محمد النقيب وغيرهم.

١٠- ديوان المرحوم السيد مرتضى آل ضياء الدين سادن الروضة العباسية وكان من أكبر الشخصيات المرموقة لسمو مقامه وقد تمثّلت شخصيته

١- كان (رحمه الله) زاهداً ورعاً تقياً يتفقد الأرحام والفقراء ويطعمهم ويكسبهم وينفق واردات الضريح المطهر والهدايا والندور عليهم وعلى المعوزين من الخدم وأبناء السبيل من الزائرين وتلك هي الباقيات الصالحات. كان يوم رحيله يوماً مشهوداً.

الفذة في شخص نجله المرحوم السيد محمد حسن سادن الروضة العباسية المتوفى عام ١٩٥٣ الذي أغلق بوفاته ذلك الباب الواسع الذي كان مفتوحاً على مصراعيه للوافدين والقاصدين من كل فج عميق وتولى السدانة بعده نجله السيد بدر الدين آل ضياء الدين.

١١- ديوان المرحوم السيد عبد الوهاب آل طعمة حفيد السيد وهاب الكبير وسيأتي ذكره.

١٢- ديوان المرحوم السيد عبد الحسين الأعيان آل طعمة.

١٣- ديوان المرحوم السيد مصطفى السيد هاشم الشروفي نائب سادن الروضة الحسينية وكان من رجالات كربلاء وانتهت شؤون ديوانه من بعده إلى نجله المرحوم السيد سعيد الشروفي وكان من كبار الشخصيات الكربلائية ومن رجال ثورة العشرين^(١).

١- بيت الشروفي فخذ من عشيرة آل طعمة وقد أنجب رجالاً أشداء وشخصيات لامعة وأولاد السيد سعيد وأحفاده منهم طبيب أساتذة وتجار ولهم مكانة مرموقة وغيرهم من أفراد هذا البيت كثيرون يزالون الخدمة في الروضتين المقدستين، ومن البارزين فيهم أيضاً الوجيه السيد عبود جواد الشروفي وهو يتصف بالجرأة والهمة العالية قاوم المبدأ الهدام وأصحابه الفوضويين بكل قواه عام ١٩٥٩، وله اليد الطولى في إقامة المهرجان السنوي الذي يقيمه الكربلائيون بمناسبة مولد الإمام علي عليه السلام وخاصة في عامه الأول. وقد اعتقل من جراء هذا الحفل العظيم في عام ١٣٨٣- ١٩٦٣ يوماً واحداً لمقاومته الشديدة ضد السياسة القاسمية المبادة ومعارضتها له. وهو ممثل لجنة الاحتفال، وإنسان متواضع سليم القلب مرموق الشخصية يسعى دائماً لانجاز أعمال الخير كثر الله من أمثاله.

١٤- ديوان المرحوم آية الله العظمى الشيخ محمد تقى الشيرازي زعيم الثورة العراقية الخالد.

١٥- ديوان آل كمونة وهم من عرب كربلاء الأقحاح من قبيلة بني أسد ومن أبرز رجالات هذا البيت الشاعر الكبير الشيخ: محمد علي كمونة والإخوان: مرزه مهدي ومرزه حسن سادنا الروضة الحسينية المطهرة في القرن الثالث عشر الهجري والشيخ محسن كمونة وولده الشيخ فخري والشيخ محمد علي وقد شهد هذا الديوان ندوات الشعر والشعراء إلى جانب الحركات السياسية الصاخبة وما زال ديوانهم مفتوحاً برئاسة الوجيه الأستاذ عبد الحسين آل كمونة.

١٦- ديوان المرحوم الحاج محمد رشيد الجلبي الصافي وهم من العرب الأقحاح أنجب بينهم شخصيات لامعة منهم اليوم الحاج محسن وحميد والأستاذ جعفر الصافي الجلبي وكان المرحوم محمد رشيد رئيس بلدية كربلاء ومن بعده تولى زعامة الأسرة الحاج محسن الجلبي الصافي.

١٧- ديوان آل عواد العشيرة العربية المعروفة التي لعبت أدواراً مهمة في حركات كربلاء السياسية بوجود زعمائها الوطنيين الأشاوس سواء في حادثة المناخور أو في ثورة العشرين.

١٨- ديوان عشيرة بني سعد وكان رئيسها المرحوم علوان جار الله.

١٩- ديوان عشيرة الوزون العربية برئاسة عمر العلوان وشقيقه عثمان العلوان وكانا من قادة العشرين.

٢٠- ديوان المرحوم الحاج حسن الشهيب ثم نجله المرحوم الشيخ محمد والد الوجيه الفاضل إبراهيم الشهيب المعاصر.

٢١- ديوان الزعيم السياسي الشيخ عبد المهدي الحافظ الشاعر المعروف.

٢٢- ديوان عشيرة (النصاروة) وكان رئيسها طليح الحسون أحد قادة ثورة العشرين.

أخي القارئ: وضعت أمامك صورة مصغرة تعطيك رغم اختصارها انطباعاً عن الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية في كربلاء.

وأود بعد ذلك أن أعطيك فكرة موجزة عن تاريخ ثورة العشرين فهي كلمة لا بد منها.

أقول: لقد وقع تاريخ ثورة العشرين فريسة الأهواء والنزعات وحامت حوله أقلام كالمباضع فمزقته شر ممزق، ثم اخذ كل ذي غاية سهمه من أشلائه المبعثرة وراح يعضغه مضغاً كلقمة سائغة يستمرؤها ثم يطلب المزيد.

أجل: إن العتب بالتاريخ، خاصة تاريخ أعظم ثورة وطنية كثورة العشرين لا يقل شأنًا عن عمل المباضع التي تعبت بالجسم السليم وتقطعه إرباً إرباً.

أقول هذا القول لأولئك الذين غيروا مجرى تاريخ تلك الثورة وزيفوا حقائقه، وجعلوا من اللاشيء أشياء، وحاولوا أن يسدلوا على صفحاته المشرقة ستاراً من أنانياتهم التي نسجها الباطل من خيوط المغالطات وهي

(او هن من بيت العنكبوت).

ولا شكّ إنّ أول مسيء إلى تاريخ ثورة العشرين وإلى مدينة كربلاء بالذات هو الفريق مزهر الفرعون (غفر الله) صاحب كتاب (الحقائق الناصعة) فهو حريٌّ أن يسمى بـ(الأباطيل الخادعة)^(١)، وكان أكثر الكتاب الذين كتبوا عن الثورة العراقية - على شاكلته - حيث عولوا على كتابه وزادوا في (الطين بلة- وفي الطنبور) فزيفوا كما زيف، وشوهوا كما شوه، وحرفوا مثلما حرف، وقد جعلوا مصالحهم الذاتية فوق مصلحة التاريخ، وتعصبهم الإقليمي المقيت فوق التعصب للحق، (وكلُّ يجرُّ النار إلى قرصه) وأقسم لو أن قادة الثورة العراقية الكربلايين وعلى رأسهم الإمام الزعيم الشيخ محمد تقي الشيرازي يعودون إلى الحياة من جديد (وهيئات ذلك) ليصرخون في وجه الكتّاب المزيفين يقولون لهم:

ما كانت ثورة العشرين التي أججنا شعلتها في كربلاء - إقليمية - بل كانت وطنية ومن أجل سيادة البلاد ونيل استقلالها الوطني، ولربما يجددون ثورتهم تلك على هؤلاء لأنهم ما أنصفوا مدينة كربلاء ذات المواقف المشرفة والبطولات الجبارة في معترك الثورة العراقية.

إننا لا ننكر قط، مواقف أي مدينة ساهمت في خوض المعارك الدامية

١- وقد رد المرحوم السيد عبد الرزاق الوهاب آل طعمة عليه بسلسلة من المقالات في حينه نشرت في مجلة رسالة الشرق الكربلائية وفند فيها مزاعمه وآراءه بالأدلة الثابتة.

أثناء الثورة وضحت من أجلها بالأموال والأرواح من حدود البصرة إلى الموصل خاصة النجف الأشرف، بل نشمّنها ونقدّرها ونعتزّ بها كما يعتزّ بها التاريخ، والتاريخ هو الحاكم الفاصل، ولكننا لا نسكت وليس من الإنصاف والوجدان أن نسكت عن حقوق مدينتنا البطلة التي مهدت للثورة قبل غيرها وارتفع صوتها في البلاد قبل أن ترتفع أصوات غيرها، وكان لها قصب السبق في ذلك.

ولكن كان نصيبها بعد ذلك الجهاد المقدس إنها لاقت من عدد غير قليل من مؤرخي هذه الثورة عنتاً شديداً، وتجاهلاً سافراً، ونكراً مقصوداً، وتلك جريمة لا تغتفر.

فكثيراً ما نقرأ في الصحف أو المجلات مقالات عن الثورة العراقية فنجدها لا تنطبق مع الواقع التاريخي الوضاء، بل هي والحقيقة على طرفي نقيض، وكأنها تتحدث عن ثورة غير ثورة العشرين، وكذلك الكتب التي صدرت بين فترة وأخرى فهي تحمل نفس الطابع، ولعل تلك المقالات التي دبجتها أقلام الباطل مستقاة منها، وذلك تسير مع الكتب جنباً إلى جنب على خط واحد غير مستقيم.

إن ثورة العشرين التي حيكت حولها أساطير المؤرخين الخيالية قد مهدت لها مدينة كربلاء بالاجتماعات العشائرية السرية والعلنية، بالمظاهرات الصاخبة التي كانت تطوف في شوارع كربلاء صباح مساء، بالحفلات الرهيبة التي كانت تقام في الروضة الحسينية وفي الروضة العباسية على الأغلب.

وكان تلقى فيها قصائد الشعراء وكلماتهم التي كانت أشد وقعاً على المستعمرين من وقع القنابل المحرقة. بالمؤتمرات السياسية التي كانت تعقد بين يوم وآخر في دار آية الله أبي القاسم الكاشاني - الذي كان يعتبر لولب الحركة السياسية وبطلاً من أبطالها، وفي دار المرحوم السيد نور الياسري في كربلاء. وأعظم مؤتمر سياسي عشائري عقد بمحضر زعيم الثورة الخالد الإمام محمد تقي الشيرازي، في ليلة النصف من شعبان ١٣٣٨ هـ. حضره معظم زعماء وشيوخ الفرات مع زعماء ومشايخ كربلاء. ورؤساء العشائر والبيوتات الكربلائية.

وكان الحزب الإسلامي والمجلس المحلي في كربلاء هما اللذان يمهدان السبيل، بقيادة سياسية حكيمة، وأبرز قادة الثورة في كربلاء من العلماء والرؤساء والشيوخ المغفور لهم كل من: —

السيد أبي القاسم الكاشاني، والسيد محمد علي الطباطبائي الذي كان لا يهاب الموت، والشيخ مهدي الخالصي وولده الشيخ محمد، والسيد محمد مهدي المولوي، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد حسين القزويني، والشيخ محمد رضا نجل الزعيم الإمام الشيرازي، وشقيقه الشيخ عبد الحسين، وعبد الكريم وعبد الرحمن وعبد الجليل آل عواد، والشيخ كاظم (أبو أذان)، والسيد عبد الحسين الدّده، والسيد عبد الوهاب آل طعمة، والسيد محمد رضا فتح الله آل طعمة، والسيد محمد حسن آل طعمة وعمر الحاج علوان رئيس قبيلتي الوزون والسلامة العريتين وطليفح الحسون رئيس قبيلة (النصاروة)

وشاعر الثورة الخالد الشيخ محمد حسن (أبو المحاسن) والشيخ محسن أبو الحب خطيب الثورة، وكثيرون غيرهم.

والجدير بالذكر أن المغفور لهم الشيخ محمد رضا الشبيبي وشقيقه الشيخ محمد باقر والشيخ رحومي الظالمي وغيرهم، كانوا بمثابة الرسل للشوار الكربلايين يحملون عنهم الأوامر والتعليمات الثورية إلى زعماء القبائل في الفرات وبغداد وغيرها في المناطق الثائرة يومئذ.

والحقيقة الأخرى التي يجب أن تذكر هي إن زعماء الفرات وغيرهم من أقطاب الثورة في بغداد بالمرحوم جعفر أبي التمن وأتباعه، والإمام الراحل الشيخ محمد رضا آل ياسين وجماعته في الكاظمية، وكذلك عدد من العلماء الأعلام في النجف الأشرف.

كان جميع هؤلاء على اتصال دائم بالإمام الشيرازي وأعوانه الشوار الكربلايين بمراسلاتهم المستمرة، وكان همزة الوصل بينهم على الأغلب المرحوم محمد رضا الشبيبي^(١).

إن الثوار الكربلايين هم أول من رفعوا العلم العربي العراقي على مبنى البلدية القديمة وقد صنعوه في كربلاء، وأول رصاصة إعلاناً للثورة أطلقت هنا في كربلاء.

فأين هذه الحقائق من أباطيل كثير من الكتّاب الذين سجّلوا حوادث

١- انظر - كربلاء في التاريخ - للمرحوم عبد الرزاق الوهاب.

الثورة العراقية وفقاً لرغباتهم وتجاوباً مع عصبيتهم الإقليمية.
 وانحرافاتهم عن الحق والعدل والإنصاف وغمطوا حقوق هذه المدينة
 المجاهدة التي ضحت بالغالي والنفيس، ولاقي أحرارها وأبطالها ألواناً من
 التنكيل في المعتقلات والسجون والنفي في الداخل والخارج.
 إنّ التاريخ يشهد ببطولات كربلاء الخالدة ويحفل بمآثرها الجليلة
 وخدماتها الوطنية الكبرى التي تشرق بمعاني المجد والخلود.
 وأخيراً والحق يقال إن الغربيين الذين كتبوا عن الثورة العراقية كانوا
 أكثر إنصافاً من كتّابنا العراقيين لأنهم ثمنوا مواقف كربلاء ثورة العشرين.



ونأتي بعد ذلك إلى التحدث عن محتوى الكتاب، فلقد كنت في صدد
 أن أضع دراسة مفصلة عن الحركة الأدبية في كربلاء خلال قرنين وأختمها
 بالسيد مرتضى الوهاب كبير شعرائنا اليوم والدكتور السيد صالح جواد آل
 طعمة الذي يعد اليوم من طلائع مفكّري العصر بشخصيته الأدبية اللامعة
 وهو الذي بعث إلى الحركة الأدبية في كربلاء روح النشاط والوثوب بعد
 سبات طويل من الجمود كاد يقضي على معالمها.

ولكني رأيت أخيراً من (الأفضل) أن أكتب عن الأدباء والشعراء
 المعاصرين فإن هذه الدراسات تعكس بطبيعتها صوراً من ماضي الأدب في
 كربلاء وعلى هذا الأساس عقدت العزم وباشرت، وإنّ هذا الكتاب حصيلة
 تلك الفكرة بأجزائه الثلاثة ويضم هذا الجزء - الأول - سلسلة دراسات عن

اثني عشر أديباً وشاعراً منهم تتضمن تحليلات أدبية فكرية وقضايا تاريخية واجتماعية وغيرها، وقد أسميته بادئ ذي بدء (أدباء وشعراء كربلاء المعاصرون) ثم استبدلته أخيراً بـ (الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء).

ولقد حاولت خاصة في - (كلمتي) - أن أربط حاضر الأدب الزاهر في كربلاء بماضيه المشرق العريق ولذلك رجعت إلى القرن الثالث عشر الهجري - العصر الذهبي - وبينت أهم مقومات الحركة الأدبية فيه وكان أبرزها (دواوين كربلاء) التي كانت مطمح الأنظار، ومحط الرّحال، ومبعث الفكر، ومنشأ الأدب، وهي التي ما زالت بقاياها مفتحة الأبواب حتى اليوم، وأما دواوين العلماء الأعلام ومراجع التقليد العظام فلم أذكر إلا بعضها، فالحركة الأدبية المعاصرة تستمد حيويتها من جذورها المتأصلة خلال ماضيها المنصرم زمنياً بعد زمن، وجيلاً بعد جيل حتى اليوم.

وكم يحزُّ في النفس، أن نرى حياتنا الاجتماعية قد غيرتها تطورات العصر الحديث بسبب التيارات العقائدية الفاسدة التي غزت بلادنا العربية والإسلامية من الشرق الملحد والغرب الكافر وأثرت تأثيراً كبيراً في صميم عاداتنا - نحن العرب والمسلمين - وتقاليدنا وسلوكنا ومعتقداتنا الإسلامية لذلك فإن الوضع الاجتماعي العام يحتاج اليوم إلى الإصلاح من جميع الوجوه، ويتطلب ذلك وعياً سليماً وتفكيراً جدياً باللجوء إلى أصولنا وقواعدنا الأساسية في شريعتنا الإسلامية المقدسة فهي المناهل الرقراقة التي تتدفق ينباعها الفياضة ولا تنضب. ولأنها وحدها تهذب النفوس، وتصلح

المفاسد، وتعالج الأمراض، وتسعد المجتمع، وتنتشله من رذائل المدنية الحديثة وتزيل عنه آثارها.

فالمرجو من أدبائنا وشعرائنا اليوم - وهم الطليعة الواعية النيرة - أن يكونوا أكثر شعوراً بالواجب والمسؤولية من غيرهم لأن رسالة الأدب الهادف تحتم عليهم خوض معركة التوجيه والإرشاد للحفاظ على الأخلاق والقيم والمثل العليا في بلادنا العزيزة خاصة إننا اليوم في صراع محتم مع الاستعمار والصهيونية المجرمة فطبيعة صراعنا ومعركتنا المصرية تتطلب أول ما تتطلب التمسك بديننا الحنيف والاستمداد منه بالعقيدة والإيمان لإعادة القدس الشريف وكافة الاجتزاء الأخرى المغتصبة وذلك هو النصر المبين، وأعود بعد ذلك إلى القول:

.... أهمل يدرك النشء الجديد أو الأجيال الصاعدة من بعده مدى قيمة هذه المدينة المقدسة الشامخة بكيانها العظيم؟ أو ما مقدار أهميتها التاريخية العظمى في النواحي الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية.....؟
بديهي أن الجواب سيكون - كلا!! لذلك فإن توعية النشء بما هو المطلوب ضرورة لا يمكن التغاضي عنها.

وأودّ هنا أن أشير إلى الملاحظات القيمة التي أبدتها استأذنا الكبير (أبو أديب) توفيق الفكيكي في مقدمته للكتاب حول تكراري لفظة - كلمّا - في جمل مترادفة تقبلتها منه بإكبار وتقديره.

ولعليّ - بمجهودتي المتواضع هذا - أسديت بعض الخدمة للأدب المعاصر

في كربلاء، بلد القداسة والأشراف، بلد أعظم نائر في الإسلام بعد جدّه وأبيه وأخيه الإمام الحسين عليه السلام - روعي فداه - بلد الأجداد الزاهرة والمآثر الخالدة.

وخير ما أختتم به (كلمتي) - بعد هذه الإطالة المملة كما أعتقد- هو قول صديقنا الجليل أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب - جامعة بغداد - وأمين المجمع العلمي العراقي وسكرتير جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين الدكتور يوسف عزّ الدين الذي يقول وما أحسن قوله :—

(الكتاب جزء من كيان الكاتب وقبس من روحه ودمه وقلمه يصاحبه كما يصاحب الوالد ولده ويتعهده بكل ما لديه من قوة ويصرف عليه ما يملك من جهد ليراه نضرة النفوس وابتسامة الثغور حتى يستوي على ساقه فتعجب الباحث أصالته ويرضى عنه)^(١).

وأستميح قرّائي الأعزاء عذراً والله تعالى اسأل أن يسدد خطاهم وإياي ويهدينا سواء السبيل وهو الموفق.

- المؤلف -

١- الشعر العراقي الحديث - للدكتور يوسف عز الدين - ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠.



شاعر كربلاء الكبير السيد مرتضى الوهاب

-١-

كأنني أشعر - وأنا أكتب هذه الدراسة - بارتياح عميق يغمر قلبي، ويمزح أحاسيسي، ويخالج وجداني، ثم يفيض علي بالعاطفة الدافقة من أعماق شعوري الذي استمدته من رسالة الأدب التي تعشقتها منذ صغري، وكنت وما أزال أرتشف من منهلها العذب الرقراق. واقتطف من ثمار رياضها الفيحاء ما عساني أن أشبع بهما نفسي. وهيهات أن يشبع المتأدب المنهوم نهمه وهو على مائدة الأدب وفي رياضها الغناء....

أجل: شعرت بالارتياح لأنني أقدم للأوساط الأدبية بفخر واعتزاز شاعراً بارزاً قلماً أنجبت أمثاله مدينة كربلاء في عصرها الحديث، ألا وهو الأستاذ السيد مرتضى الوهاب.

الشاعر المطبوع، الموهوب، صاحب القريحة السيالة والشاعرية الوقادة التي ينساب منها الشعر انسياباً.

ولا أغالي إذا قلت: إنَّ شاعرية (الوهاب) تكاد تكون معجزة الإلهام في عالم الفكر. وانبثاقاً من صفاء الفطرة وسلامة الفكرة وهي في ذاتها وجوهرها معين لا ينضب.

مولده . نشأته . ثقافته

ولد شاعرنا في كربلاء عام (١٩١٦) ونشأ في أحضان والديه، وفي ظل عنايتهما الشاملة بالتربية المهذبة الصالحة من جميع وجوهها، ونشأ معه الذكاء المفرط، والطموح الشديد، ونمى في نفسه حب التطلع إلى الحياة تطلعاً فكرياً نامياً عن الفهم والإدراك، ثم الاستقصاء والاستنتاج في راحة من العقل، وشعر برغبة ملحّة إلى دراسة الأدب وهو بعد صبي لم يتجاوز العقد الأول من عمره.

فدخل المدرسة الابتدائية في الوقت الذي كان المرحوم والده الجليل السيد محمد الوهاب في سفر بعيد خارج العراق^(١) وقد اجتاز المرحلة

١- كان ذاهباً إلى تركيا لمواجهة (السلطان العثماني عبد الحميد) في سبيل إنجاز بعض القضايا الوطنية وما كان يتعلق منها على الأخص بمدينة كربلاء المقدسة، وكان السلطان عبد الحميد على جانب كبير من الاهتمام والتعلق بالسيد محمد هذا يتجاوب معه في آرائه الإصلاحية المفيدة حباً له وتقديراً لشخصيته المرموقة المجلّة. وإن السيد محمد الوهاب كما يصفه الواصفون كان رجلاً قديراً يضرب به المثل في الشهامة والهمة والغيرة والجرأة وكان من دعاة الإصلاح السياسي والاجتماعي. ومن شخصيات كربلاء العظيمة التي يشار إليها بالبنان. والحق إن كربلاء قد أنجبت من أفذاذ الرجال الإنسانيين العظام نماذج قد انفردت بها عن كثير من المدن العراقية في شتى الأدوار التاريخية.

الابتدائية إلى المتوسطة وحاز على شهادتها بتفوق باهر، وارتضى لنفسه أن يقف عند هذا الحد مكتفياً بهذه الشهادة وحسب.

ذلك لأنه كان يقاسي من شظف العيش ويعاني من مصاعب الحياة الشيء الكثير، حيث أقعدت هذه العقبات عن مواصلة الدراسة الثانوية والعالية بالرغم من رغبته وشوقه إليها، وطموحه فيها.

فكأن الحياة أبت إلا أن تشاكسه وتعلن عليه حرباً شعواء وتحاصره أبداً بجيش عرمرم من ظروفها القاسية القاهرة، ولم تشأ أن ترحمه بأن تترك له منطلقاً فسيحاً في ميادينها الواسعة ليلبغ فيها أهدافه ويحقق آماله وأمانيه، وتلك هي سنة الحياة ولن تجد لسنة الحياة تبديلاً ولا بد للإنسان من التسليم إليها على أي حال.

لكنه في خلال سني دراسته الابتدائية (التي أصيب بها باليتم) وبعدها المتوسطة قد استطاع أن يكتسب ألواناً من الثقافة وأن يرتشف كؤوساً من مناهل الأدب والمعرفة حتى تفتحت بذلك مداركه على آفاقها الرحبية، واختبر الحياة بذكائه واستطاع كذلك أن يميز بين خيرها وشرها بفطنته وبين جوانحه عواصف شديدة من الآلام والحسرات تهب تارة وتهداً أخرى، وهو ثابت الجنان والكيان، لإيمانه بما قسم له الله وأن الإيمان يخلق في الإنسان إرادة قوية يصمد بها أمام مكاره الدهر وصروف الحياة.

وبعد أن زار السيد محمد الوهاب (عبد الحميد) وأنهى معه مهماته غادر تركيا إلى إيران وأقام فيها مدة من الزمن حتى وافاه الأجل فيها ونقل جثمانه في كربلاء في حدود عام (١٩٢٦م).

أسرته

ينحدر السيد مرتضى من بيت عريق في السيادة والشرف عرف بـ(آل الوهاب) وآل الوهاب في كربلاء بيتان من البيوتات العلوية العربية الأصيلة ذات الشأن الكبير في تاريخ البلد والأسر الكربلائية. وتمتد عراقتها إلى جذور عميقة نبتت منذ القرون الغابرة على ارض هذه المدينة العربية المقدسة.

وربما التبس الأمر على البعض فأعتبرهما بيتاً واحداً. يرتبط بأصل واحد في النسب، بيد إنهما ليسا كذلك، وإزالة لهذا الالتباس نأتي بالإيضاح التالي:

(أ) - يلتحق بيت شاعرنا من حيث النسب هو و(آل النقيب وآل الاشيقر)، بـ (آل زحيك - آل ثابت) وينتهي إلى الإمام موسى بن جعفر سابع أئمة أهل البيت (عليه السلام).

وقد لقد هذا البيت بـ (الوهاب) بعد استشهاد المرحوم السيد موسى بن السيد محمد علي في واقعة (غارة الوهابيين) على كربلاء عام ١٢١٦ هـ^(١) حيث أطلق أبناء إخوته على أنفسهم من بعد هذا اللقب تخليداً لذكراه، إلا أن هذا اللقب المحدث يبدو أنه كان شيئاً اعتيادياً ليس له رصيد رسمي من الشهرة كما أعتقد، حتى جاء دور أحفاد إخوته مؤخراً وهو السيد حسين الذي تولّى سدانة الروضة العباسية في عام (١٢٥١ هـ) حتى عام

١ - مدينة الحسين ج ١ ص : ٧٨ - تأليف الأستاذ: السيد محمد حسن مصطفى (الكليدار) آل

(١٢٥٦هـ) والذي عزل عنها.

فهذا أوّل من لقب نفسه من هذا البيت بـ (آل الوهاب) ليكون لقباً ثابتاً يعرف به بيته هذا بين البيوتات الكربلائية ثم ليكون الغرض منه أيضاً إحياءً وتخليداً لذكرى جده السيد موسى شهيد تلك الواقعة التاريخية الدامية التي ارتكب الوهابيون فيها أبشع الجرائم بسفك الدماء البريئة في كربلاء عند حملتهم المباغطة النكراء عليها، وهجومهم العدواني الأثيم على روضة الإمام الحسين ريحانة الرسول الأعظم والبطل الشهيد الخالد.

وقد استطاع السيد حسين أن يثبت هذا اللقب لنفوذه الشخصي بحكم منزلته الرفيعة وشخصيته المرموقة كـ (سادن للروضة) وقد عرفت أسرته بذلك من عهده حتى اليوم. ويعتبر الأستاذ محمد حسن (الكليدار آل طعمة) السيد حسين هذا (الجد الأعلى) لأسرة آل الوهاب في كتابه القيم: (مدينة الحسين عليه السلام).

ثم نبغ من هذه الأسرة المرحوم السيد "أحمد الوهاب" وكان يعد من أشراف كربلاء ومن شخصياتها السياسية البارزة ورجالها الأفاضل، وقد اتصف بحصافة العقل وسداد الرأي والجرأة الشديدة والهبة والوقار والخلق الكريم، وكان ديوانه العامر مجمع العلماء والفضلاء والوجهاء ومنتدى العلم والأدب والشعر كما كان نائب كربلاء في (البرلمان) العراقي في العهود البائدة لخمسة

أدوار منذ عام - ١٩٢٨ حتى عام ١٩٤٣^(١) - وتوفي عام ١٩٤٦ وقد بلغ البيت أوج شهرته بهذا اللقب في عهده وزمانه وما زال^(٢).

١- انظر التفاصيل في كتاب: تاريخ الوزارات العراقية ج ٩ ص ٢٤١ والصفحات التي تليها للأستاذ السيد عبد الرزاق الحسيني.

٢- وللمرحوم الشاعر الكربلائي الفذ الشيخ عبد الحسين الحويزي قصيدة عصماء تعتبر من عيون الشعر العربي في ديوانه المطبوع منذ أكثر من عشرين عاماً قالها في مدح وثنئة السيد الوهاب بمناسبة فوزه في احد أدوار النيابة نقطف منها ما يلي:

إن يدع من آل وهاب فإن له

يداً بها نفسه والمال قد وهبا

رأتك إهلاهما والناس كلهم

عنها وان كثرت أعدادهم غربا

الوقد لها إن دجت في الدهر داجية

آراء فكر تجلّت أنجماً شهباً

والشعب أصبح يدعو في قبائله

ومثل شخصك للتحكيم قد طلبا

أرى العراق رحي دارت دوائره

وأنت أصبحت فيها ثابتاً قطباً

لدى الرهان مساعي أحمد سبقت

فأحرزت يده من سبقها القصبا

يا أحمد المرتقى معراج كلّ علا

(ب) - يتفرع هذا البيت (الثاني) من أسرة - آل طعمة - التي يلتحق نسبها بالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) .
وقد لقّب - (الوهاب) من عهد المرحوم السيد وهاب الكبير الذي تولى سدنة الروضتين المقدستين الحسينية والعباسية في وقت واحد كما عهدت إليه سدانة الروضة الحيدرية المقدسة ولكنه توفي قبل تسلّمه مقاليدها وهو في طريقه إلى النجف الأشرف^(١) وكان والده المرحوم السيد محمد علي "آل طعمة" سادناً للروضة الحسينية المقدسة من قبله .

وفي عهد السيد الوهاب (الذي يقال عنه أنه كان زعيم كربلاء بدون منازع) كانت الحوادث السياسية قائمة على أشدها في كربلاء في أيام الحكم العثماني طبعاً، ولم تذق المدينة طعم الهدوء والاستقرار لما كان يسودها من

ومن علا غارب الجوزاء قئد ركبا
بداره شعراء العصر قد مدحت
وباسمه أعلنت في نعتها الخطبا
مهذب النفس لا تقوى نقيته
غير العلى فهو فرع السادة النجبا
أهدى وداداً لعليا أحمد مدحاً
آياها رأت الدنيا بها عجباً

١ - مدينة الحسين - السيد محمد حسن مصطفى (الكليدار) آل طعمة.

الاضطرابات حيناً بعد حين، وكانت سدانة الروضة الحسينية يومئذ قد انتقلت ولأول مرة إلى (آل كمونة) بسبب مغادرة السادن السيد وهاب مدينة كربلاء. إذ تعين الشيخ مهدي كمونة عام (١٢٢٨ هـ) سادناً للروضة الحسينية بأمر القائد التركي الفريق "نجيب باشا" الذي حاصر كربلاء بجيشه اللجب وكان يهدف إلى قتل السيد وهاب الذي قاومه أشد مقاومة.

وبعد وفاة المرحوم الحاج الشيخ مهدي كمونة في عام (١٢٧٢ هـ) تولى السدانة شقيقه المرحوم الشيخ المرزّه حسن كمونة حتى عام وفاته "١٢٩٢ هـ". وبعد ذلك انتقلت السدانة إلى بيتها القديم في "أسرة آل طعمة" مبتدئة بالسيد محمد جواد السادن الخامس عشر إلى يومنا هذا، أما السيد وهاب الكبير فقد كان مفاخر كربلاء ومن رجالها العظام لمقومات الشخصية ومفاهيم الرجولة والإنسانية التي توفرت فيه.

ثم برز من هذا البيت "الوهاب" المرحوم السيد عبد الوهاب بن السيد عبد الرزاق بن المرحوم السيد الوهاب الكبير.

وكان من ألمع الشخصيات الكربلائية في العلم والفضل والسخاء وإقراء الضيف والخلق الرفيع كما كان حسن المعاشرة مفكراً شديداً الذكاء وسياسياً رشيداً محنكاً، متفانياً في وطنيته الصادقة وكان في مزايه وسجايه النبيلة أشبه بجده وهاب الكبير كما كان موضع تقدير العلماء الأعلام والأشراف والوجهاء وسائر الطبقات الكربلائية وغيرها.

وله مواقف مشرقة في الدفاع عن الوطن في سبيل الحرية ونيل

الاستقلال مع الثوار الأحرار من قادة "ثورة العشرين" في كربلاء^(١).
وقد تقلد مناصب عديدة أهمها عضوية مجلس إدارة اللواء ورئاسة البلدية مرتين، لذلك فهو مشهور حتى اليوم بالسيد عبد الوهاب الرئيس.
وكان أيضاً من أبرز أعضاء "الجمعية السرية" و- المجلس المحلي - في كربلاء^(٢) بمعية ثلّة من رجال السياسة ورؤساء العشائر العربية الكربلائية في إبان الثورة العراقية بقيادة زعيمها الروحي الخالد الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي.

والسيد عبد الوهاب الرئيس كان من الذين قبضت عليهم حكومة الاحتلال البريطاني بعد الثورة العراقية وأودعتهم سجون الحلة وتعرضوا لإيذائها حيث كان يتمثل نصب أعينهم شبح الموت وكان جلهم من علماء وزعماء كربلاء والنجف وغيرها وقد أحصى أسماءهم العلامة الكبير السيد محمد علي (هبة الدين) الشهرستاني في أرجوزته الرائعة التي نظمها حين كان معهم في السجن على بساط المحنة السياسية تلك التي تتجلى وكأنها مرآة ناصعة تنعكس عليها معالم القوة والشهامة والبطولة والتضحية الخالدة التي

١- كربلاء في التاريخ- للمرحوم السيد عبد الوهاب الرزاق.

٢- انظر مجلة المرشد المجلد ٤ ص ١٧٨ بتاريخ ١٠ محرم الحرام سنة ١٣٤٨ هـ ج ٩ حزيران ١٩٢٩ لصاحبها الأستاذ الأديب هبة الدين الشهرستاني نزيل طهران وهو نجل المرحوم السيد إبراهيم عميد أسرة "آل الشهرستاني" في كربلاء. وكان مدير تحريرها السيد صالح الشهرستاني والمُشرف عليها.

قدمها أبناء الجنوب عامة وكربلاء خاصة في سبيل الحرية والحكم الذاتي المستقل وبناء كيان العراق على دعائم متينة من السيادة والمجد الإسلامي والعربي.

وهذا بعض ما قاله السيد "هبة الدين" في أرجوزته في ذكر أسماء بعض زعماء كربلاء أمثال آية الله السيد حسين القزويني والسيد عبد الوهاب الرئيس والسيد عبد الحسين الدّده والسيد محمد الكشميري^(١).
وقد توفي المرحوم السيد عبد الوهاب في ليلة الاثنين الثامن من شهر

١- راجع كتاب "شعراء الثورة العراقية" ص ٤١، ٤٠ تأليف خضر العباسي :

هاك أسامي نخبة الآفاق

من حوكموا في نهضة العراق

سبع وعشرون شيوخاً رؤوساً

وستة من نسل أصحاب الكسا

هم هبة الدين لأهل الدين

وحبرنا الحسيني من قزوين

والسيد الوهاب مظهر الإبا

والهادي للحق الزوين نسبا

والمرشد الحسيني من نسل الدّده

خاتمهم محمد ذو الحمدة

رمضان المبارك عام ١٩٤٧ هـ^(١).

١- خلف ثلاثة أولاد برة وهم السادة كل م المرحوم الأستاذ الأديب المعروف عبد الرزاق الوهاب مؤلف كتاب - كربلاء في التاريخ - في ثلاثة أجزاء وهو كتاب قيم وسجل تاريخي لحوادث العراق في ثورة العشرين التي كانت كربلاء مقر قيادتها الدينية والسياسية والتوجيهية. والأستاذ محمد مهدي الوهاب المحامي والأستاذ أحمد الوهاب وقد كان متصرفاً في لواء العمارة ثم معاوناً لوزير الداخلية ومديراً للوحدة الإدارية العامة في الوزارة نفسها وبيت الوهاب هذا فرع من آل طعمة كما أسلفنا. وللعلامة الحوزي قصيدة رائعة في رثاء المرحوم السيد عبد الوهاب ورد منها البيتان التاليان في مجلة المرشد وهما:

من غال بدر سما العلا وهلالها

والشمس عن فلق الصباح ازالها

وأحال بيض المكرمات بأسرها

سوداً وغير بالحوادث حالها

كما أن له قصيدة أخرى في مدحه عندما تقلد منصب رئاسة البلدية في كربلاء نشرت في ديوانه عام (١٣٣٥ هـ ١٩٥٩ م) القديم السالف الذكر نقتطف منها الأبيات التالية: -

أمشيئاً للفخر بيتاً لم يزل

للقاصدين مفتح الأبواب

أترى الرياسة زينت بك عقدها

فأبت تناط عقودها برقاب

حتى رأتك من الخليفة أهلها

فضفت عليك نقيصة الجلباب

آراء قوم أنت منتخب لهم

ما حل موقع رأيهم بعتاب

نسبوا زعامتها إليك لعلمهم
بك باذخاً شرفاً من الأنساب
قالت لهمتك النجوم سوارياً
حطي ركاب علاك فوق ركابي
إن تحضر النادي يهش بك الندى
او غبت تمدحك الورى بغياب
وأبوك خازن روضة القدس التي
جبريل عد بها من الحجاب
من أسرة ظهرت أرومة مجدها
نسلا من الأرحام والأصلا
تعزى لعزته الرياسة حيو
نيطت عليه جليلة الاحساب
وجميع أسماء المناقب من يد
ليد أتك كريمة الألقاب
أباؤك الغر الذين تفضلوا
بحجى ومكرمة وفصل خطاب
أيانهم تنهل صوب غمائم
جوداً ومنطق صدقهم بصواب
شهب بأفلاق مـنيرة
ينقض ثاقب عزمها بشهاب

نبوغ شاعرنا

الأستاذ مرتضى الوهاب من الذين بلغوا ذروة الشخصية: الأدبية بواسطة الموهبة الفكرية وأصبحوا نوابغ وأفذاذاً في عصورهم ومجتمعاتهم واطلوا على مسرح الحياة من قمم النبوغ العالية.

وإن تاريخ الأمم والشعوب في واقعته يكفينا شاهداً على ذلك كما إن الحضارات الفكرية الإنسانية الزاهرة وخاصة العربية منها قديماً وحديثاً تؤيد هذا المعنى بأكثر من دليل.

وإذا كانت العبقرية من المقومات الفطرية والمكتسبة التي تكون الشخصية في الفرد وتكسبه المكانة الرفيعة في مضمار الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية فإن شاعرنا من الذين أوتوا حظاً وافراً منها، وقد رفعته عبقريته الفكرية إلى مصاف العباقرة النابغين من رجال الأدب والشعر في عصرنا الحديث.

ولا غرو، فإن نبوغه في عالم الأدب ينم عن عبقريته النامية في شخصه وشخصيته.

ولقد كانت ومضات نجمه المتألق في سماء الأدب والفكر في مطلع شبابه تبشر بمستقبله الزاهر الذي سيرقى إلى ذروته وكأنها كانت أشبه بخيوط الفجر الصادق الذي لا يلبث أن يعقبه موكب النهار المشرق الوضاء.

لقد بدأ الأستاذ الوهاب ينظم الشعر في عهد مبكر من حياته جداً، وينشر إنتاج قريضة قصيدة تلو الأخرى في الصحف والمجلات العراقية وقد

صقل عبقريته الموهوبة بقبسات من فطاحل الشعراء الماضيين وعظمائهم أمثال المتنبي والشريف الرضي والبحري وأبي تمام وأبي نؤاس، من اشعر الشعراء الجاهلين كالنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وامرئ القيس إلى جانب كبار الشعراء المعاصرين.

وقد تأثر بهم وانكب على دراسة دواوينهم وحفظ أشعار بشوق لاهف ورغبة غير متناهية، واستخرج من بحارها الطامية المتلاطمة درر المعارف وغرر الأفكار نعى بها قابليته وأضفى من كنوزها الدفينة على (ملكته) روح البلاغة والبيان وأشبعها قوة وحيوية.

والحق يقال: إن السيد مرتضى الوهاب أستاذ شعرائنا المعاصرين في كربلاء خاصة، وسيد الشعراء والمؤرخين في العراق عامة. كما وصفه ذلك العلامة الشاعر الكبير المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي إذ قال له ذات يوم بين حشد من الحاضرين في كربلاء بعد إن ربت على كتفه "أنا شيخ المؤرخين وأنت سيد المؤرخين".

وذلك للنقد الأدبي الوجيه الذي وجهه إليه الأستاذ الوهاب حول التاريخ الشعري.

فهو في مضممار التأريخ الشعري له القصب السبق فلا يجاريه أو يرقى إليه أحد من المعنيين بهذا الفن الأدبي مهما برعوا فيه.

شعره وأسلوبه

إنَّ شعر الأستاذ الوهاب أخذ للنفوس، نفاذ إلى القلوب يثير فيها كوامنها، ويحرق حجب العواطف والأشواق وينبه الذوق في القارئ والسامع معاً لما فيه من نغم موسيقية وخصائص فنية وجاذبية ساحرة وهي من أهم ما فيها من مزايا.

وشعره نموذج للشعر المجدّد، المنطلق مع التفتق الذهني، فهو يساير ركب الزمن، ويماشي روح العصر، ويواكب التطور في مجالات الحركة الفكرية الآخذة نحو الرقي والازدهار.

وشعره كذلك تجسيد حي للواقع الذي يعيشه الإنسان في حياته الصاخبة، الحافلة بالخير والشر والحزن والسرور، واللذة والألم. والسعادة والشقاء، والعدل والظلم، والغنى والفقر.... الخ.

فهو شاعر واقعي في منطقة معالم الصدق والإباء والحق الصريح، وفي شعره دلائل الوجدان النابض وروعة الابتكار الشائق، وجمال الفن والإبداع والخيال السامق.

يتَّخذ من القوافي الجميلة قلائد كأنّها الجمان. ويتصيّد المعاني اللطيفة في أسلوبه الرقيق الرصين، ويضفي عليها هالة من البراعة بذوقه السليم، وقريحته آية في الفيض والانسياب، ينظم القصائد الطوال التي تربوا على الـ (١٠٠) بيتاً من غير أن يعتريه عجز أو يصيبه كلل.

وأبواب الشعر على اختلافها مفتحة أمامه، وأسلوبه في النظم يتعدى

حدود الجودة والبداعة، ويزخر بالقوة والمتانة وتقمصه البلاغة بأبرادها القشبية، وتطغي على شاعريته روح إنسانية نبيلة تفيض برهافة الحس ورقة الشعور وهي ملتقى الحب والعاطفة على حدٍّ سواء.

وفي أدبه الرفيع ثورة عارمة على الاستعمار والمستعمرين أعداء الوطن الإسلامي والعربي، وعنده أن الأدب رسالة إنسانية يسمو بها الإنسان إلى مراتب الكمال الإنساني ولا يجوز اتخاذها وسيلة لتكوين شخصية فارغة (كاهيكل الأجوف) على حسابها عن طريق التزلف و"الملق، وبدافع اللاشعور والتفاني في حب الذات والتهالك على حب الظهور على جانب الأنانية الحمقاء والهوى والطيش والغرور".

أفهل يعتبر أدبيا ذلك الذي يجهل قيمة هذه الرسالة الخالدة السامية.

ولله در الشاعر الكبير أحمد الصافي النجفي إذ يقول:

هل ترتقي الآداب في عصرٍ به

لا صيتَ إلاَّ للأديب الموسر

فيبيع بالإعلان سقط متاعه

ويحيطها بتكبر، وتجبر

والآن دعني عزيزي القارئ أتحفك بغذاء روحي فكري بأن أقدم لك نتفاً من العزل الرائع الذي عودنا الأستاذ مرتضى الوهاب أن يعطر بنفحاته أجواء نفوسنا التواقّة إليه وان يفتح براعم قلوبنا الواهية بأريج نسّماته المنطلقة من جو شاعريته التي خيمت عليه العبقرية بسمائها الصافية.

وستجد نفسك وأنت تقرأ هذا الشعر الغزلي البديع أمام عبقرية " ابن
 زريق - وشوقي " وستلفحك حرارة الزفرات الصاعدة من أعماق فؤاده
 الكتوى بنار الوجد والهيام وهو في محراب الحب والهوى يستغيث وليس ثمة
 من مجيب :

أضنى مـضناك تـسـهـده
 يا من بوصالك يسعده
 قد طال بليل بـعـادك في
 محراب الحـب.. تـهـجـده
 يرميه الهجر على حرق
 سـهـما بـحـشاه يـسـدده
 لو قـض عـمارة مـضـجعه
 (شـبـح للـبـعد يـهـدده)
 أرسى أركان تفاؤله
 ومنام الشوك توسده
 يرتاد الكأس ويملي الرأس
 وينفي الرجس ويطرده
 وعلي شفـتيه صـرـيم اللـيل
 نشيد الحـب يـرـدده
 يا ليل الصب متى غده
 أقيام السـاعة مـوعـده؟"

كانت هذه استجابة لنداء عقيدة الشاعر ومدحه للإمام المهدي المنتظر عليه السلام بمناسبة مولده الأغر الذي يصادف اليوم الخامس عشر من شهر شعبان المعظم في كل عام.

وقد بدأها بالغزل كما رأيت، وبلغت هذه الخريدة حوالي السبعين بيتاً وفي أخرياتها يبث لواعج أشجانه من الواقع المرير بما فيه مآس ومظالم اجتماعية يتقرز منها كل ضمير حي يمت إلى الإيمان بصلة الروح والجوهر، فهو يستعرضها في أحسن صورة، ويجسدها في أجمل منظر، وأنت تشاهد فيه الإنسانية المعذبة على أيدي الناس خارجين على القيم والمثل العليا في مجتمع إسلامي، واليك خاتمة هذه القصيدة القيمة:

والعابد صار عدواً للدين

وللدينار تعب—ده

وأحل "الشرع" ربا الأموال

وكان حراماً—مورده

والعبد على الحر استولى

طمعاً واستاء—تودده

يا من قام لنصر الحق

وداعيه—يستجده

صرخ الإسلام لنجدته

(وطني والحق سينجده)

كانت هذه أنشودة الغزل وأغرودة الحب، وترنيمة العقيدة في إطارها البديع، وأنغامها العذبة التي تتراقص لوقعها أوتار القلوب، وقد تجلى فيها أيضاً شعوره الإنساني بمشاركة الفقراء والضعفاء والمساكين في جشوبة عيشهم، فتراهم يمثل واقعهم المزري عند وقوعهم في "شرك" المتاجرين بالظلم الاجتماعي السافر من آكلي "الربا" وهو المورد الحرام والسحت الفظيع بحكم الشريعة المقدسة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً..﴾. ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾. ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. وغيرها من الآيات البينات في كتاب الله الحكيم، التي فيها نهي قاطع من الله سبحانه وتعالى عن تعاطي المنافع الربوية التي أصبحت اليوم شيئاً مألوفاً بين الناس خلافاً لأوامر الله ونواهيه مع الأسف.

وترى كيف تطغى القسوة والغلظة والدناءة على الرحمة والعطف والمروءة؟

وأي إثم أكبر من استغلال جهود الفقراء والبؤساء وامتصاص دمائهم...، وافتراسهم بمخالب الظلم الفاحش وتقطيع أوصالهم بمباضع الجشع الخبيث؟ وهل ذلك كله من الإيمان أو الإسلام والضمير الإنساني في شيء!..!

إن الربا في حقيقته جريمة كبرى لا تغتفر، بل هو من كبائر الذنوب التي لا تمحى، لأنه يشل الحركة الاقتصادية ويعطل جهود العاملين في مجالات

النشاط والإنتاج ويكون سبباً مباشراً للبؤس والشقاء والحرمان وموت القابليات المواهب في حياة المجتمع إضافة إلى تفكيك عرى المحبة والصفاء والوئام وانعدام الثقة بين الأفراد، وحرب ضروس مع الله ورسوله يقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

فأين المرابون الظالمون من هذا الخطاب السماوي الصاعق؟.

أنا لا أدري كما وغيري أيضاً لا يدري كيف تستعمل هذه الشكليات التي يستسيغها المتخمون باسم الإسلام من المعاملات الربوية في أضعافها المضاعفة بإجرائهم مبايعة المقترض (المسكين) ببضاعة جد زهيدة أو سيجارة مثلاً!! وذلك لقاء ربح طائل من الفائدة المحرمة التي يجنونها منه ويستمرؤنها نحو (١٠ او ١٦%) أو يزيد على ذلك تناسباً مع جشعهم المقيت مع العلم إن المقترض مجبر بحكم ظروفه القاسية على الرضوخ بشكلياتهم هذه التي يرغمونه على تقبلها وهو إذ ذاك لا حول له ولا قوة يريد تمشية أمره مهما كلفته الظروف القاهرة على أيدي هؤلاء الآثمين ومن الجدير بالذكر إن معظم هؤلاء المرابين هم بين ظاهر مليح وباطن قبيح يبرأ منه الإسلام.

فالمقطوعة الشعري المتقدمة قد تعدت (الغزل) إلى الشعر الوجداني

والاجتماعي في أجلى مظاهرهما وأعمق معانيهما، وكذلك التقت مع
المقطوعة التالية في نفس الغرض، وهكذا يجب أن يكون الشعر معالجا للقضايا
والمشاكل الاجتماعية والدينية في واقع المجتمع فأقرأها معي لتعرف مآسي
وفداحة أضرار الربا في حياة الناس كما يصورها ويجسدها لنا شاعرنا
الوهاب: _

قل لقوم آزرُوا أهل الربا
وأحلّوه لهم في جملتين
هل يبيح الشرع تحليل الطلا
باعتبار الخمر ماءً أو لجين
إنهم في فعلهم من جهلهم
أبطلوا حكمة رب العالمين
هل علمتم إنما أكل الربا
يقطع المعروف بين الأخوين
هل علمتم إنما أكل الربا
يظهر العجز بقوت الكادحين
هل علمتم إنما أكل الربا
فيه تمجيد ثراء الموسرين
هل علمتم إنما أكل الربا
فيه تعطيل جهود العاملين

وننتقل من هذا الميدان الاجتماعي إلى رحاب الطبيعة ومسارح جمالها، فإن للطبيعة أثرها الكبير الفعال في تنمية القابليات الفكرية والنضوج العقلي، وهي تكاد تكون مصدر الإلهام حين يتغنى بها الشعراء، ويستلهمون منها الأغاريد، ولقد كانت لشاعرنا وقفة ذات مرة أمام "زنبقة" فتملكه الشعور بالأسى صرعها على يد صاحبه الذي تعشقها ولم يستطع صبراً حتى إذا مد إليها يده واقتطفها منفذاً بذلك حكم العشق وإرادة الحب.

وإنَّ للحب لأسراراً تعرف معانيها القلوب المتعطشة للوصال أيما تعطش.

فيصف لنا الأستاذ الوهاب واقع الحال لهذه (الزنبقة) الصريعة وهي بين قريناتها في رياضها الغناء، وما أجمل هذه اللوحة الفنية الخلابة التي رسمتها شاعريته المبدعة ببراعة وصفاء فكر، فإن شاعرنا في فنه رسام ماهر، وفي تفكيره شاعر حاذق وفي إنشاده بلبل صداح وهزار طروب فاستمع إلى ألحانه الشجية الرقيقة في وصف ما جرى لهذه الزنبقة:

ومفنتن باقتطفاف الزهور

وشم الرياحين وقت السحر

تخطي فجاس خلال الرياض

وقد بلل الزهر دمع المطر

فعاد به الزهر غص الاهاب

ندي العبير زهى الصور

فلاحت له بين تلك الزهور
"زنبقة" تتحدى القمر
تدله من سحر إغفائها
ومن طيب ريا شذاها سكر
تعشق فيها عروس الرياض
وراح يصبوب فيها النظر
فمد إليها يد الأثمين
مقتطفاً يا لإثم البشر
فرفت بكفيه مقطوعة
وقد ذبلت عندها بالأثر

لا شكَّ إنَّ هذا الوصف الرائع لاقتطاف (الزنبقة) الذي حدث على
مرأى منه قد رن في أعماق نفسك واخذ طريقه سويداء قلبك وهو مركز
العاطفة والشوق.

ويمتاز شعر (السيد الوهاب) بالروح التأملية الدقيقة والموسيقى العفوية
المنسجمة مع تفكيره وشعوره وإحساسه وحالاته النفسية التي تبدو طبيعية
ليس فيها شيء من التكلف والتصنع، لأنه من المهارة الفنية في أوسع نطاقها.
فاصنع إليه مرة أخرى في قصيدة (عودة الحبيب) لترى كيف يترجم أحاسيسه
بلغة الوجد والحنين الطافحة بمعاني الحب والغرام: —

زهر الحمى واستوطن الأحباب
 فاستوجب التقبيل والترحاب
 وأطلّ بدر الوصل ينشر نوره
 من برجه فاستقبله رحاب
 وجلت عن القلب المبرح شجوه
 شمس المنى فانجباب عنه سحاب
 وتخللته أشعة من نورها
 فاستحكمت بخيوطها الأسباب
 يا جوذراً باتت تحلق حوله الـ
 أحلام حيث أزيح عنه نقاب
 يا وحدة الحسن التي قيست بها
 صور المحاسن فاستقام حساب
 يا دمية الريحان والنبت الذي
 في عوده عذب الصبا ينساب
 نشرت أشعة طرفها سحراً به
 فتكت بليث الغاب حيث الغاب
 يا جنة الأحباب يا روض المنى
 حسدت بهاك كواعب أتراب

في ثغرها وخدودها وشفاهها الـ

شَّهد والتفاح والعنَّاب

يا نازلين حمى الفؤاد ترفقوا

من بعد لأي فالفؤاد مذاب

ثم انظر كيف تموج قريحته بالولاء لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام
وكيف تضطرب هذه الأمواج وتصطك كأن ينافس بعضها البعض لتجد
منطلقاً لها من خضم هذه القريحة لتجري في وهاد النفوس، وها هي قصيدته
العصماء في مولد أمير الحق والعدل والبلاغة وحكيم الإنسانية الإمام علي بن
أبي طالب عليه السلام وهي مزيج من الغزل والمدح والوصف والخيال
الواسع وفيها وقائع تاريخية تشع في خلالها مآثر الإمام البطل العظيم ومجده
الإنساني المشرق في آفاق هذا الوجود فاسمعه وهو يقول:

ركب الوجود شدا بعذب حدائه

ونفى العذار وشق برد حيائه

وتنافست أنغامه وتتابعته

تنساب كالأنوار في أجوائه

والدوح عاد إلى التصالي وانبرى

ماء الحياة يسيل في أعضائه

طرب العنادل والقمارى غردت

فوق الغصون اللدن في أفنائه

واخضر روض العيش ذبوله
 فاخضرت الأحلام في أنحائه
 وتناشد العشاق ألحان الهوى
 وفنون موسيقاه في أصدائه
 ومواكب النور استطالت في الفضاء
 فسمت من البطحا إلى جوزائه
 فاسمع حفيف الغصن حيث يميله
 طلق النسيم ومرتقى ورقائه
 لاحت تباشير الصباح ندية
 باطل فاستنشق شذا صهبائه
 والبيت شع بركنه ومقامه
 وسرى بزمزمه السنا وصفائه
 واستبشرت عرفاته شوقاً إلى
 النبأ العظيم يمور في أبهائه
 خرجت بكنز الله حيرى (أمه)
 حيث اقتضى التكوين في إبدائه
 حملته فانتبذت به البيت الذي
 خصت لوضع وليدها بلوائه

فاجاء "فاطمة المخاض" وقد جلا
 في الأرض (سيف الله) من
 وافي "علي" ساجداً وجبينه
 أثر السجود يلوح في سيمائه
 ولد الذي نسف التماثيل التي
 نصبت بيت الله في أفنائه
 ولد الذي دكّ العروش وكان في الـ
 هيجا ملوك الأرض من أسرائه
 ولد الذي خضعت لقائم سيفه
 أسد الشرى والوحش في بيدائه
 نفس النبي وصهره ووصيه
 وأبو الهداة الغر من أبنائه
 الصدق والإعجاز والإيثار في
 إيمانه وبيانه وبلائه
 والغيث والرعد المدوي والسنا
 من صوته وسخائه وبهائه
 قد طلق الدنيا ثلاثاً زاهداً
 فيها ولم يغتر بطول بقائه

لن ينج من نار الجحيم أخو تقى
 بسوى مودته وصدق ولائه
 طوبى لمن جاء "الإله" بحبه
 والويل لآتي غداً بعدائه
 سنّ الفصاحة والبيان بنطقه
 وبني لعلم "النحو" أسّ بنائه
 للغرب باتت معجزات بيانه
 واحتار فيه الصيد من بلغائه
 نهج البلاغة توأم القرآن في
 آياته قد صيغ من إيحائه
 فعنى به المستشرقون وأيّدوا
 إعجازه وخلوده ببقائه
 القابض الأرواح في حملاته
 والباسط الإرشاد في إفتائه
 المقبر الإلحاد في إحيائه
 والباعث الإيمان في أحيائه
 الراكع السجاد في محرابه
 والفالق الهامات في هيجائه

وقد بلغت هذه القصيدة (٦٠) بيتاً وكانت هذه مقتطفات منها وهي
لعمرى من ابلغ ما جاء في لغة المديح والثناء لوليد "الكعبة" المقدسة الإمام
علي عليه السلام .

وحريّ بفؤادك أن يغمره الخشوع مرة أخرى لهذه النفثات المتصاعدة من
أعماق قلب الشاعر وشاعريته القوية، وإلى هذه الألحان التي تعزف لها
الشاعر، وهو واقف موقف الإجلال والإعظام والتقديس أمام شخصية
عظيمة اكتحل بنور ميلادها الأغر بيت الإمامة الطاهر، فتراه يترنم ترنم
العاشق الموله في مدحه الرائع للإمام السبط الحسن الزكي شبل أسد الله
الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وما أجمل ما يتغزل بمولده المبارك في
مثل هذا البيان الساحر وفي هذه المقتطفات :

يا منى القلب الامه	يكنتم الصب هيامه
يكبت الوجد بحال	لم يطق فيها اكتتامه
شفه الهجران حتى	فضح الدمع غرامه
وتولاه نحول	صار في الحسم علامه
إلى قوله :-	

شعّ ثغر الفجر نوراً	وضوت منه ابتسامه
وتجلّى الحجر الأسود	في خدّك شامه
والهوى أصبح نجداً	وغشى عليا قهامه
وتغنى بهـواه	كل طير، وحمامه

صاح هَيَّا لصبوح	واملاً الكأس مدامه
خمرة تذهب عنا	(الرجس طهراً) والسامة
وانصب الأوتار تنسا	ب بشدو واستقامه
وأدر نخب وليد	حل في بيت الامامه
عظيم جل قدراً	واختصاصاً بالامامه
سبط "طه" الحسن	الزاكي وعنوان الكرامه
جود أهل البيت فيه	ولدى الحرب أسامه
كان للراية في صفين	أسأا ودعامه
في قتال شاب منه الـ	رأس إذ خاض قتامه

وله قصيدة أخرى في مدح الإمام علي عليه السلام تعتبر من عيون الشعر وقد بلغت (١٠٠)، منها ما يتعلق بيوم (الغدیر) وهو اليوم الذي نصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام خليفة على المسلمين بأمر من الله تعالى، فاستمع إلى وحي العقيدة من فم شاعرها:

ألست أولى بكم قال من

أنفسكم بالأمر قالوا بلى

قال لهم من كنت مولى له

حقاً فمولاه عليّ العلى

ثم دعا اللهم وال الذي

وإلى (علياً) واخذلن من قلى
 عبارة فاه بها المصطفى
 وحيأً من الله له انزلا
 مكرمة خص (علياً) بها
 انطقها نبيه المرسلا

ثم يتدرج الشاعر (الوهاب) في أغروده هذه إلى استعراض بطولات
 الإمام الجبارة في ميادين الحروب التي خاضها ضد الكفرة والمشركين والطغاة
 والتي كان هو - وحده - النصير الأول والأخير فيها للإسلام ولصاحب الرسالة
 المقدسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنك لست تقرأ شعراً مقفى
 فيما تقرأ وحسب، وإنما أمامك وبين يديك عقود من التاريخ الإسلامي في
 أعظم حوادثه وأهم ماجرياته منظومة في أحسن ما يكون النظم، وفي أروع ما
 يتجلى فيه الفن كما سترى: -

وقام يقضي أمرهم بينهم
 بعلمه في الشرع ما استمهلا
 وهو الذي لو شاء أفناهم
 بصارم في الحرب لن يفلأ
 وفيهم من فر في (خير)
 ومن (بأحد) فر مستعجلا
 فهو على نقيض أفعالهم

خَلَّد ذَكَرًا عَاطِرًا أَمْثَلَا
 فَيَوْم (بِـدِر) لِأَبِي خَالِدٍ
 بِرُوحِهِ إِلَى الرَّدَى عَجَّالَا
 وَخَيْرًا دَاهِمَهَا حِيدَرُ
 بَغِير (ذِي الْفَقَار) مَا قَتَلَا
 وَيَوْم (أَحَد) إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ
 كَتَائِبُ الشَّرْكَ تَهْزُ الْفَلَا
 فَفَرَّ عَنْ (أَحْمَد) أَصْحَابِهِ
 مُصْعَدِينَ فِي الْفَضَا أَرْجَلَا
 فَحَطَّم الْكَفَرِ وَأَوْدَاهُمُ
 حَتَّى غَدَا أَعْلَاهُمُ أَسْفَلَا
 فَانْهَزَمَ الشَّرْكَ عَلَى إِثْرِهَا
 حَيْثُ (لَعَمْرُو) فِي الْوَعْيِ جَدَلَا
 فَاخْتَبَأُوا وَنَالَ تَخْلِيدُهَا
 بِضَرْبَةٍ تَعْدِلُ ثَقْلَ الْمَلَا^(١)
 سَلِ الْمُتَقَفِّينَ عَنْ شَخْصِهِ
 وَالْعَارِفِينَ أَوَّلًا.. أَوَّلَا

١- قال رسول الله: - [ضربة علي في يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين].

ينبئك (جرداق - وجبراهم)
 ومن لَكُنْه ذاتِه حَلَّلا
 هذي سجاياه على فضلها
 جلت لدى الإحصاء ان تعدلا
 فلنستعظ نحن بإيثاره
 ولنتخذ أهدافه مؤثلا
 ولنحمل الشعب على وحدة
 نجبر فيها الخصم أن يرحلا
 وبعد أن وضع الشاعر أماننا صورا جليّة من مشاهد البطولات
 والتضحيات ومعجزات الشجاعة العلوية الخارقة التي أذهلت العقول وجعلتها
 في حيرة منها. وقف في ختام هذه القصيدة خاشعا بقلب كئيب من قضية
 (فلسطين) وهو يشارك اللاجئين العرب في مأساتهم الأليمة ويصب جام
 غضبه على اليهود الغاصبين أعداء الوطن العربي والإسلامي ويتمنى لو يثوب
 العرب إلى رشدهم ليكونوا وحدة فكرية وعسكرية متضامنة متضافرة بالقول
 والعمل لنسف هذه الدويلة اللقيطة وقد أجاد شاعرنا في قوله: -
 أمسى بنو (صهيون) في حقلنا
 جرّاد (بر) يقضم السنبل
 حوقلة الحياة أودت بها
 وأجلت اليافع والحوقلا

هذي جموع العرب مطرودة
 عن أرضها هائمة بالفلا
 تاركة جنات عدن بها
 تؤتى جناها القلب الجولا
 وانتشرت تحصد خيراتها
 أيدي ذئاب تحمل المنجلا
 إن اختلاف الرأي في أمرها
 أطمع فيها الصاغر الزملا
 من بات جنب البحر في مده
 أصبح والماء عليه اعتلا

وقال يرثي فقيد العلم والجهاد والإسلام الإمام المصلح المرحوم السيد
 عبد الحسين شرف الدين وقد أرخ وفاته في نهاية قصيدته. وها هو يردد نشيد
 الحزن والأسى في موجة دافقة من التعبير الشاعري الرقيق: —

الله أيّ بناء هد منخسفاً
 وأيّ بدر بآفاق الهدى خسفا
 وأيّ ركن من الدين الحنيف هوى
 وأيّ قرص ذكاء خر منخسفا
 وأيّ سفر طواه الدهر ذي خطر

وفلك أمن طواه الموج منجرفا
 وأي خطب عرى ماء الشجون جرى
 به وغير عير الدم ما نزفا
 خطب له نشرت بالحزن قاطبة
 أعلامها أمم الإسلام وأسفا
 إلى قوله: —

لبنان والشام ثم الرافدان معا
 والنيل كلا أرى للنوح منصرفا
 والعرب تندب والإسلام مغترف
 من المحاجر دمعاً سيّله وكفا
 فدى الحسين بنصر الحق مهجته
 وعبده أثره نهج الجهاد قفا
 لله مجتهد في الدين مضطهد
 قاسى العذاب وبالإيمان ما اختلفا
 سامته ظلما (فرنسا) العظيم حين لوى
 على العصا كفها واستأثرت صلفا
 تفوه معتقلا بعد انتصارهم
 إلى فلسطين بالإخلاص متصفا

جلا عن الوطن المحبوب مغتربا
 جلاء موسى لوائي (مدين) قرفا
 فأحرقوا داره من بعده حنقاً
 بنارهم وأبادوا الكتب والصحفا
 تذلل الصعب في ميدان حخته
 ومال كل عنيد فيه وانعطفا
 بك استطالت رياض العلم يانعة
 أثمارها فجلت مجنى ومقتطففا
 أفنيت عمرك بالأسفار تصدورها
 طبعاً ونشراً عليها ظلت معتكفا
 ليصر النور من أعشته داجية
 ويعرف الدرب من أخطاه منعطففا
 ويتبع النهج من زاغت بصيرته
 ويقتفى الحق من قد ضل منجرفا
 "بالنص والاجتهاد" المقتضى أثراً
 زداد علماً ويلقي عنه ما صدفا
 وفي "فصولك" للماضين رتب
 فصل الخطاب وفيها اثنان ما اختلفا

(مراجعاتك) تدعو من تخلف عن

قصد السبيل ليستهدى ويأتلفا

قضى يراعك فيها بالبيان على

ما يستراب وشيخ الأزهر اعترفا

سألت دين الهدى من زاده شرفا

فقال لي شرفاً عبد الحسين كفى

يا من تغرب عن لبنان موطنه

واستقبلته جموع (الطف) حين غفا

وجدد القرب "بالنورين" مرتحلا

وسار للمرتضى واستوطن النجفا

وهناك مساجلات شعرية بين شاعرنا العبقري مرتضى الوهاب

والمعروف الشيخ علي البازي الذي بعث إلى "الوهاب" بالأبيات التالية مؤرخاً

ميلاد كريمته "بشرى" في عام ١٣٧٥ قائلاً:

ألا يا مرتضى الوهاب يا بن البضعة الزهرا

حباك الله في بشراك فأهنأ واغنم الأجر

لكم تاريخها (يبدوا زفنا البشر في بشرى)

فرد عليه الأستاذ الوهاب بنفس القافية والوزن قائلاً: —

حباني شاعر الكوفة في تقريـضه فخرا

بدا بالفضل إذ كان بشكرى فضله أحرى
 كساني ثوب عزّ حيك من أبياته الغرا
 وقد سجل تاريخاً لميلاد ابنتي الصغرى
 وقد قال وما أحسن ما قال وما أطرى
 (لكم تاريخها يبدو زففنا البشر في بشرى)
 لذا أرخت ما أنشا بيت بعد ذا يترى
 (هلي طار بالشعر كهاز قد زها قدرا

١٣٧٥ هـ

وكان الشاعر الأملعي فضيلة العلامة الأسدي محمد هادي (الصدر)
 الذي كان قاضياً في المحكمة الشرعية بکربلاء لمدة أربعة عشر عاماً وعند ما
 نقل لمزاولة القضاء في المحكمة الشرعية في الحلة عام "١٩٥٤" بعث إلى شاعرنا
 بالبيتين التاليين: —

رحلت للحلة الفيحاء متجععا

مناهل العلم والتاريخ والأدب

فلا غرابة ان فاقت حواضرنا

(وفي الحمية معنى ليس في العنب)

فاستوضح الأستاذ الوهاب منهما أن السيد (الصدر) قد بالغ في تفضيل
 مدينة الحلة على مدينة كربلاء في النواحي العلمية والتاريخية والأدبية فبادر إليه

بتوجيه النقد الذاتي في أبيات رائعة مبيناً فيها أن كربلاء محلها في العلم والأدب والتاريخ محل القطب من الرchy، وهي لأهميتها العظيمة منار تشع منه أنوار الفضيلة والقداسة والمثل العليا تنير حياة الأجيال قديماً وحديثاً، وإن كل ما تملكه (الحلة) وغيرها من العلوم والآداب إنما هي قبسات من الإشراق العلمي والأدبي والفكري في هذا البلد المقدس العظيم وهكذا كان جواب شاعرنا الأستاذ الوهاب :-

مدينة السبط نور العلم يغمرها
فضلاً من الله إلهاماً بلا سبب
وأحرزت علمها الفيحاء عن تعب
تكلفاً فاستحقت عالي الرتب
فكربلاء فاقت الأمصار حيث غدا
مكائها (الصدر) في التاريخ والأدب
أين التكلف مما جاء موهبة
(وفي الحمية معنى ليس في العنب)

وعلى أثر ذلك كان سماحة الحجة السيد محمد هادي الصدر قد أعاد النظر في بيتيه السابقين وشطرهما تشطيراً بديعاً وأرسلهما إلى السيد الوهاب بقوله :-

(لئن رحلت إلى الفيحاء منتجعاً
فقد بلغت بوادي كربلاء إربي

فكربلاء علت بالدين ربتها
 (نوادي الشعر والتاريخ والأدب)
 (ولا غرابة أن فاقت حواضرنا)
 فدونها عالم الأفلاك والشهب
 ما بابل، بل وما الدنيا بأجمعها
 (وفي الحمية معنى ليس في العنب)
 وهذه نفحة أخرى من نفحات شاعرية (الوهاب) وعبقريته أرّخ بها
 ميلاد نجل المؤلف (ضياء) وهنأه بمقدمه قائلاً: -

لك الهنايا بن الرضا	بيمن ضيف طارق ^(١)
قد رسمت صورته	ريشة خير خالق
بجده الهادي سما	لشأو مجد لائق ^(٢)
بين الملا أرخته	(شعّ ضياء صادق)

٣٧٠ _ ٨١٢ _ ١٩٥ = ١٣٧٧ هـ

ولا يخلو أدب المساجلات الشعرية من فوائد معنوية كبيرة وأثر مباشر

١- الرضا: إشارة إلى والد المؤلف وهو الحاج السيد محمد رضا ولكن فيها تورية يفهم من معناها: الإمام الرضا من أهل البيت عليه السلام .

٢- والهادي: هو عم مؤلف و"جد" ولده ضياء لأمه وفيها أيضاً لطيفة تشير إلى الرسول الأعظم ' الذي من صفاته وألقابه الكريمة (الهادي الأمين).

في ازدهار الفكر ورفع المستوى الأدبي، فقد رد عليه المؤلف بنفس القافية والوزن بالمقطوعة التالية :-

بموج لطفٍ خارقٍ	غمرتُنا أبا العطا
من وفاء صادق	من عطفك النابع فيك
فاحت كزهر عابق	أتحفتنا خريدة
من روض شعر رائق	أبهجننا نسيمة
كنشوة المعانق	سرى إلى نفوسنا
من ماهر وحاذاق	بوركت يا شاعرنا
أفكارك البوارق	ركبت متن الشعر من
تزهو بمجد لائق	حتى بلغت قمة
من حاسد أو حانق	يا بئس من يغيظه
بذا المقام الشاهق	إن ترتقي سالما
ني حقير ناعق	دع جانباً كل أنا
وحاقد ممذاق	وطائش مراهق
وجاهل منافق	وغارق في زهو
يا ذا الجميل السابق	ملكنتني أبا العطا
تاريخ بالحقائق	حييت يا فنان في الـ
معروف بالسوابق	وأنت أنت الشاعر الـ

تصور الأمور والـ	أحداث لم تفارق
بريشة قدارة	ونور فكر بارق
قريحة فياضة	كالسحب الرقارق
موهبة أوتيتها	سبحانه من رازق
قد قيل من أشعركم؟	قلت برأي واثق:
أبو (عطاء) أنه	أضحى كنجم شارق
فلا أرائيك وهذا	الشعر خير ناطق
جاء إليك عن فؤاد	بلسان صادق

أما شعر الأستاذ مرتضى الوهاب في التأريخ فهو الفن الجميل الذي لا يجاريه فيه احد من الشعراء العرب في العراق وغيره من حيث ضبط الحساب والمعاني المطابقة للأغراض التي ينظم من أجلها هذا النوع من الشعر وقد قلت آنفاً إن المرحوم الخالد الذكر الشيخ محمد علي اليعقوبي قد أذعن للنقد الوجيه الذي قدمه إليه شاعرنا الوهاب في هذا الفن الشعري.

وإليك هذا النموذج الرائع يؤرخ به (الألفية الهائية) للمرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزي في مدح الرسول الأعظم والإمام علي والزهراء عليهما السلام الموسومة بـ (فريدة البيان) جاء فيه: —

ألفية أم روضة للزهـور

فريدة أم مجمع للبحـور

أم مرج البحرين اذ يخرج
اللؤلؤ والمرجان حلى الصدور
أم لج بحر من خيال به
تجرى جوارى منشآت الشعور
أم غاب أسد برزت أسده
زئيرها يملأ سمع الدهور
بألف بيت حجر ثابت
إشعاعه في الحق نار ونور
في مدح أهل البيت نور وفي
أصلاء أهل البغي نار تفور
حاز (الحويزي) بها رتبة
لأجلها خلد مد العصور
نال وسام الفخر من (أحمد)
ونال من (حيدر) رمز العبور
وفاطم الطاهر وأبنائها
تاجرهم (تجارة لن تبور)
أظهر فيها الحق مع (حيدر)
وحيما دار (علي) يدور

لخاطبي الفن وأهل النهى
وللعللى قلائد في النحور
لدى الصراط في الجزأ أرخت
(فردية البيان صد المروور)

٦٩٤_٩٤_١١٠_٤٧٧ سنة ١٣٧٥ هـ

وقال في رثاء نابغة الأدب العربي المرحوم الشيخ (الحويزي) الكربلائي
قصيدة جاءت روعة ساحرة في البلاغة والوصف والتعبير ألقى في ذكره
الأربعينية عام "١٣٧٧ هـ" وكان المؤلف من المساهمين فيها، وسترى كيف يث
شاعرنا شجونه في فاجعة الأدب والشعر بموت هذا الفقيه الخالد بقوله: _
نعاك بالويل ناعى النظم والشر

فغبت منطوياً في صفحة الدهر^(١)
وأصبح الطف يبكي روح شاعره
مذ غبت مرتحلاً بالأدمع الحمر
فأقفرت منك جنات البيان وقد
كانت مظلة بالدوح والزهر
وأوحشت منك للأداب أندية
كانت مزودة بالمؤنس النضر

واظلمت منك للشعر الرصين سما
كانت منورة بالأنجم الزهر
وغاص بحر المعاني حيث كان هدى
يفيض بالؤلؤ المكنون والدرّ
نظمت بالمصطفى الهادي وعترته
مدحاً ترده الأجيال بالذكر
مخلداً حين يتلى في فضائلهم
يضع منه لذكراهم شذا العطر
سبقت في مدحهم أهل المديح بما
أبدعت في شعرك الراقي مدى الدهر
لم يرق شأوك فيما قد مدحت به
الغر الميامين إلا محكم الذكر
نشرت في فضل "أهل البيت" مفتخراً
صحائفاً كل عنها متدى النشر
بلغت في كل فن أوج غايته
من الكلام بما يسمو عن القصر
يا مكثراً ومجيداً في فرائده
أمسى القريض عليه لاطم الصدر

إلى قوله :

أتى بألفية بز الألف بها

كما شأت ألف شهر ليلة القدر

فيها لآل رسول الله صدق ولا

وفاز بالخلد من وإلى (أولي الأمر)

ساروا بنعشك بعد الجهد في فئة

ناعت به مثقلا بالعلم والفخر

مذ أودعوا حجة الإسلام ما علموا

بأنهم أودعوا الإعجاز في القبر

قضى الحسين وهذا عبده أسفاً

من المحرم أودى أول الشهر

مذ غاب وحي القوافي الغر أرّخه

(مات الحويزي ربّ الوحي

"١٣٧٧ هـ

وفي عام ١٩٥٥ تم تذهيب "قبة" روضة سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام بطل الإسلام العظيم، وحامل لواء أخيه الحسين عليه السلام وحارس مخيمه الأمين، ورجل الشهامة والوفاء والإباء، والبطولة والتضحية الخالدة التي هي في مفاهيمها القيمة أكاليل مشرقة من الشرف الإنساني الباذخ تؤطر وما

زالت اسم "العباس" بالمجد المؤثل وهو شبل أبيه الأسد علي بن أبي طالب عليه السلام .

لقد ضرب هذا البطل الفذ أروع المثل في جهاده المشرف "المنقطع النظير" في سبيل الله والعقيدة والإيمان والحق والكرامة والمثل العليا والقيم السامية، وفي سبيل نصرة أخيه الإمام الشهيد الحسين عليه السلام في وادي كربلاء يوم حاصرته الفئات الباغية من جيوش الكفر والغدر والخيانة والرذيلة وقتلته وأصحابه الميامين وذويه الكرام ظمأ في وحشية فظيعة لا تعرف شريعة الغاب لها مثيلاً.

وذلك تنفيذاً لأوامر الطاغية الأثيم ربيب الشرك والإلحاد "يزيد بن معاوية" الأموي.

والعباس هو ذلك العملاق الذي كان يخافه الأبطال، وترتعد لهيبته الفروسية وصولاته الحربية فرائص الكفرة والمشركين وأبطالهم من أعداء الإسلام. وهو ذلك الإنسان الذي عرف الحق وآمن به بقلبه وروحه وكل جوارحه، واستشهد من أجله، وهو ذلك البطل القاهر الذي انتدبه الحسين ليجلب الماء من "الفرات" ويسقي به الأهل والعيال والأطفال.

فاستجاب لنداء أخيه الإمام واقتحم بنفسه جحافل الشرك والضلال وفرقها يميناً ويسرة وتزل إلى "المشرعة" وغرف الماء بيده ليشرب ولكنه إذ ذاك تذكر عطش أخيه الحسين وأصحابه وأطفاله وهزته أريجية النفس العامرة برسوخ الإيمان والولاء فخاطب نفسه قائلاً: —

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعده لا كنت أن تكـوني
هذا الحسين شارب المنون
وتـشربين بـارد العـين

ثم رمى الماء من يده ولم يذقه قط إذ لم يشأ تفضيل نفسه على أخيه الإمام المظلوم في سد غائلة العطش في أشد حالاته، وذلك هو معنى الوفاء الإيثار، ومعنى الأخوة الصادقة التي تجسدت معاملها الوضاعة في شخص "العباس البطل" وكان هو خير مثال لهي وكفى، وحمل الماء إلى مخيم العيال والأنصار وفي عودته قابلته السيوف من كل جانب ومكان حتى ذهبت كلتا يديه ووقع صريعاً على الأرض وتلك هي حياة العظماء الخالدين وقادة الحرية والتحرر والإنساني في دنيا البشرية.

ولقد كان تذهيب (قبة) الروضة العباسية المطهرة من دواعي الغبطة والبهجة والسرور لكافة المسلمين الموالين لأهل البيت الإبرار عليهم السلام وكان لكثير من الشعراء المخلصين في إيمانهم وعقيدتهم دور كبير من المباراة في مجال التعبير الصادق عن معاني غبطة - ومشاعر الجماهير المؤمنة التي يحتل "العباس" أسمى المنازل في أعماق نفوسها.

وكان منهم شاعرنا الفذ السيد مرتضى الوهاب الذي صاغ من فكره وإيمانه قلائد من الشعر الموشح الرائع مؤرخاً به تذهيب "القبة" في طريقته الفنية التي يبدع فيها أيما إبداع، فانظر إلى ذلك بمنظار الذوق والسليقة فهو

فن، والفن موهبة، والموهبة من هذا النوع جديرة بالتقدير والخلود.
واليك بعض ما جاء في هذه الموشحات في لحنها الجميل، وما يتخللها
من أغاريد الشاعرية الخنصة وما فيها من خيال واسع يخلق فيه بالوصف
الخلاب: _

شعّ ثغر الفجر نوراً وانجلي
عن سما الدنيا رداء الغيب^(١)
خلتها بالتبر لما برقت
نار موسى جانب الطور بدت
أم سنا الشمس جلالاً سجدت
أم غريض الماء يشفى الغلا
سال مشفوعاً بنهر سرب
أنثار الورد في الروض انتشر
فترا أي كاللألى للبشر
أم ترى أدركت الشمس القمر
أم جلال الله بالقـدس جلا
فتجلى للورى عن كـثـب
من بوجه الجيش فرداً غبرا

وأذاق القوم موتاً أحمر
فاتحاً نحو الفرات انحدر
غرف الماء وعنه عدلا
ذكر السبط ولما يشرب
قبة فوق الثريا ارتفعت
وعلى الآفاق بدرأ طلعت
من أبي الفضل بنور سطعت
وحكى تاريخها صدقاً على
(مرقد العباس تاج الذهب)

١٩٥٥=١١٤٢_٥٠٨_٣٠٥

وشعر الأستاذ الوهاب التاريخي على اختلاف اتجاهاته وأغراضه كثير
وكثير جداً، ومعظم منشور على صفحات الكتب والمجلات ويكفيها والقارئ
الكريم ما قدمناه في هذه الدراسة من نماذج مختلفة منه.

وخلاصة القول: _ إن السيد مرتضى الوهاب مفخرة كربلاء وموضع
تقدير أبنائها وأدبائها وشعرائها المعاصرين، وقد نالت هذه المدينة نصيبها
الوافر من الازدهار في الحركة الأدبية بواسطته سواء في حفلاتها التي يساهم
فيها بإنتاجه النفيس، أو النشرات الأدبية التي تصدر عنها بين حين وآخر، أو
الندوات الأدبية التي يهيمن عليها بفكرة الثاقب وأدبه الرفيع.

وأراني قد أدّيت ما تيسر لي من الواجب الأدبي لاستأذنا وشاعرنا

العبقري "أبي عطاء" الذي جمعنا به رابطة الأدب والصدقة منذ ١٦ عاماً أو تزيد عرفته خلالها أنساناً نبيلاً محباً للخير متواضعاً يفيض خلقاً وفضيلة وحماساً شديداً في الوطنية الصادقة واعتزازاً بدينه وقوميته.

وليس الأستاذ "الوهاب" شاعر كربلاء فحسب، بل يُعدُّ من شعراء العراق المعاصرين ويلتقي مع أقطاب الفكر والأدب اللامعين في "القمة" بموهبته وعبقريته بالرغم من انه يؤثر العزلة والانزواء.

وأودُّ أن تحفل هذه الدراسة في خاتمة مطافها بذكرى رجل جليل الشخصية رفيع المكانة، خالد ما خلد العلم والأدب والشعر وهو المرحوم السيد عبد الوهاب (آل الوهاب) وكان عالماً فاضلاً ومن فحول شعراء كربلاء الخالدين، وموضع تقدير واحترام فطاحل العلماء والفقهاء وأرباب الفكر وعلى رأسهم حجة الإسلام والمسلمين العلامة الكبير المرجع الديني المرحوم السيد محمد باقر الطباطبائي المتوفى عام "١٣٣٣هـ".

وكان السيد (الوهاب) يحضر مجالسهم ويتباحث وإياهم في أصول الفقه والعلوم الفكرية والإسلامية ويناقشهم فيها، وهو أول شاعر نبغ من أسرة (آل الوهاب) وأما الشاعر الثاني لهذه الأسرة فهو السيد مرتضى. وقد توفي السيد عبد الوهاب عام (١٣٢٢هـ) بمرض البوء.

ومّا يؤسف له أشد الأسف إنّ كل ما أنتجته قريحته من الشعر في شتى الأغراض والمناسبات قد ذهب عرضة للضياع الأمر الذي جعله مغموراً في مطاوي النسيان بيد أن قصيدة واحدة فقط بقيت من ثروته الشعرية وهي في

رثاء جده الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام بلغت "٦٤" بيتاً وهي
من عيون الشعر العربي، ومما جاء فيها:-

ذكرت سيوف العرب من آل هاشم

غدت بسيوف (الهند) وهي تهشم

وتلك الوجوه الغر بالطف أصبحت

يحطمها شوك الوشيح المثلّم

تساقوا كؤوس الموت حتى اثنوا وهم

نشاوى على وجه البسيطة نوم

قضوا فقضوا حق المعالي أماجداً

بيوم له الأسد الضياغم تحجم

ولم يبق إلا السبط في الجمع مفرداً

ولا ناصر الاحسام ولهزم

لئن عاد فرداً جيش عرمرم

ففي كل عضو منه جيش عرمرم

وقد تكّرم علينا بهذه القصيدة مشكوراً فضيلة البحثة السيد مجيد السيد

سلمان الوهاب من (آل طعمة) وهو في العقد السابع من عمره متبحر في

التاريخ وحدثني عن شخصية هذا العالم والشاعر الفحل بما فتح، أما من باب

الكلام عنه تخليداً لذكره وشاعريته البارعة، وإذ أحيينا للشاعر المغمور ذكراً

فإن الفضل يعود في ذلك لسيدنا - المجيد - طبعاً.

الدكتور



صالح جواد آل طعمة

الأدب مقياس الفضيلة والكمال، والشعور
والعاطفة، وجزء طبيعي من كيان الإنسان في ذات
الأديب.

وهو كذلك فن بديع من الفنون المستوحاة من عالم الفكر فتري في
معالمها الوضاعة مشاهد الطبيعة. وجمال الكون، وصور الحياة التي تستهوي
العقول والألباب، وتعي حقائقها القلوب، وتنطوي في مسارحها الأمم
والأجيال على تعاقب الأزمان ومر العصور بينما تبقى آثارها العلمية وفنونها
الفكرية وحضاراتها شامخة المجد رفيعة الكيان، زاهرة المعالم، محصنة بالخلود.

ولا شك إن الفكر كلما كان ناضجاً، والعقل كلما اتَّسم بمستوى
الكمال، والعبقرية كلما حلت في رؤوس المفكرين، كانت البشرية أكثر
تقدُّماً، وأعظم حضارة والحياة أكثر جمالاً وازدهاراً.

فإنّ المفكرين والعباقرة والفلاسفة هم نوابغ الأمم وأفذاذها وقادة
البشرية منذ وهب الله العقل والفكر والعبقرية للإنسان وجعله أشرف مخلوق
في ظل الكون وفي أحضان هذا الوجود.

وإذا تكاملت العناصر الإنسانية لأية أمة من أمم الدنيا فإن تكاملها بوجود علمائها ومفكرها.

ولئن تعاظمت شخصيتها وتسامت في قمة الحياة فإنما سبب عظمتها الشخصية هم أصحاب المواهب والعبقريات المتفجرة وفي طليعتهم الأدباء والشعراء.

فالأدباء والشعراء أشبه بالنجوم السواطع في سماء الفكر تزهو وتزدهي بها بلادهم في شرق الأرض وغربها، وهم المصاييح التي تنير دروب الحياة لكيلا ترى إلا نوراً متلألاً تتمزق بأشعته غياهب الجهل، وتنقشع وتزول، فيبدو الطريق إذ ذاك لاحقاً مستقيماً لا وعورة فيه، ولا عقبة كأداء أمام الإنسان بل أمام الأجيال كلها.

وليس أصدق دليل على ما نقول سوى التاريخ، وسوى التراث الفكري الخالد الذي تركه لنا عمالقة الفكر الإنساني الموهوبون، ونوابغو البشرية في مختلف عصورها، وكذلك عباقرة الفنون والآداب في أمتنا العربية والإسلامية على الأخص..... .

الذين اكتشفوا بعقولهم الجبارة النيرة إسرار الحياة، وتواصلوا إلى حقائق القيم والمثل العليا، وكنوز الإنسانية الحقة، وجعلوا من أنفسهم شموعاً تحترق وتذوب من أجل الإنسان وفي سبيل رقيه وازدهاره ورفع مستواه الإنساني على الأرض، وقد عاشوا ولا يزالون يعيشون في قلوب الناس، وفي أعماق أعماقها، بمثل ما يعيش الناس أبداً في أفكارهم وعقولهم ومواهبهم وطاقاتهم

المتفجرة حتى إذا كان التاريخ وهذا التراث نتيجة ذلك التجاوب الروحي والفكري والعاطفي والإنساني.

أجل: هذا هو الأدب وأثره المباشر في حياة الشعوب، والمقياس الصحيح الذي يعرف على ضوئه مدى تقدمها أو تأخرها رقيها أو انحطاطها الخ.

فرقيّ الأمم وازدهارها في الحياة لا يقتصر على العلم وحده وحسب وإنما يتم بالعلم والأدب معاً على اختلاف مجالاتهما وفنونهما، ويتعاون العلماء والأدباء في كافة الميادين.

ومن طلائع الأدباء، الذين تفخر بهم الحياة، وتتجلى بهم مظاهر الأدب ومعاله الإنسانية في عراقنا الحبيب هو الدكتور (صالح) وأمثاله من بناء الفكر وقادته.

فلنا جولة واسعة في هذه الدارسة بعد هذا العرض التمهيدي عنه فيما تقدم، فهو من الشخصيات الأدبية الكربلائية الفذة التي تجاوزت بعبريتها حدود الأوساط المحلية إلى نطاق أوسع تدخل في فلكه البلاد العربية جمعاء.

مولده ونشأته وأسرته

ولد في كربلاء عام (١٩٣٠) واكتحلت عيناه بنور الحياة على هذه الأرض الطيبة، وبذل أبواه أقصى الجهود في تربيته مادياً ومعنوياً، وعملاً سوية لإعداده للحياة إعداداً صالحاً، أو نموذجاً رائعاً للإعداد الصالح.

وكانت مدرسته الأولى بالذات أحضان والديه التي هيّأت له لأن يشق

طريقه في الحياة باتجاه سليم تحدوه الآمال والأمنيات العذاب التي كانت بحق مواعيد صادقة كتبت له اللقاء الأكيد مع مستقبله الزاهر الذي كان ينتظر احدهما الآخر على صعيد الرقي وكان على الأخص (لوالدته) أكبر الأثر في ذلك الإعداد الفذ حتى إذا نبغ حقاً صالح النشأة والعقل والتفكير، ومثالا سامياً للنبل والفضيلة والأخلاق الكريمة.

وكان (صالح) يشعر في أعماق نفسه وهو في أدوار نشأته الأولى وتحت أمواج عاطفة الأبوة، وحنان الأمومة، بأنه سوف يكون شيئاً في الحياة. وكان يرافقه ذلك الشعور أيام كان طفلاً فصيباً، فشاباً غص الإهاب. كما يرجع هذا الشعور أيضاً إلى قابلياته الفطرية التي كانت توحى إليه بتنبؤات تبلورت في نفسه وزادته طموحا في تحقيقها بعزم ونشاط نابعين من تفكيره الجدي في العمل وثقته بذاته، واعتداده بنفسه.

وكانت إمارات النبوغ ومعالم العبقرية على رغم حداثة قد نقشت خطوطها البارزة في محياه الوسيم بريشة الذكاء المفرط العجيب، حتى كان الناظر إليه يتوهم فيه معالم الرفعة والسمو في مستقبل أفضل يشارف فيه ذروة الشخصية ليستوي بها مع النوابغ والمفكرين الأقطاب على الصعيد العربي والإنساني، وحقاً لقد صدقت تلك النبوءات تلك الأحلام.

أمّا أسرة شاعرنا فإنّ الحديث عنها أشبه بـ(نقل التمر إلى هجر) كما يقولون. إذ هي غنية عن التعريف وليس ثمة من لا يعرف أسرة "آل طعمة" العربية، والعلوية أصلاً ومحتدّاً، والموسوية حسباً ونسباً، والتي هي أقدم أسرة

قد استوطنت كربلاء^(١).

وقد نبغ فيها في ميادين العلم والأدب والسياسة رجال عظام وعباقره
أعلام، وشخصيات لامعة فذة.

فمنها نقباء السادة والأشراف، ومنها "سدنة الروضتين المقدستين" منذ
القرون الغابرة حتى اليوم مما يزيد بها كل ذلك فخراً واعتزازاً بأرومتها الطيبة
وأجادها الزاهرة الخالدة ومكانتها الرفيعة بني الناس.

وثلاثة هم الذين سمو بـ(طعمة) من هذه الأسرة التي كانت تعرف قديماً

١- كان أول من هاجر إلى كربلاء هو (إبراهيم المجاب بن محمد العابدين الإمام موسى بن
جعفر عليه السلام وكان مكفوف البصر، وضريحه في الزاوية الشمالية من الرواق الغربي للروضة
الحسينية المقدسة وقد ذكره جلّ المؤرخين في كتب التواريخ والأنساب قديماً وحديثاً، راجع كتاب
(تاريخ كربلاء وحائر الحسين) للمرحوم الدكتور السيد عبد الجواد الكلدار "آل طعمة" - ١٣٦٨ هـ -
١٩٤٦ م - ص ١٤٠ وكتاب "عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب" وكتاب "تحفة الأزهار وزلال
الأفهار في نسب أولاد الأئمة الأطهار" - ^١ - تأليف "ابن شذقم" مخطوط. وكتاب "نزهة أهل الحرمين
في عمارة المشهدين" للعالم المحقق العلم المرحوم السيد حسن الصدر حيث جاء في ص ٣٦ - ما
نصه: "فاعلم أن آل إبراهيم المجاب ويقال له إبراهيم الضير الكوفي بن محمد العابدين الإمام
موسى بن جعفر عليه السلام أول من سكنوا الحائر فيما اعلم ولم أعثر على من تقدم في المجاورة
عليهم.

وقد كانت هجرة إبراهيم المجاب إلى كربلاء على رأس رهط من أهل بيته وذوي قرباه في
عهد "المنتصر بالله العباسي الذي قتل أباه المتوكل" وأمر بتشييد "القبة" لمرقد الإمام الحسن عليه
السلام - العمارة الثالثة - التي سبق أن هدمها "أبوه المتوكل" من قبل. راجع - مدينة الحسين - وراجع
أيضاً: (البيوتات العلوية تأليف السيد محمد إبراهيم الملقب بـ(السيد شمس الدين القزويني)).

ب "آل فائز" نسبة إلى أبي الفائز محمد^(١) وهم كما يلي :ـ

(طعمة الثالث) :ـ نقيب الأشراف بن علم الدين بن (طعمة الثاني)
نقيب الأشراف بن شرف الدين نقيب الأشراف بن [طعمة الأول] كمال
الدين نقيب الأشراف بن أبي جعفر محمد بن يحيى ضياء الدين بن أبي جعفر

١- كانت محلة باب السلامة اليوم في كربلاء تعرف بمحلة (آل فائز) في العهود القديمة وقد
جاء في رحلة بن بطوطة ص : ١٣٩ ما يؤيد ذلك بقوله :ـ "وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد "زحيك
وأولاد فائز" وبينهما القتال أبداً وهم جميعاً "إمامية" - يرجعون إلى أب واحد ولأجل فتنتهم تخربت
هذه المدينة".

وقال المرحوم العلامة الشيخ محمد السماوي متفاخراً بأسرة (آل فائز - أو آل طعمة)
ورجالاً لها الأعظم وهذا بعض ما ورد في أرجوزته الرائعة في هذا الشأن، بقوله :ـ

لم يك رهط مثل آل الفائز

بنائـل النقابة أو حـائـر

فقد مضت في كربلاء قرون

منهم نقيب كربلاء يكون

مثلاً أبي الفائز أو محمد

أو طعمة الاول مقول الندي

أو شرف الدين الفتى أو طعمة

الثاني أو خليفة بن نعمة

محمد بن أحمد أبي ظراس^(١) بن أبي الفائز محمد بن أبي جعفر محمد بن علي الغريق بن أبي جعفر الحبر الملقب بخير العمال بن أبي الحسن علي المجدور بن أبي عانقة أحمد بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد^(٢) بن الإمام موسى بن جعفر الصادق عليه السلام .

والسيد طعمة الثالث كان عالماً فاضلاً جليلاً وهو الواقف للأراضي الواسعة المشهورة بـ "فدان السادة" الواقعة في شمالي كربلاء في حدود المدينة على أولاده الذكور في عام "١٠٢٥هـ" وإنَّ شهرة "آل طعمة" اليوم هي منه وإليه وقد تفرَّعت منهم أفخاذ كثيرة.^(٣)

١- السيد أحمد هو المشهور لدى عامة الناس خطأ بـ [أحمد بن هاشم] الناظر لرأس العين والمدفون في شفاثا والمكنى بأبي ضراس وقبره يزار وكراماته مشهورة.

٢- محمد العابد مدفون في شيراز وله مرقد وروضة زاهرة يزورها الناس كبقية العتبات المقدسة. وهناك أيضاً مرقد أخيه أحمد الورع الشهير بـ "شاه جراغ".

٣- وأشهر هذه الأفخاذ اليوم هي: بيت الوهاب - بيت مصطفى - بيت الشروفي - بيت فتح الله - بيت رزوق - بيت القطب - بيت عوج وغيرها من الأفخاذ التي لا مجال لذكرها.

وإنَّ المشجرات العائلية التي توجد لدى الكثيرين من أفراد الأسرة هي من تحرير وتنميق والد المؤلف الحاج السيد محمد رضا آل طعمة حفظه الله وهو على الرغم من بلوغه حدود الثمانين عاماً ولوع بها منذ سنوات طويلة باعتباره واسع الاطلاع في قضايا الأنساب وخاصة نسب هذه الأسرة وأستاذ في فن الخط العربي والفارسي وقد كتب لحد الآن أربعة مصاحف من القرآن الكريم على شكل "أحزاب" متجزئة وأوقفها على مجالس الفاتحة التي تقام في الروضتين المقدستين وذلك بالخط النسخي الفاخر النفيس وهي الباقيات الصالحات. وما من مولود ذكر يولد لأفراد الأسرة في أيّ (فخذ أو فرع) إلا ويخبره وليّ أمره لتسجيله في المشجرة الأصلية لديه.

ومن طعمة الأول يتفرع نسب السادة (آل ضياء الدين) كما أن (من علم الدين) يتفرع نسب السادة "آل نصر الله" كما يلي: علم الدين - جميل - يونس - ناصر الدين - نصر الله ومن طعمة الثاني يتفرع نسب (آل تاجر) وآل جلوخان والسيد صالح (المترجم له) هو ابن السيد جواد بن السيد كاظم ابن السيد مرتضى بن السيد مصطفى بن السيد أحمد بن السيد يحيى نقيب الأشراف بن السيد خليفة بن السيد نعمة الله بن السيد طعمة الثالث.

الدكتور صالح وبداية حياته الأدبية

ما زال يتمثل أمامي الماضي البعيد (وكأنه الأمس القريب) وفيه تجسيد حي للذكريات الغالية التي طبعتها أيام طفولتنا الحلوة على صفحات قلوبنا لتبقى خالدة فيها ما دامت تنبض بالحياة وما أجمل ذلك العهد... وما أبهج ما فيه من ذكريات،...!

لقد كان يجمعنا بيت واحد ولدنا فيه ونشأنا سوية في أحضانه على بساط الحب وصفاء الأخوة الروحية، ووشائج القرى الوثيقة.

ولقد تتلمذنا معاً على المربي الكفاء المرحوم الشيخ محمد السراج الأسدي المعروف بـ (أبو خمرة) المتوفى عام (١٣٦١ هـ - ١٩٤١ م) في مكتبه المزدحم الصاخب، بعشرات الطلاب، وكان يشغل الزاوية - الشمالية - الغربية من الصحن الحسيني الشريف.

أمّا الشيخ محمد هذا فقد كان يمتاز عن معاصريه م شيوخ الكتاتيب باعتباره رجلاً عربياً فاضلاً، وشاعراً شهيراً من الشعراء الشعبيين في كربلاء

وشعر القريض أحياناً ومن قوله في القريض: —

فإلى متى يا قلب ويحك جاهل

فاحذر من الدنيا فأنتك غافل

وإذا حملت إلى القبور جنازة

فاعلم بأنك عن قريب راحل

وله أبيات متفرقة في القريض.

وكان معظم تلاميذه من أبناء البيوتات العربية المرموقة التي تمثل طبقات الأشراف والأعيان والوجهاء في البلد.

وفي أواخر الحكم العثماني كان شيوخ الكتاتيب كثيرين في كربلاء وكانوا عرباً على الأغلب ونذكر منهم المرحوم الشيخ علي العاملي والمرحوم الشيخ حمد الحويزي وكان خطاطاً ماهراً قديراً وخاصة في خط الثلث والنسخ.

وأما من المعاصرين للشيخ محمد (أبو خمرة) فهم المغفور لهم: الشيخ عبد الكريم الكربلائي وكان رجلاً فاضلاً ومن أقطاب الأدب الشعبي في كربلاء يشار إليه بالبنان وله ديوانان مطبوعان في الشعر الشعبي الفاخر في مدائح ومراثي (أهل البيت - عليهم السلام -) تحت عنوان: (المنظومات الحسينية) وله بعض الدواوين الخطية الأخرى وقد توفي في ١٩ ذي الحجة عام (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م).

وأما من الإيرانيين فالبارزون منهم المرحوم الشيخ محمد علي النائيني

وشقيقه الشيخ علي أكبر النائيني أستاذ الخط النسخي والفارسي المتوفى عام "١٣٨٥ هـ" والشيخ مهدي الراجي الذي هو الآخر خطاط ماهر وقد ترك منذ زمن بعيد مهنة التعليم لكبر سنه وما زال حياً.

حقيقة الوضع في الكتاتيب

ولعلنا لا نخرج عن الصواب حين نستعرض بدقة وضع الكتاتيب ونصور واقعها الذي كانت تعيشه سابقاً، وربما لم ينقطع أثرها حتى اليوم في بعض الأمكنة فنقول:

مسجد صغير تكاد تنقبض فيه النفوس، أو فناء دار تكاد أن تتداعى، أو حجرة ضيقة يكاد جوها القائم أن يخنق الأنفاس ويلعب فيها جيش لجب من الذباب لما فيها من أوساخ قذرة، وروائح كريهة تنته، وسبب ذلك انه كانت معتادة على ذلك الوضع لا تعرف شيئاً من وجوه النظافة على الإطلاق.

وكانت خاضعة بالإضافة إلى ذلك لطقوس الجو وعوامل الطبيعة من برد قارس في الشتاء، وحمارة القيض في الصيف، وعلى الأخص إذ كانت في (الصحن) مثلاً، وهذه الأسباب كان التلاميذ يتعرضون لبعض الأمراض بين حين وآخر.

وكنت ترى التلاميذ في هذه الكتاتيب على اختلاف أمكنتها يدرجون الأيام والأسابيع والأشهر وربما السنين الطوال أرقاما متسلسلة في حساب الزمن والعمر دون إحساس. ودون أن تتسع مداركهم العقلية، من زيادة في العلم.

وكانت المعلومات التي يتلقونها يومياً جامدة ومحدودة لا تتعدى القرآن الكريم ومبادئ، الحساب الأولية وأداء الفرائض اليومية وحسب. وأما الثقافة بمعناها الجوهرية فهي عديمة الوجود في قاموس الكتاتيب على الإطلاق.

أما الكتابة أو الواجب اليومي حسب الاصطلاح الحديث.... فما أن يلوح وجه الصبح الباكر بإشراقة الشمس المشعة حتى يحضر الطلاب المكتب وهم في أعمارهم المختلفة، وتتعالى أصواتهم في ضوضاء شديد يحتاج الفضاء حين يبدعون دروسهم اليومية الأنفة الذكر في إطارها التقليدي الذي اعتادوا عليه والذي لم يكن قابلاً للتطور.

ثم يبدأ (الشيخ) علمه بكتابة سطر من الحروف الهجائية أو بيت من الشعر أو حكمة من الحكم المأثورة الخالدة في أعلى صفحة الدفتر بالخط النسخي الجلي وبالحرير الأسود وقلم القصب^(١) ثم يتناول التلميذ دفتره هذا من (شيخه الأستاذ) ويمضي على منواله بملء صفحة أو أكثر شريطة أن يتبع في الكتابة (المشق) قواعد الخط وتعليماته الفنية ليكون ذلك دليلاً على ذكائه واجتهاده وتقدمه، ووسيلة لاكتساب رضى (الأستاذ - أو - الملا) وإلا فإنه من الأغبياء والمتقاعسين عن أداء الواجب ويستحقون الصفعات والعصا الغليظة أو (الفلقة) أحياناً خاصة إذا كان كثير التغيب والإيذاء.

١- كان معظم شيوخ الكتاتيب قديماً يحسنون كتابة هذا النوع من الخط العربي الذي يعتبر وسائر أنواع الخط العربي من تراثنا القومي الفني الجميل الذي نعتز به جيلاً بعد جيل مادامنا عرباً ومسلمين ونحافظ عليه.

وكانت كلمة وليّ أمر الطالب معروفة وهي أوّل ما ينطق بها عند إيتائه بولده إلى مكتب ما، فهي قوله للشيخ أو الملا : - (هذا ولدي لك لحمه ولي عظمه) ثم يكرر هذا القول في مناسبة وغير مناسبة.

وهكذا كانت الكتابيب في مثل هذا الوضع الذي كان يسودها وفي مثل هذه الحالة التي رأيناها وعشناها أعواماً في بداية نشأتنا وربما كان التلميذ يبلغ أشده في المكتب ويستوي شاباً مفتول العضلات رشيق القد ولكنه في الوقت ذاته (هيكل أجوف) لم يعرف من حياته شيئاً، ولا يدرك مصيره كإنسان كائن حيٍّ في ظلال الحياة، وقد خلقه الله ووهبه العقل ليستخدمه في تحسين أحواله ورفع مستواه المادي والمعنوي وليرتقى بسلطانه سلام العلم والأدب والمعرفة ولكي يساهم في بناء المجد الإنساني ما دام حياً.

على أنّ التعليم القديم الذي كان يبدأ منهجه فقط بتعليم الحروف الهجائية من الـ(ألف) إلى الـ(الياء) والقرآن الكريم^(١) من جزء "عم" ابتداءً ثم يأخذ بالتوسع شيئاً فشيئاً حتى يبدأ من سورة الفاتحة حتى ختام الكتاب المجيد.

ليس فيما قدمنا كان مجرداً من الفوائد والمحسن، وصحيح انه كذلك

١- كان إذا وصل التلميذ إلى سورة (لم يكن الذين كفروا) كان يقول له الشيخ : (حلوى بكن) أي: اعمل لنا حلوى، ومفهوم ذلك اكتساب الطالب قابلية قراءة القرآن. وأما إذا ختم أحدهم القرآن فان على والده أن يقوم بوليمة يدعوا إليها (الشيخ) وطلابه ويقدم للشيخ بعض "الهدايا" اللائقة وكانت تلك مراسيم جارية.

لك يكن قائماً على المساوىء والحسيات والبديهيّات المجردة من كل حقيقة يكن الإيمان بها والتسليم إليها، ولئن جردناه من صفاته الجوهرية فقد جردناه من أهدافه الإنسانية النبيلة، ومعنى ذلك إننا تجاوزنا عليه بالظلم، في حين إننا لا ننظر إلى التعليم القديم وشيوخه الأفاضل إلا بمنظار الإكبار من قلب سليم.

ونحترم رسالته الكريمة أيّما احترام.

بيد أن الواقع، وموضوعية البحث، ونزاهة القصد في نقدنا الذاتي الوجيه هذا يثبت كل ذلك إن التعليم القديم كان محدوداً يعني فقط بالتربية الروحية بغرس بذور العقيدة والإيمان والخلق الإسلامي الكريم في نفوس الأطفال وينير عقولهم بمفاهيم الإسلام ولكن إذا دخل الطلاب العقد الثاني من أعمارهم فإنما يدخلون مرحلة جديدة من الحياة فهو حينئذ كان عاجزاً عن مسايرتهم وفتح منافذ عقولهم على آفاق الحياة وعاجزاً عن حلّ ما كانوا يواجهون من المشاكل وهم على أبواب الحياة وفي أوّل الطريق ثم انه لم يكن يستطيع أن يعمل على إيجاد وتأمين مستقبلهم ف مختلف المجالات كما لم يستطع كذلك أن يكتشف المواهب والملكات والقابليات والطاقات الحيوية الكامنة في الأطفال الناشئين وينميها فيهم الأمر الذي كانوا يصبحون من جرائه بعد زمن طويل يقضونه هباءً في تلك الكتاتيب في واقع مؤسف من أفق ضيق، وفكر محدود، ومعلومات ضحلة بخلاف، ما تفعله مناهج التربية والتعليم الحديثة في المدارس العصرية إلى جانب ما تبذل من إمكانيات واسعة

في غرس بذور العقيدة والإيمان في نفوس النشء الصاعد وتوجيهه الوجهة التربوية المشبعة بروح الإسلام في المرحلة الابتدائية على الأخص إضافة إلى العلوم التاريخية والأدبية والثقافة العامة سواء في هذه المرحلة الابتدائية أو المراحل الأخرى التي تليها حتى نهاية المطاف.

وأخيراً بالرغم من أن التعليم القديم كان أكثر عناية بالجانب الروحي والتربية الروحية للنشء من التعليم الحديث بحيث لا يستطيع احد أن ينكر هذه الحقيقة الواضحة إلا أنه في الوقت ذاته كان جامداً لا يستسيغه روح العصر الحديث ولا تؤمن به عقلية النشء الصاعد، وأن البون بين التعليم القديم والتعليم الحديث شاسع جداً يخرق حدود المقاييس من غير إسراف أو شطط منا في موضوعية هذا البحث الذي تحدثت فيه عن نظرتي الخاصة ورأي الشخصي فحسب^(١).

عود على بدء

لقد أمضى (الدكتور صالح) عاماً أو يزيد في المكتب المذكور آنفاً حتى إذا فوجئ أستاذنا المغفور له الشيخ محمد ذات يوم بـ(هيئة رسمية) اقتحمت مكتبه

١- لقد أعجبني البحث القصير القيم الذي كتبه الكاتب الأستاذ المعروف الأديب الشيخ جلال الحنفي عن التعليم القديم وأصوله والتقاليد التي كانت جارية فيه وذلك تحت عنوان (التكسب بالتعليم والموالد والشعر) في كتابه الجدير بالمطالعة: (الصناعات والحرف البغدادية).

ولكن الأستاذ الحنفي وإن كان قد أعطى الموضوع حقه من بعض الوجوه إلا أنه كان يحتاج إلى إسهاب أكثر لأنه موضوع تربية وأجيال وعهود.

وأخذت منه قسراً ثلثة من طلابه إلى المدارس الحكومية الابتدائية في كربلاء وكانت يومئذ حديثة الافتتاح وخالية من الطلاب إلا القليل وكان من بين زملائنا الذين فارقونا - السيد صالح السيد جواد آل طعمة - وقد أدخل مدرسة "باب الطاق" الابتدائية واسمها اليوم (مدرسة السبط) نسبة إلى الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان ذلك في عام ١٩٣٥ على ما أذكر.

ولقد كان بالنسبة لي وأمثالي التحاق السيد صالح وأمثاله بالمدارس الرسمية كالقافلة التي تنطلق مسرعة الخطى ثم تغذ السير حتى تبلغ الهدف المنشود ويحدوها النجم التام في ذلك بينما يخسر المتخلف عنها ثم لا ينفعه الندم ولات حين مندم؟

وأخذت الأعوام تمضي سراعاً كأنها سحب الريح، وإذا بصالح يجتاز المرحلة الابتدائية والمتوسطة بنجاح باهر وتفوق عظيم دونه أقرانه.

واستمر كذلك حتى أنهى الدراسة الإعدادية في فرعها الأدبي قضى منها شطراً في كربلاء والآخر في (العمارة) وكان في ذكائه ونشاطه وخفة روحه وقابلياته الفكرية مثار إعجاب الأساتذة والطلبة والأهل والأقارب والأصدقاء القريب منهم والبعيد على حدٍّ سواء، وكانت تلهج بذكره الألسن، وتردد حديثه الشفاه، وكان في شهرته الفائقة يشار إليه بالبنان، وقد أنزلته أخلاقه الفاضلة وصفاته وسجاياه من قلوب عارفيه أسمى المنازل.

وفي الحقيقة أن (صالحاً) قد أتعب نفسه في سني دراسته فوق

استطاعتها، وأرهقها أشد ما يكون الإرهاق كان يعكف على المطالعة والحفظ والتحضير ويواصل ليله بنهاره في جدّ وانهماك لا يعرفان الكلل والملل، وكان من الذين ينطبق عليهم القول المأثور: (ومن رام العلى سهر الليالي).

وقد ودّع الإعدادية كما ودّعته هي الأخرى في هالة من الإكبار والإجلال، وإذ ودّعته فائماً ودّعت في شخصه نابغة الطلبة، وقدوة المجتهدين في الحياة الذين يشعرون بالواجب، ويقدرّون المسؤولية خير تقدير لبناء مستقبل زاهر مجيد وكأنهم خلقوا للعلم والعمل وحسب.

فدخل (دار المعلمين العالية ببغداد وكان شعلة من عقليته الجبارة المفكرة، ونفس كبيرة كأنّ بين جنبها كل هذا العالم الفسيح، وتخرج منها بنجاح كان مثار الغبطة والحسد في آن واحد).

وتلك من نعم الموهبة والذكاء والاستعداد الذاتي أن يكون طالب العلم في مراحل دراسته (الناجح الأول) بداية ونهاية، وحليفه التوفيق في حلّبات السبق أولاً وآخرًا "ولا ينهاها إلّا ذو حظ عظيم".

ولكن يا ترى.. هل اكتفى - صالح - بذلك المستوى الرفيع الذي بلغه؟ وهل ارتوى غليله بهذا المقدار الكبير الذي انتهله من مناهل العلوم والآداب وينابيعها الفياضة الثّرة؟

كلاً.. فإنّ نهمه الشديدة كانت تطالبه بالمزيد، ولأنّ صدره كان متّسعاً رحباً لاستيعاب كل ما يحل فيه من ألوان المعارف الإنسانية..... (وكل وعاء يضيق بما فيه إلّا وعاء العلم فإنّه يتّسع) فإن وعاء العلم هو صدر الإنسان

بطبيعة الحال كما في مفهوم هذا القول المأثور.

ثم هناك عوامل الرغبة والطموح لم تزل متفاعلة في أعماق نفسه وفؤاده تدفعه إلى الانطلاقة الكبرى في أبعد آمادها لنيل القدر المعلى والمستوى الأرفع.

وقد تم له ذلك حيث ذهب في بعثة ثقافية للحكومة العراقية إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام (١٩٥٤م) وحصل على شهادة (الدكتوراه) في الآداب من جامعة (هارفرد) وعاد إلى العراق عام (١٩٥٧) وعيّن أستاذاً في دار المعلمين العالية ببغداد وبعد ثورة الرابع عشر من تموز (١٩٥٨) اختير عضواً في لجنة الوحدة الثقافية مع الجمهورية العربية المتحدة ومديراً للمناهج والكتب بوزارة التربية ثم تعين بعد ذلك ملحقاً ثقافياً للعراق في أمريكا عام "١٩٦١" ثم استقال من منصبه هذا في عام (١٩٦٣) وبقي نزيراً هناك مع زوجته وأطفاله ولعله يعود إلى الوطن في المستقبل القريب لا سيما أن العراق اليوم بحاجة إلى أمثاله من رجال الفكر والأدب والتربية اللامعين.

نشاطه الأدبي

ومن يتطلع إلى تاريخ مدينتنا المقدسة بعين الإنصاف ويدرس الحركة الأدبية المعاصرة فيها دراسة موضوعية ووجدانية مجردة عن الأنانية يؤمن إيماناً عميقاً بالواقع المتجلى في البحث عن هذه الحركة القوية ومدى التقدم الزاهر الذي أحرزته في السنوات الأخيرة بمجهود عدد لا يستهان به من الشباب

الناهض وكان في طليعتهم أديبنا المغترب.

ومن الحق أن نعتبر (صالحاً) قائد الركب الأدبي المنطلق في رحاب الحياة المزدهرة الآخذة بسنة التطور الفكري الحديث وحامل راية الفكر الخفاقة التي انضوى إليها أولئك الشباب الذين آمنوا بإنسانية الأدب ورسالته الخالدة في دنيا الناس والأجيال.

بذلك كانت كربلاء مضماراً واسعاً للنشاط الفكري الخلاق الذي نستطيع - إن جاز لنا - أن نعبر عنه بـ [النهضة الأدبية] لما كان يتسم بعناصر ومقومات وطاقات متفجرة هائلة، وصلوات وجولات صاخبة مدوية يعود الفضل فيها للسيد صالح الذي كان رائدها ولولبها المتحرك، ومحورها الكبير، منذ كان طالباً (متوسطاً) حتى مغادرته لنيل الدكتوراه.

وكانت شقيقته هي الأخرى أدبية فاضلة بارعة في مستوى رفيع من الفكر، ولها معه مساهمات فعالة من النشاط الأدبي في تلك الأدوار^(١).

١- هي السيدة "فاطمة" السيد جواد آل طعمة وقد تزوجها قرينها الكف ابن عمها الأستاذ الفاضل السيد كاظم السيد عبد الوهاب [آل طعمة] بعد إكمالها الدراسة الإعدادية. ولها بحوث أدبية قيمة منشورة في مختلف المجالات العراقية خاصة في جريدة [القدوة] ومجلة (رسالة الشرق) الكربلائيّتين وقد شغلتهما الحياة الزوجية أكثر من "١٥" عاماً عن مزاولة العمل الأدبي وانصرفت إلى تربية أولادها.

وفي الواقع أن السيدة فاطمة (الأديبة المتقاعدة) تعد من خيرة الأمهات المثقفات الفاضلات اللاتي يشعرن بمسؤولية التربية الحقة وأن أحضانهنّ (المدرسة الأولى) للأطفال كما يقول الرصافي: —

وبالرغم من بعض الفتور والجمود الذي اعترى تلك الحركة الوثابة من بعده إلا أنه لم يأن لشعلة الأدب أن تنطفئ جذوتها سيما وإن الأدب المعاصر اليوم في كربلاء أخذ نحو التقدم والازدهار أكثر من ذي قبل.

أجل: هكذا كما أسلفنا كان (صالحنا) عاصفة مدوية في عهد شبابه، ثائراً في نشاطه، كما كان ولا يزال عملاقاً في نبوغه عبقرياً في مستوى علمه وأدبه وشخصيته، يعمل للأدب وفي سبيل الأدب بإخلاص منقطع النظير.

الأدب والأديب

الأدب كائن حي بمقوماته التي يستمدّها من واقعية الفكر والوجود،

ولم أر للخلائق في محــــل

يهــــذبها كحــــضن الأمهــــات

فحــــضن الأم مدرسة تــــسامت

بترييــــة البــــنين أو البــــنات

وأخلاق الوليد تقاس حــــسناً

بأخلاق النــــساء الوالــــدات

وليس ريب عــــالية المزايا

كمثــــل ريب ســــالفة الصــــفات

وليس النبت يــــنبت في جــــنان

كمثــــل النبت يــــنبت في الفــــلاة

وصورة ناطقة لحياة الأديب وكل ما يخالج عقله وضميره ووجدانه من شعور وإحساس وعاطفة، وما تنطوي عليه نفسه في صفات وسجايا وانفعالات تبعاً لظروف الأدب وتأثيراتها الفعالة في أعماق نفسه اغلب الأحيان.

والأدب هو الترجمان لكل هذه الظواهر، وهو كذلك مرآة الأديب ذاته، تنعكس عليها خصائصه الروحية والفكرية والشخصية وملكاته الخلاقة ونزعه ومعتقده مهما كان لون تلك النزعة أو طابع ذلك المعتقد.

ونستطيع القول: أن الأديب (كائناً من كان) يفقد قيمته الأدبية والإنسانية معاً إن لك يكن مؤمناً بالله خالق الكون والحياة وبحق الإنسان في الحياة، وبالحرية الشخصية المقدسة التي جعلها الله جزءاً طبيعياً من ذات وجوده وكيانه بمقتضى فطرته، والتي يجب بحكم الشرائع السماوية جمعاء أن يتمتع بها في دنياه ولا تستطيع أية قوة في الأرض مهما بلغ بها الظلم وطغت بجزورها أن تسلب منه هذه النعمة الإلهية الكبرى. كما أن الإنسان نفسه يجب أن يكون ذا وعي وإدراك يناضل من أجلها مهما كانت طبيعة الظروف وحتى لو يضحى في سبيلها لك غال ونفيس.

ذلك لأن الحرية رمز إنسانية الإنسان وكرامته وبدونها يصبح عبداً مملوكاً تستغله المآرب والمطامع وتجعله (أداة عمل صماء) تमित فيه ومواهبه وإمكانياته الفكرية الخلاقة أو تحكم عليه بالنار والحديد أو تحجبه عن النور وهو لا حول له ولا قوة!!^(١).

١- تجري مثل هذه الأوضاع اليوم في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية جمعاء، وإن الفرد

ولذلك قال حكيم الإنسانية العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلمته المدوية الخالدة يخاطب بها الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم قائلاً: "لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً".

وما لم يكن الأديب كذلك مكافحاً بصدق وأمانة وإخلاص في سبيل هذه الحرية المعقولة الخاضعة للآداب والمصلحة العامة والمثل العليا التي تضمن حريات الأفراد والجماعات على حد سواء وكذلك في سبيل نصرة أخيه الإنسان وإنقاذه من مخالب الظلم والسيطرة، ومن كابوس الفقر المدقع، وانتشاله من حضيض الجهل، كما لو يكون عوناً له في إصلاح ما فسد من أموره مادياً ومعنوياً ومعالجة مشاكله التي تقف للحيلولة دون تحقيق آماله وآماله المنشودة في معترك الحياة.

فالأديب الذي تتوفر فيه هذه المزايا الكريمة أديب حقاً، وقدوة مثلى، ورائد إنساني بالمعنى الصحيح، وتتجلى قيمته الأدبية والإنسانية بما يقدمه لمجتمعه وشعبه وأمتة من خدمات صالحة نافعة عن طريق أدبه.

وإنَّ أديبنا الكربلائي الكبير (السيد صالح آل طعمة) من الأدباء الإنسانيين، ومن الطراز الذي دار حوله الكلام كما تقدم وهو بذلك يدعو إلى الفخر والاعتزاز.

فيها ملك الدولة يولد ويعيش ويموت وهو لا يعرف قيمة نفسه كإنسان كائن حيٍّ وهكذا تمسخ الشيوعية الماركسية معالم الإنسانية في الإنسان.

ولقد كان ولا يزال منذ بزغ فجر نبوغه في سماء الأدب يغمر قلبه ذلك الإيمان، ويقدس الحرية الإنسانية بكامل شعوره ويعمل من أجل الإنسان في الحياة بكل قواه، وقد وقف أدبه في سبيل ذلك كله إيماناً منه برسالة الأدب الإنسانية الخالدة.

ولقد صال وجال، وأنتج وأثمر، من دون أن تغطي عليه نشوة الشهرة بكبريائها وغرورها، إذ لم يكن ضعيف الإرادة حتى يستسلم لتلك المظاهر البراقة الزائفة وما فيها من حب الظهور وحب الذات والأنانية الحمقاء التي تبعد صاحبها عن الهدف الإنساني الأسمى.

وإنَّ "صالحاً" هو ذلك الأديب الإنسان الذي خدم الأدب وحسب، وترفع بنزعتة الإنسانية الخيرة وقوة إرادته وترفعه الشديد عن تلك الصفات ألا إنسانية واللا أدبية التي لا يتصف بها إلا ذوو النفوس المصابة بداء (مركب النقص).

ولقد رسم "صالحنا الأديب وأديبنا الصالح لنفسه نهجاً مستقيماً لا يخرج عن كونه نهجاً أدبياً وإنسانياً محضاً عن ضوء عقليته النيرة، وتفكيره العميق البناء، وسار عليه منذ نبغ أديباً وذاع صيته في الأوساط.

إنتاجه الأدبي

لقد آنس الدكتور صالح في خضم نشاطه السالف الذكر من المجالات والصحف تلهفاً شديداً كان ينبئ في واقعه عن تعشقها لثقافته الراقية، وإبداعه في الإنتاج، فراح يتحفها بروائع شذية من أدبه الناضج الممتع، ويمدها

بأقباس من شاعريته البارعة وينثر على صفحاتها رذاذاً من عبقاقها.
وقد توثقت صلاته الفكرية بأبرز تلك الصحف والمجلات العراقية وغير
العراقية كمجلة الغري والبيان والهاتف والبطحاء والآداب والأديب والشعاع
والمنهل "المكية" والقلم الجديد "الأردنية" وعدد من الجرائد وأخص بالذكر
منها - الأنباء المصورة - والأسبوع - (١).

كما أكسبته المراسلات الأدبية والودية بينه وبين أكبر عدد من ألمع الأدباء
والشعراء في العراق ومصر وسوريا والأردن ولبنان والحجاز وسائر الأقطار
العربية الأخرى... ألواناً من المعارف الإنسانية زادت سعة في افقه الفكري،
ولا غرو، فإن أدب المراسلات جدير بأن يضيفي على شخصية الأديب حُللاً
قشبية من الجمال والكمال والفضيلة اللامتناهية.

وقد أصدر وهو في (العالية) ديوانه - ظلال الغيوم - وكان باكورة
إنتاجه، بل ملحمة الشعرية الأولى، فتناولته الأيدي في كل مكان بالإشادة
والإعجاب والدراسات المستفيضة ذات النقد الوجيه البناء أحياناً، وما لبث
أن أخرج مجموعته الثانية باسم "الربيع المحتضر" ولم يكن أقل روعة عن
"الأول" في أدبه وأغراضه وأهدافه.

١- كان صاحب هاتين الجريدتين في بغداد - الأديب الكربلائي المعروف الأستاذ عباس علوان

شعره وأسلوبه

لقد واكب شاعرنا المفلق حركة التجديد في الشعر الحر وعد من دعاها المبرزين، وأقطابها اللامعين في عراقنا الحبيب وكلا "ديوانيه" يجمع ألواناً مختلفة من هذا النوع من الشعر الحديث الذي غزا دولة القريض وأحدث ضجة كبرى في كافة الأوساط الأدبية وكثر حوله الكلام وطال، واحتدم ضده الخصام وما زال، بين مؤيد ومعارض، ونصير ومناهض.

وفي ميدان هذه الحركة التجديدية للشعر الحر الذي أخفق بعد نجاح كبير كان أديبنا الشاعر "آل طعمة" يفوق المرحوم فقيد الأدب والشعر الحر الشاعر الموهوب "بدر شاكر السياب" في النضج الفكري، ويضاهي بشعره شعره في مختلف المجالات.

وشعره في مزاياه رقيق الأسلوب، عميق المعاني بديع الوصف والتعبير، واسع الخيال أنساني النزعة، واضح المرمى، نبيل الهدف، سليم الاتجاه، ويطفح في حناياه بالحب الشديد والغزل الرائع، والوجد الصارخ، والحنين المشبوب بعاطفة حارة إلى جانب الشعور الوطني الثائر.

وإلى جانب هذه المزايا والمحسنات تتجلى فيه صور الحياة ومعالمها ومفاهيمها، وتتجسد على شاشة شاعريته الحياة الاجتماعية وما يسودها من متناقضات في سنها ونواميسها الطبيعة منذ الأزل.

ومنذ زمن بعيد، لم نقف على نظم جديد له سواء في الشعر الحر أو في الشعر العمودي - المقفى - الذي تتجلى فيه عروبة الشعر العربي وعبقريتها

الواهبة والموهوبة بأجلى مظاهرها وأسمى معانيها، والذي هو وليد النزعة الإنسانية الحقّة في ضمير الأدب العربي الأصيل الذي انطوت في ظل "دولته" الشاخنة الخالدة في قمة الوجود قرون وأجيال منذ العصور الجاهلية حتى اليوم وستبقى كذلك شامخة إلى الأبد.

ولأنّ الشعر العمودي كذلك أقوى إمكانية في تصوير الحياة العامة، وأعظم قدرة على معالجة المشاكل وقضايا المجتمع والإنسانية وأجدر بالبقاء والخلود في ظل الحياة.

ولقد كان شاعرنا الإنساني "السيد صالح" يحاول دائماً أن يوفّق بين النوعين من الشعر - العمودي - والحر، نظماً وإبداعاً، وكانت تستجيب له القريحة تجاوباً منها مع ذوقه واتجاهه كما يشاء وهل تستطيع القريحة أن تعلن العصيان على الشاعر؟.

نماذج من شعره

هذه قصيدة رقيقة يعبر فيها الشاعر عن مشاعره، ويبث فيها حنينه للذكريات التي يحلم بعودتها، ومنها تتعالى نغمات الحب والهوى تعزف لها القلوب، وتطرب لإيقاعها النفوس، فاستمع إلى هذا الحنين الهادر من أعماق قلبه :

عناق

هناك.. هناك العتاب المسر

وبث الشجون إلى الفرقد

على عودة الذكريات الحسان
 هناك على الملتقى الأسعد
 وفي دفقات الهوى المستحم
 بعطر الولاء، وحلم الغد
 مضيئا نجوب الزمان الندى
 لنروي الفؤاد الكئيب الصدي
 فكان عناق كفرض الصلاة
 أقمناه في حرمة المعبود
 وضم الزمان العناق إليه
 ولاح على المغرب الأبعد

إعراض

أبنت الضياء علام النفور
 وهذا الذراع طهور اليد
 وذاك النذير العفيف العبوس
 يطل من الأفق الأسود
 تعالى ترى في غنائي الجريح
 وفاءاً كمن هبَّ للموعد

تعالى.. ترى من محاني الفؤاد
 ملاذاً لضوئك كي ترقدي
 فنامي على خفقة في الغروب
 وعود لدى طلعة المولد

عباب

وفي بحر تلك الأماني الظماء
 أفقت على زورقي المفرد
 هناك، صراخ العباب المخيف
 ولا من منار لكي أهتدي
 وللموج بطش كبطش الظلال
 يبيد مني السائح المرشد
 فؤادي هات النشيد الدليل
 فما في السكوت أرى منجلي
 مينا وثيقا سأطوي الظلام
 لأبلغ قلب الهوى المنشد
 ومن روعي اللاهب المسهام
 سأطلع لحنًا من المسجد

أمل

هناك، على مغرب الأمنيات
 رجعت إلى خافقي المعبد
 لئن غاب عنه البشير الحبيب
 محالا يمل هوى المقصد
 سيهفو إليه ببطش الرجاء
 ورغم ضنى فكره المسهد
 وإن شقّ نبع الهناء عليه
 سيملي على الحجر الأصلد
 غدا حين ننهي الصراع الطويل
 يزاح الستار عن المشهد
 ثم أصغ مرة أخرى إلى صرخة العاطفة المشبوبة وترانيمها الساحرة،
 فيخيل إليك أنها مناجاة الروح مع الروح، حيث تترآى لك من خلالها ابتسامة
 القلب للقلب، وكلاهما مفتتن ولهان.
 ثم استمتع بألحانها الموسيقية العذبة التي تكاد تأسر المشاعر، وتقيّد
 القلوب بأغلال الحب والهيام، فانظر أليس كذلك؟:—
 عذراء يا نفح الرواء ... لانت للقلب الحزين
 مثل الظلال الوارفات ... تبيد نار المصحرين

أترى نسيت هناك في ... وادي الهوى وادي الهيام
 عشنا زمانا بين ... أحضان المحبة والوئام
 عند الجدول، مرتمانا، ... تحت أروقة الظلام
 نشوى ونشواناً يضمهما عناق أو حنين

هذا الفضاء الرحب يمرح بالنجوم الباسمات
 يغمرننا بالضوء يكشف دربنا للأمنيات
 حتى سواقي الغاب تملأ مسمعينا أغنيات
 فنجوب في دنيا الهناء وراء حلم العاشقين

عذراء، يا بنت السني، ما للدياجي الآثمة
 تلقى على قلبي السهاد وأنت نشوى حاملة
 أنسيت روحي في مسارب من هوانا هائمة
 وفقا ألا من طلعة تهدى السراة التائهن

أ أدوس أشواك الطريق ولا نهاية للطريق؟
 ويطول بي المسرى ونشوى أنت في حلم عميق؟
 إن دست شوكة هب يثار تحت أقدامي رفيق

وحدي هناك ولست أدري بت انتظر المنون

عذراء ما للنجم في ألم يطل على الظلام
وضياؤه المكدود أغفى بين أكفان الغمام
إلا ارتعاشات تفيق على سراي وكم تنام
تغفو.. فتجهره. مثلك "الساري" المعنى

عذراء ما للبدر.. يغمره الحياة أم الوجوم
يبدو ويحجبه السحاب يئن من وجع الكلوم
وينام (نرسييس) الغدير على الغدير بلا هموم
إلا فؤادي لم ينم، يهفو إلى الأخت الحنون

ويقول في قصيدته :

[الليل والنهار]

الليل يخنق غمغمات العابرين على الطريق
ويشيع النور المعنى.. للمقابر في الغروب
إلا بقايا شاحبات في السماء
لا.. لن يشيعها الظلام إلى الفناء

بل سوف تبقى.. سوف تسخو بالبريق
 تلقى الضياء على الطريق
 وليخنق الأنفاس هذا الليل هزءاً احتقاراً
 أما الممالك الأسارى.. لن يلذ لهم سكون
 ما دامت الأنات يوقظها رنين
 رنات هذا الغل يعبق بالممالك الأسارى
 يقسو عليهم بالعذاب أسى وعارا
 فترن أغلال لتلقم أوجه الأسياد نارا
 صوّتاً ونوّاراً
 في الحانة الحمراء، عريضة الكؤوس بلا انتهاء
 تمزّ أبصمتك يا ظلام
 والقهقهات من السكارى لن يكفنها منام
 مادام خلف الباب باب الحان أبناء الشقاء
 يتسابقون إلى البكاء
 فلعل أكؤوسهم - إذا أظمأت - ترويه الدموع
 أواه ترويه الدموع الأشقاء
 فتظل عريضة الكؤوس لا انتهاء
 توري وتروي بالدموع فلا يمر بهم هجوع

إِلَّا إِذَا جَفَّتْ عِيُونَ الْأَشْـقِيَاءِ
 - من دمعها المنساب خمرًا ت عند ميلاد الضياء
 في الصبح حيث تموت عريدة السكارى بالبكاء

حقاً لقد كانت هذه القطعة في غاية الرقة والجمال الفني بتمثيلها جانباً من الحالة الاجتماعية الذي استعرض الشاعر فيه الواقع المزري لأصحاب اللهو والفسق والاستهتار والدعارة والمجون وعشاق (الخمرة) المحرمة التي تؤثر أسوأ تأثير على العقل والصحة وتسلب غير الإنسان وتجرده من كثير من المزايا الإنسانية وقيمتها ولذلك حرّمته الشرايع السماوية المقدسة في نصوصها الكريمة وخاصة الدين الإسلامي الحنيف كما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى :- ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ... ﴾ ، إلخ.

وإن تعاطي الخمر والإدمان على شربها داء وبيل وفي غاية الخطورة لأنه يسبب العداوة والبغضاء وانعدام الثقة فيما بين الأفراد، والمجتمع بما يعمل على مسخ الصفات الإنسانية الكريمة ف نفوس شاريها وذلك قال تعالى :-

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .

أرأيت كيف نطقت هذه الآية الكريمة بالحكمة الإلهية في مساوئ الخمرة وأثرها السيئ في حياة المجتمع، وكذلك الميسر وأمثاله من المنكرات التي تبعد الإنسان عن طاعة الله، ولكن أين الأذن الصاغية؟

وكثيراً ما شوهد ويشاهد السكارى في الشوارع وغيرها من الطرق العامة ومن يترنحون عندما تلعب الخمرة برؤوسهم ومضطربين كما تضطرب الأغصان عند هبوب الرياح وحين اشتدادها، وعربدات النشوة وصيحات (اللاشعور) تنطلق من حناجرهم وتثير سخط الناس و انزعاجهم واستنكارهم وهم غافلون عن أنفسهم وواقعهم المخجل.

وما أكثر ما وقعت وتقع حوادث مؤسفة من الجرائم كالقتل والاعتداء على الأموال والأعراض على أيدي السكارى الثملين الذين يفقدون أثناء السكر أهم ميزة في الإنسان وهي: - الوعي والإحساس - وهم عند ذاك أشبه ما يكونوا بالحيوان السائب الذي ليس له من العقل والشعور أي نصيب!!

هذا فضلاً عما يقتربون على أنفسهم وعلى عوائلهم بالذات من جنایات خلقية وصحية بما في ذلك التفریط والتبذير وإيقاع عوائلهم في ضنك من العيش في سبيل هذا المشروب الروحي المحرم ولا نغالي إذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك ووصفناهم بأنهم "فوضويون" يهدمون بناء الأسرة ويطوحون بالصروح العائلية وكيانها بأيديهم الأثيمة من حيث يشعرون أولاً يشعرون، هكذا تفعل الخمرة بشاربها وتسلب الغيرة من رأسه.

إنَّ الكلام عن الخمر وما ينجم عنه من نتائج سيئة ومفاسد اجتماعية يكاد لا ينتهي عند حد، ولذلك حرمه الإسلام وهو الدين السماوي الذي لا يأمر بشيء إلا وفيه النفع والخير العميم، ولا ينهي عن شيء إلا وفيه الضرر والفساد العام، ذلك لأنَّ الله الذي خلق الخلق بقدرته هو أعلم منهم بشؤونهم وما يضرهم وما ينفعهم في الحياة، ثم إنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة "أهل البيت الأطهار - عليهم السلام -" كلّها إشعاع من الحكمة السماوية التي جاءت لإنارة العقل البشري بالفضيلة والكمال وتركيز النفس، وتهذيبها بالأخلاق الكريمة، كما تهدف إلى تطهير القلب بالعتيقة والإيمان والمثل العليا.

وهل يعلم شاربو الخمر أو يؤمنون بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث الشريف: - (كل مسكر خمر وكل خمر حرام)، وكقوله أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم: - (شارب الخمر كعابد وثن)، أو قوله كذلك: - (لا يزال المرء في صحة من عقله ودينه ما لم يشرب مسكراً) - (لعن الله الخمر وشاربها وساقها وبائعها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه). وأما موقف الطب من (الخمر) فهو كذلك صريح وإليك هذه الأقوال المقتضية:-

"إنَّ الخمرة تسبب تهيجاً في المعدة وتؤثر في النبض وتزيد في دقات القلب وترفع الضغط وتعرض شاربها للخطر وللموت البطيء إذ يصاب بالشلل وإنها تتلف الكبد وتسبب ضموراً في خلاياها ونسيجها وإذا مرض

الكبد تعرض الإنسان لأمراض كثيرة وبيلة" (١).

"إنَّ تأثير الخمر يقع على المراكز العصبية ثم يحدث الخمول في هذه الأعصاب وينتهي بتخديرها وتعطيل عملها ومن ثم تسبب الموت" (٢).
"الكحول مادةٌ تسمم خلايا الجسم الحيّة وهو يؤثّر مباشرة في الجهاز العصبي والمخ ويفسد ملكات الإنسان العليا كالحكم السديد والإدراك وال ضبط" (٣).

وأعتقد من واجب الحكومات الإسلامية وهي المسؤولة شرعاً وعرفاً وإنسانياً أن تكافح هذا الداء الويل الذي ينخر في جسم المجتمع، وان تمنع بصرامة صانعي الخمر وشاربيه ما دام في يدها زمام الأمر وتملك القوة فان مرتكبي الجرائم في كل زمان ومكان لا يخافون الله بمقدار ما يخافون القوة والسلطة الزمنية الحاكمة (كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته) الحديث.

ويقول الأستاذ الكبير العلامة أحمد أمين وهو الكاتب الإسلامي العراقي الشهير: "إن المثابرة على استعمال المسكرات تؤدي إلى إنكار المقدسات فيترك شيئاً فشيئاً عبادة الخالق جلّ جلاله ويؤول أمره إلى عبادة

١- الدكتور حامد البديري التصري.

٢- الدكتور محمد وصفي.

٣- المستر ويلكوكس - وقد نقلنا هذه الأقوال من العدد ٣٦ من سلسلة منابع الثقافة

المادة وحبّ الدنيا فيكون كمن عبد الأوثان أي يرجع إلى جاهلية جهلاء" (١). ويقول أيضاً وفي قوله عبرة للمسلمين: "إنّ كنيسة روما كانت مضطربة أيّما اضطراب من جراء دخول المسلمين الأندلس وانتشار الإسلام في تلك الأصقاع فكانت تعقد الجلسات والاجتماعات لمعالجة هذا الأمر حتى استقر رأيهم على أن يرسلوا كميات وافرة من الخمر بصورة سرية إلى الأندلس وان يؤسسوا تحت الأرض معامل سرية لاستحصال الخمر فيقدموا للمسلمين ولا سيما رجال الحكم - الخمرة - بثمان بجنس أو متبرعين، فانتشرت الخمرة بين المسلمين ولا سيما أصحاب النفوذ والثراء وانتشر نتيجة لذلك - الترف والفساد بأنواعه فضعفت العقيدة وزهبت الغيرة والتضحية في صيانة الدين وصيانة وطن المسلمين وكانت نتيجة ذلك أن ارتحل الدين الإسلامي من اسبانيا وأصبح في خبر كان (٢).

هذا ما حدا بنا الواجب الديني والإنساني إلى التحدث عنه في موضوع الخمرة وما فيها من آفات خلقية وصحية ومادية، ولنعد الآن إلى بحثنا السابق لنلتقي مع شاعرنا الإنساني السيد صالح آل طعمة في جانب جديد من جوانب شعره.

١- التكامل في الإسلام - ج/٢ ص ١٧ للأستاذ الكبير العلامة أحمد أمين.

٢- المصدر نفسه ص ٢٠.

لمن العي؟

وترى في القطعة الآتية كيف يصور شاعرنا المبدع (العيد) إذ يطل على المجتمع من أفق الحياة، تحفة إشراقة النور، ويعزف لطلعته الجمال، وتفتح له أسارير الكون ببسماته التي ينطوي فيها ألف سر وسر، وهو يجر وراءه موكب البهجة والأفراح والمسرات.

أمّا الناس فهم لا شك أصناف مختلفة تتباين بالفروق الطبقيّة التي تأبى الزوال لأنّها من مقتضيات الحياة الاجتماعيّة وخاضعة لحكم الله ومشيّته سبحانه.

ففهم الأغنياء وأرباب الثراء العريض الفاحش، وأصحاب البروج العاجية، وفيهم الفقراء والضعفاء والبؤساء والمساكين، والمنقطعون عن رحمة البشر ومروءته إلّا ما يتّصل من شؤونهم برحمة الله وعدل قضائه.. إذن لمن العيد يا ترى..؟

أمّا أولئك فكل أيامهم أعياد زاهرة لأنهم يعيشون حياتهم في أحضان السعادة والهناء والرخاء ويرتعون في بجوحة الترف والنعيم والتخمة الخانقة المقيّنة وفي ظل الأثرة الطاغية!!

وأما هؤلاء.. فليست تربطهم بالعيد أية علاقة مادية تكون وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وأفراحهم سوى علاقة روحية لا تخرج عن نطاقها الفكري وحسب، ذلك لأنهم معدمون، وجياع بئسون، يكتنفهم الشقاء والحرمان في كل ألوان العيش ومظاهره، وسيما الأيتام من هذه الطبقات

الدانية المحرومون من ملذات الحياة لفقدهم حنان الأمومة أو شفقة الأبوة أو كليهما معا وتلك ظاهرة اجتماعية يؤيدها الواقع في كل زمان ومكان. والحياة بالنسبة للأطفال ذات ركنين عظيمين يشع منهما نور الأمل: هما - (الأب والأم) .

فإذا فقد أحدهما انهار به ركن واحد من حياتهم وإذا فقد الركنان (كما يشاء ناموس القدر المحتوم أحيانا) فقد انهارت بذلك حياتهم كلّها، واعتراهم حينذاك اليأس والقنوط واحتضنهم الذلّ والهوان والحرمان منذ الصغر وفي إبّان النشأة وبدئها.

والأمثلة من هذا الواقع المحسوس كثيرة لا تحتاج إلى دليل أو برهان، وإذا أطلّ "العيد" كانت معاملة منطمسة فيهم، وبهجة يومه السعيد عديمة الأثر لديهم، وأحلامهم إذ ذاك متلاشية لا وجود لها في حسابان الحياة.

والأطفال كما هو الواقع والحقيقة يبيتون ليلتهم على موعد صادق مع الفجر لتكتحل أعينهم بنور إشراقته، وتحذوهم الأمنيات على أن يقبلوا أول ما يقبلون في - صبيحة العيد - على آبائهم وأمهاهم ليعبروا لهم عن مشاعرهم مرتدين بهذه المناسبة أفخر ما أعد لهم من ملابس في سبيل التجميل والإظهار بمظهر الغبطة والفرح والانشراح فيما يتناسب وأهمية يوم - العيد - ثم يلتقون بعد ذلك بالأقارب.

والآباء والأمهات يستقبلون فلذات أكبادهم ويفتحون إليهم قلوبهم، ويضمونهم إلى صدورهم، ويفيضون عليهم بالعاطفة والحنان فما يضعون في

أيديهم من - نقود - على اختلاف فئاتها كما هي العادة المتبعة رمزاً للفرحة
 بيوم العيد السعيد سواء أكان عيد الفطر أو الأضحى أو الغدير.

ترى.. أفهل يلتقي اليتامى الفاقدون أولياءهم على هذا الصعيد
 ليكونوا في مستوى الأطفال الذين يرفلون تحت ظلال الأبوة والأمومة..؟
 من الطبيعي كلاً..

والحياة بالنسبة لليتامى وغيرهم من الطبقات الفقيرة الأخرى التي
 تستحق وإياهم الرأفة والرحمة أشبه بسجن ضيق، أو غربة موحشة ليس لهم
 فيها أنيس، ولا يرون النور فيها إلا ظلاماً.

فلمن العيد يا ترى.. لأولئك المترفين أم هؤلاء..؟
 وهذا ما يصفه شاعرنا الوجداني في واقعية تجسدها شاعريته البارعة،
 فتتبع بنظراتك هذا المشهد المحزن، وتمثل فيه هذه الحقائق المؤلمة :-

يا عيد يسقيك الندى عرق الجبين المستظام
 فتطل ريان الملامح بالغناء على الأنام
 والرافهون لهم رواك على عناق والتئام
 أما بنو الآلام.. كم يتحرقون من الأوام

يا عيد.. تهرع في سماءك إلى مغاني الناعمين
وتحوم في جنباتها الغناء موفور الجبين
لتدر أفراح الهناء على القساة المجرمين
إلا الذي صهر الجبين عليك تمنحه الأنين

أرأيته يا عيد، تلك الأم، تحتضن اليتيم
نشوان، تسليه الرؤى فيظل يحلم بالنعيم
والأم يلهيها الشجي، والنوح، في الليل البهيم
فتكدر الحلم الجميل - لتستفيق على جحيم

لقد كان تصويرنا للواقع الاجتماعي الذي حفلت به هذه القطة
الشعرية العاطفية الرقيقة مطابقاً لحقائقه إن لم يعوزه بعض الشيء وإتماماً لذلك
نستعرض خطاب الشاعر للعيد نفسه كما مضى وكأنّ (العيد) شخص ماثل
أمامه فيوجه إليه خطابه بلهجة المعاتب قائلاً له: - إنك يا عيد إذ تطل على
الأنام بملاحك الجميلة فإنما أنت للرافهين عيد مبارك ويوم سعيد، لا لأبناء
الآلام الذين يتحرقون شقاءً ولا يجدون للرّفاه سبيلاً، وأنت يا عيد كذلك
تلتقي في مغاني الناعمين والقساة الهانئين أصحاب الترف والبدخ وحسب
لتسقيهم من روائك كؤوس الهناء وتدر عليهم خيراته.

أفلا نظرت يا عيد بعين العطف وأنت في كربائك وخيلائك وبهائك إلى
الأم المسكينة الحاضنة طفلها اليتيم وهي تتلظى بنار الحسرة والألم؟.

وهلاً صافحت ظلّها الناشئ في أحضان البؤس أو مسحت بيدك على
رأسه ليشعر بشيء من الغبطة وليدبّ في عروقه ديب الفرح والسرور وهو
يحلم بالنعيم الذي تصبو إليه نفسه ولكن هيهات فلا تراه عينه، كنا تفعل
ذلك مع أطفال الأغنياء وأبناء الثراء والنعيم؟ إذن.. ما أقساك أيّها العيد!! .

أفما لفتت نظرك أحاسيس الإنسانية لتغمر بطيب نفحاتك تلك الأم
التي باتت وهي لا تعرف من الحياة سوى الشجون والنياح التي تطلقها مع
الزفرات من أعماق قلبها المتفطر من الضيم والنكد والتعاسة وكأنّه من الأسى
قطعة سواء كسواد الليل الحالك..؟ إذن..، ما أشقاك أيّها العيد!! .

فاستمع إلى شاعرنا في هذه القطعة الرائعة فهي لعمرى تفصح عن أرق
المشاعر الإنسانية التي يخاطب بها - الأم - و- العيد) أيضاً بقوله هذا: -

يا أم مالك تقلقين مباهج الناس النيام
بالآهة النكراء بالدمع الذميم ولا ابتسام
في ثغرك الواهي يلوح يشارك العيد الأنام
ما ضر لو كنا ضحايا الصمت لا نذكي الضرام



يا عيد لم تبعث ليهنأ فيك أرباب الهناء
 فلك تطوف عليهم الأيام سكرى بالغناء
 وتمر أنت بهم دلالة تطمئن إلى اختفاء
 لكن تفيق لا انتظار عند ضحك الازدراء

وآن لنا بعد ذلك أن نغادر ديوان "ظلال الغيوم" وننتقل من أدب الشعر إلى أدب النثر لنلتقي مع دكتورنا الجليل "أبي طيبة" في مقال قيم دبحه يراعه تحت عنوان: "الإنسانية في الأدب العربي" يزهو بجمال الأسلوب وروعة الديباجة، والبلاغة ولنقف بإعجاب أمام هديره الفكري الزاخر فهذه مقتطفات من زهوره الخلابة^(١):

(وأما الأدب القومي فلست أنكره داعياً إلى تحرير الأمة وتوجيهها إلى ما فيه الخير والهناء والحرية وأن يخلق جيلاً جديداً له من الإيمان بحق الحياة الحرة السعيدة ما يجعله قادراً على الدفاع عن أعز حق في حياته أن لا أنكر هذا الأدب القومي بل اعترف بأننا بأمس الحاجة إليه في هذه المرحلة الخطيرة التي يمر بها الوطن العربي الأكبر من مشرقه إلى مغربه، نعم أنا لأنكر هذا الأدب لأنني أومن بأنه أدب إنساني يريد أن يحرر أمة من قيود، وينقذ

١- انظر: مجلة (القلم الجديد) الأردنية. العدد الرابع السنة الأولى - كانون الأول -

شعوباً بريئة من شقاء وعذاب، ولكنني أنكره أن يكون أدبا يدعوا إلى التناحر والكراهية وإثارة ما يشقى به الإنسان.

"نحن بحاجة إلى أدب إنساني يبتغي سلامة العالم وخيره وسعادته ويدعوا إلى المحبة المتبادلة بين شعوبه والألفة التي تربط الشعوب ربطاً قوياً.

وليس أخرى من الشرق مكان يشرق فيه الأدب الإنساني - الديني - الذي يجبو على البشرية بأديانها المتباينة وأجناسها المختلفة فيذيع النور المستمد من تعاليمه السابقة: يعلم أبناء الأرض المحبة للحياة، والمحبة للإنسانية ويهيئ لها طريق الخلاص من عناء طويل وصراع دام مع قوى الظلم والظلام.

بل هناك حركات دينية أخرى قديمة من عناصر الإنسانية الشيء الكثير، ثم بعد ذلك هذه الديانات السماوية التي تطل على العالم كالمسيحية بما فيها من دعوة إلى المحبة والسلام ولعلنا لا نخرج عن الموضوع فنسرع إذن إلى - الإسلام - ونلقي نظرة مجملة على تعاليمه الإنسانية لنعرف مدى تأثير الأدب العربي بها. فالإسلام كما لا شك فيه حاول أن يجتث جذور العصبية القبلية من نفوس العرب ويقتلع منها التعصب الجنسي ودعا إلى المساواة والعدل في كثير من مواضع القرآن، وحث على السلم ونهى عن الظلم والاعتداء في مواضع كثيرة أيضاً، ولكن مع ذلك ورغم كل المثل الإنسانية السامية التي حفل بها الإسلام ومجدها أي تمجيد لم تجد لها منافذ إلى قلوب الأدباء العرب القدماء

نعم لم تجد منفذاً إلى قلوبهم الصداحة لتستقر فيها، فبقينا نسمع منهم ما يناقضها مناقضة غريبة، وحفل شعرهم بالهجاء والتفاخر بالقبيلة تفاخراً لا

يرتضيه الإسلام بل يستنكره استنكاراً غير قليل، وظل شعرهم يجد الثأر والقوة والحرب كأن لم يكن الإسلام قد دعاهم إلى نقيض ما يمجّدون، ولم يكذبوا الإسلام حتى وجدنا النزاع من جديد بين (بني هاشم والأمويين) وبين القبائل القحطانية والعدنانية وسرعان ما امتد في الأقطار الإسلامية المختلفة ففي خراسان بين أزد وتميم، وفي الشام بين كلب وقيس، ومثل ذلك في العراق.

ومهما يكون من أمر فنحن لا يهمنا كثيراً أن نطيل في معرفة أسباب هذا الفشل وكل ما يهمنا من هذا أن نفهم ما في الإسلام من عناصر إنسانية دعا إليها مراراً وحثّ عليها في غير موضع من قرآنه وسنته وأن نعرف أن هذه العناصر الإنسانية لم تجد مجالا واسعا في الشعر العربي مهما كان سبب ذلك ولكن ألم يكن رغم كل هذا في أدبنا العرب قبل الإسلام وبعده من عناصر إنسانية ما يدعونا إلى التنويه به والتحدث عنه؟.

إنّ مقالات الدكتور السيد صالح جواد في الأدب تكاد لا تحصى وقد حفلت بها أمهات المجلات العربية وهي تستهوي القراء وتعالج في جوهرها قضايا الأدب المعاصر في البلاد العربية ويؤسفنا أنّنا أشرفنا على نهاية هذه الدراسة دون أن نتناول بعض النصوص من مقالاته الرائعة في الأدب وخاصة المحاضرات القيّمة التي كان يلقيها على خريجي "الجامعات الأمريكية" في العراق قبل ثورة ١٤ تموز^(١).

١- انظر مجلة: المثقف "١٩٥٨" ومجلة الفكر ١٩٥٧ بغداد .

هكذا كتبوا عن الدكتور السيد صالح

أمانا اليوم ديوان (الربيع المحتضر) للشاعر العراقي صالح جواد آل طعمة - وإنه ليسترعي انتباهنا من بدايته بظاهرتين أولاهما: - ثقة الشاعر الشاب برسالته فنّا وموضوعاً وهذه تتجلى في انطلاقه ومزجه الأوزان ومعالجته موضوعات فكرية ووجدانية رفيعة، وثانيتها: - طاقته الشعرية المتأرجحة تأرجحاً بينا، فهو يعلو حينما يتناول موضوعات الحرية والكرامة البشرية مجارياً ومنافساً الشعراء الأحرار من بني قومه وغيرهم، وهو يهبط حينما يضطر إلى شعر المناسبات المألوف، وحينئذ لا نسمع منه إلاّ نظماً هو أقرب الأشياء إلى الخطب السياسية ولكنه في هذا وذاك على السواء متأثر بالحركة التحررية العصرية في التعبير وعلى الأخص بطابعها العراقي الجديد الجميل" (١).

وبين يدي نقد أدبي من المستوى الرفيع لديوان: (ظلال الغيوم في سلسلة من المقالات أورد منها ما يلي:-

"والآن بعد هذه الجولات آن لنا ان نشير إلى (القطع الأرجوانية) التي تميز شخصية الشاعر السيد صالح جواد آل طعمة من غيره وتجبرنا عن مستقبله اللامع في عالم الشعر العراقي وها آنذا أقدم الدليل على استقلال شاعريته" (٢).

١- قضايا الشعر المعاصر - الدكتور أحمد زكي أبو شادي ص: ١٩٣ .

٢- فالح العسكري - مجلة صوت العراق ص: ٢٢ لسنة ١٩٥١.

"بيت - آل طعمة - بيت علم وأدب في كربلاء، ولقد قلت في كتابي (خليفة الخيام) إن الأدب وراثي قلما نجد في أسرة اشتهرت بالأدب واحداً لم تدركه هذه الصفة. والأستاذ صالح جواد نشأ في مثل هذا البيت ولا غرو أن يكون كأسرته أديباً وشاعراً..".^(١)

ومن الكتاب البارعين الذين شاؤوا وشاء لهم الأدب - أو أدب التأليف - بعبارة أخرى أن يدرسوا الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء مؤخراً دراسة موضوعية ويتناولوا قضاياها بعين الإنصاف كما تفرض ذلك رسالة الأدب عليهم هو الأستاذ الأديب موسى الكرباسي الذي استطاع أن يفرد مجلدين ضخمين في بحثه الموفق عن الأدب الكربلائي والأدباء الكربلائين منذ ثلاثة قرون حتى الوقت الحاضر، فهو يقول عن الدكتور السيد صالح جواد ما نصه :-

(ولا غرابة إذا لمسنا منه سمو الخيال في الكثير من إنتاجه الأدبي وتحسناً منه عروجه إلى سماء التفكير يلحق في أجوائها، وليسموا في آفاقها، لأنه يمثل المدرسة الإبداعية - الرومانتيكية)^(٢)

وأخيراً.. هذا هو أديبنا الكربلائي اللامع، هذا هو الدكتور السيد صالح جواد آل طعمة وهو علم من أعلام الفكر الإنساني، وقطب من أقطاب

١- غالب الناهي.

٢- البيوتات الأدبية في كربلاء - الجزء الثاني - مائل للطبع [للاستاذ موسى الكرباسي] مدير مدرسة الثانوية المسائية للبنين في كربلاء.

الأدب المعاصر ليس في كربلاء فحسب، بل في عالمنا العربي كله، وقد أشرقت شمس عبقريته في أجواء شخصيته الكبيرة التي يشار إليها بالبنان فأنارت سبل حياته ونال بها القدر المعلن في حلبات السبق وارتقى بها سلم الرفعة والرقى وحلّق في آفاقها وهو اليوم من طلائع المفكرين الذين يعتز به وبهم تاريخ الأدب العربي الحديث.

وماذا بعد ذلك كله وهل من مزيد .. وهل يحتاج الضوء إلى دليل أو برهان يثبت وجوده للعيان؟.



ضياء الدين [أبو الحب]



من البديهي إن النبوغ في أي نوع من العلوم
الحياتية، والفنون الفكرية (موهبة) تتجلى معالمها في
مجالات العمل الدائب والنشاط الجدي، وتكسب
صاحبها رصيلاً قيماً من

المعنوية فتسمو بها شخصيته في بيئته التي يعيش فيها، ثم يحرز بسببها
شهرة واسعة تتعدى حدود هذه البيئة إلى الأوساط الأخرى.
فالموهبة (أيا كان نوعها) إنما هي دليل النبوغ، وسببه الطبيعي، ورمز
سمو إنسانه في مضامير الحياة.

ولنضرب المثل في ذلك بأدينا الكربلائي الكبير الأستاذ ضياء الدين [أبي
الحب] الذي يمتاز عن غيره من أدباء كربلاء المعاصرين بالشخصية المزدوجة،
التي لكل منها صفاتها الخاصة فهو أديب بارع وشاعر مبدع، وعالم نفساني
شهير غني عن التعريف ولعلّه احتل اليوم الصدارة في العراق بين المعنيين بعلم
النفس ودارساته النفسية، بل مؤلفاته القيّمة في موضوع علو النفس تشهد
بقابلياته الكبيرة وتفوقه المضطرد في هذه الموضوع المهم الذي يستمد حيويته

وجذوره من حياة الإنسان ذاته في الأدوار المختلفة التي يمر بها مبتدئاً من دور الجنين إلى الولادة فالرضاعة والفطام ثم يتدرج في مسابره أيضاً من دور الطفولة وهي النشأة الأولى حتى دور الشباب والمراهقة وغير ذلك مما يتصل بحياة الإنسان وما فيها من تطورات ويراقب حالاته النفسية ونشاطاته الروحية والجسمية وقابلياته الفكرية ودوافعه الذاتية لحركاته وتصرفاته، ويعمل جهد الإمكان على اكتشاف طاقاته ومواهبه وملكاته الكامنة لتنميتها وصقلها بالطريقة العلمية كما يعنى بالجوانب التربوية الأساسية لتنظيم سلوكه تنظيمًا ليحعله نموذجاً إنسانياً رائعاً في الحياة.

فالأستاذ ضياء الدين - أبو الحب - استطاع إلى جانب تفوقه في مجالات الشعر والأدب الحديث المعاصر أن ينال القدر المعلن في موضوع (علم النفس) واختصاصه في تدريسه بنجاح كبير.

بيت (أبي الحب) في كربلاء

وقبل أن نتعرض لمولد الأستاذ ضياء الدين ونشأته نقدم للقارئ الكريم نبذة عن أسرة [آل أبي الحب] المعروفة بأصالتها العربية في كربلاء.

ففي أواخر القرن الثاني عشر الهجري نزح الشقيقان الشيخان - حسن وحسين - من الحويزة إلى كربلاء بغية المجاورة لمقر رحمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام الحسين الشهيد - عليه السلام - وهما يرجعان إلى قبيلة - جشم - بصلة الحسب والنسب، ولكل منهما أولاد ذكور وإناث وأحفاد كثيرون تكونت منهم هذه العائلة المحترمة التي ساهمت في بناء

المجد العلمي والأدبي في هذا البلد العربي المقدس.

أمّا الشيخ - أو - المُلّه حسن فقد خَلَفَ (محمداً) ومحمد هو والد الشيخ محسن (أبو الحب) الكبير الذي كان خطيب زمانه في كربلاء ومن ذوي العبقریات الزاخرة بالشعر العربيّ الأصيل وهو صاحب البيت المشهور على السنة الخطباء والوعّاظ والمحدثين وعامة الناس الذي يعبر فيه عن لسان حال الحسين (عليه السلام) ساعة حاصرته جيوش الكفر والغدر والخيانة في اليوم العاشر من محرم الحرام قائلًا: —

إن كان دين محمد لم يستقم

إلاّ بقتلي ياسيوف خذيني

وهو بيت من قصيدة طويلة قالها في رثاء شهيد كربلاء وقد ذكره بعض المؤرخين الأكابر في موسوعاتهم فقال الإمام الراحل السيد محسن الأمين العاملي: (الشيخ محسن بن الشيخ محمد المعروف بـ "أبي الحب" الحائري توفي ليلة الاثنين ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٥ هـ أحد الأدباء الوعاظ الذاكرين للشهيد في كربلاء المشهورين وله قراءات مشهورة في ذكر مصيبة الحسين (عليه السلام) - إلى قوله - ويألف أهل العلم والأدب حتى تعلم مكتسباً منهم^(١)).

وجاء في كتاب: (معارف الرجال) ما يلي: - "الشيخ محسن بن محمد (أبو الحب) الحائري ولد سنة ١٢٤٤ هـ وكان فاضلاً أديباً بجماعة ثقةً جليلاً،

ومن عيون الحفاظ المشهورين والخطباء البارعين، له القوة الواسعة في الرثاء والوعظ والسير والتاريخ وكان راثياً لآل الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " وشاعراً مجيداً يعد بعض نظمته من الوزن العالي ومجموع شعره من الطبقة الوسطى وجمعوا شعره فصار ديواناً، حضرت مجلس قراءته فلم أر أفصح منه لساناً ولا أبلغ منه أدباً، تتلمذ في الفقه على الشيخ عبد الحسين الطهراني في كربلاء، وفي الأدب على الحاج محمد علي كمونة الحائري وغيره، وتخرج عليه جماعة منهم محمد الفيخراي والشيخ عباس بن حسين النجم النجفي الخ" (١).

وورد ذكره في أرجوزة العلامة السماوي كما يلي :-

وكالأديب المحسن بن الحسن

ابن أبي الحب الخطيب اللسن

وكم له من سمط در في الرثا

إذا وعاه سائق الظعن جثا (٢)

وكان الشيخ محسن معاصراً للشيخ جابر الكاظمي وكلاهما من الشعراء الأفاضل، وقد عثرت على بيتين من غرر المد للشيخ جابر يمدح بهما صديقه

١- معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء - ج ٢ - ص: ١٨١ تأليف حجة الإسلام والمسلمين المرحوم الشيخ محمد حسن حرز الدين. تحقيق وتعليق ونشر ولده الشيخ محمد حسين حرز الدين.

٢- مجالي اللطف بأرض الطف. للعلامة الراحل الشيخ محمد السماوي ص ٧٨.

ونده في العبقرية الفكرية الشيخ محسن (أبو الحب) وهما: -

لو أن كلّ ثنائي للأنام إلى

ذي الفضل (محسن) ما وفيته مدحا

ذاك الذي في مراثي (آل حيدرة)

ومدحهم هو بالفردوس قد

وقد برز من بعده نجله العلامة الجليل الشيخ محمد حسن - أبو الحب - وعاش عهداً سعيداً من تاريخ كربلاء الزاهر يومئذ بالحركة العلمية والأدبية، ثم جاء من بعده دور نجله البار خطيب كربلاء وشاعرها الأملعي الخالد الشيخ محسن الصغير والد الأستاذ ضياء الدين (أبي الحب).

أمّا لقب - أبو الحب - الذي اشتهر به هذا البيت فلم نحصل على سببه ومصدره بالرغم من الجهود التي بذلناها في التحقيق عنه، وتساؤلنا الكثيرة حوله، سواء من بعض أفراد هذا البيت نفسه أو من بعض مشايخنا الأجلاء الذين لهم المعرفة التامة بتاريخ البيوتات والأسر الكربلائية وأنسابها، ولذلك لن نر بدأً من التعليل الذي يجعلنا في يقين قاطع على أن بعض أسلاف هذا البيت ربما كان - قبل النزوح إلى كربلاء - من تجار الحبوب أو مختصاً ببيع نوع معين منها مما أدى ذلك إلى اكتسابه هذا اللقب الذي بقي عنواناً ثابتاً له ولذريته حتى اليوم.

مولده

ولد الأستاذ ضياء الدين أبو الحب في كربلاء في يوم (١٨) ذي (١٣٣٢هـ) تشرين الثاني (١٩١٣) وهو يوم (عيد الغدير) الذي يعتبر من أعظم الأعياد الإسلامية المقدسة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

ونشأ في كنف والديه نشأة توفرت فيها مقومات التربية الدينية والأخلاقية والثقافية على وجهها الأكمل، ثم كفله جدّه المرحوم الشيخ محمد حسن أبو الحب فترعرع في ظلّ رعايته وكان يحرص على تربيته وتقويمه بالثقافة الإسلامية واللغة العربية - لغة الآباء والأجداد - وقواعدها وآدابها وتعليمه التاريخ الإسلامي العربي وكان يعتمد في سلوكه التربوي لحفيده هذا على مكتبته الخاصة الكبيرة التي كانت تضم فنون المؤلفات ومختلف المصادر وشتى الآثار المطبوعة والمخطوطة النفيسة النادرة التي أهديت جميعها مؤخراً إلى (مكتبة سيد الشهداء الحسين الأهلية في كربلاء).

دراساته

وبعد تشكيل الحكومة الوطنية عام (١٩٢١) أدخله والده إلى المدرسة الفيصلية الابتدائية وكانت حديثة العهد فأنتمها وكان الناجح الأول في مدينة كربلاء، ثم لدى امتحان (البكالوريا) للمرحلة المتوسطة سنة ٢٥-٢٦ فكان كذلك الأول في مجموع درجاته في العراق، واستمر على الدارسة فاجتاز الرابع الثانوي في الثانوية المركزية المسائية كما اشترك في السنة ذاتها في امتحانات البكالوريا للخامس الإعدادي فخرج مرفوع الرأس حائزاً على

درجات عالية أكسبته شهرة واسعة في الأوساط، وعيّن معلماً ابتدائياً في بغداد عام ١٩٣٣ وبعد ذلك التحق بدار المعلمين ببغداد وأنهى فيها أربع سنوات وتخرّج بنجاح باهر.

وفي عام ١٩٣٨ اختير عضواً للبعثة الثقافية العراقية إلى بيروت وأمضى هناك ثلاث سنوات حاز فيها على (درجة الشرف) وأتم السنة الرابعة في دار المعلمين العالية لامتناع الحكومة الفرنسية المسيطرة يومئذ على شؤون لبنان من عودته إلى بيروت بسبب المظاهرات الطلابية التي قادها هناك بمناسبة ثورة مايس ١٩٤١ وحاز فيها أيضاً على درجة الشرف.

واشتغل مدرساً في مادّتي التربية وعلم النفس بدار المعلمين الريفية ببغداد لمدة سنتين، وسنتين أخريتين مفتشاً في وزارة المعارف "التربية" ببغداد في حدود عام ١٩٥٠م ولم يكن الأستاذ ضياء الدين خلال الأعوام التي أمضاها من عمره بين طالب ومدرس ومفتش إلا شديد الطموح للحصول على المزيد من انتهاز العلوم الثقافية العامة وخاصة رغبته الملحة في دراسة علم النفس وقد هيأ نفسه لذلك، وقبل في البعثة العلمية لإتمام دراسته في أمريكا في هذا الموضوع، وحصل بعد إنجازه على شهادة الماجستير فشهادة الأخصائي "النفسي" - والتربوي ثم دبلوم الاختصاص المهني وقدم أطروحة ممتازة باللغة الانكليزية لهذا الغرض، وبعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية عُيّن مدرساً لتدريس مادّتي علم النفس والتربية، وقد أصدر خلال هذه المدّة عدة مؤلفات منها: علم النفس التربوي جزءان، وأصول تدريس

الطبييعيات وأصول تدريس العلوم، بالاشتراك مع أستاذ آخر.
وفي عام ١٩٦٠ نقل مدرساً إلى (معهد المدرسين العالي) وبعدها انتسب
إلى جامعة بغداد.

وفي الآونة الأخيرة أصدر كتابين هما: " الطفولة السعيدة وبعض
منغصاتها " و "النقائص والنجاح " وهذا الأخير قامت بنشره مؤسسة دار المعارف
بمصر ضمن سلسلة - اقرأ..

وللأستاذ ضياء الدين أبي الحب إضافة إلى مؤلفاته العلمية المذكورة
بحوث ومقالات في الأدب وعلم النفس ونشرت في أممات الصحف والمجلات
العراقية والعربية وله أحاديث أسبوعية تُذاع من إذاعة الجمهورية العراقية
ببغداد.

ولقد استطاع بقابلياته الكبيرة ونشاطه الفكري واندفاعه الذاتي نحو
العلم أن ينجز رسالة (الدكتوراه) في الفلسفة وموضوعها: "الصحة النفسية"
وقد أوفدته جامعة بغداد لهذا الغرض.

هذا هو الأستاذ ضياء الدين "أبو الحب" قدمناه إلى القراء الأفاضل في
هذه الدراسة بكامل شخصيته العلمية والأدبية اللامعة التي أنجبتها مدينة
كربلاء كما أنجبت أمثاله من مفاخر العلم والأدب والفكر ومنهم الدكتور
السيد صالح جواد "آل طعمة" الذي تتمثل المدرسة الفكرية الحديثة في شخصيته
البارزة.

أدبه

لو نظرنا مرة ثانية إلى بيت "آل أبي الحب" ووقفنا إزاء الهالات الأدبية والمستويات الفكرية الرفيعة التي نبتت ونمت وارتكزت وآتت أكلها فيه، وكانت أسساً طبيعية بل مقومات فطرية لنبوغ رجال الفكر الخالدين الذين أنجبهم وهم أمثال الشيخ محسن الكبير ونجله الشيخ محمد حسن وحفيده الشيخ محسن الصغير حتى جاء دور الأستاذ ضياء الدين في النبوغ، الذي ورث ذهنية هؤلاء الأعلام الفطاحل وهم أسلافه الصلحاء.. وملكاتهم الخلاقة وهي الوراثة الأصيلة التي تبقى حية خالدة مع الأزمان والأجيال لأنها وراثة الفكر والعبقرية والتراث.... فمن الطبيعي أن يكون - ضياء الدين - قابلاً للتأثر بهذه الوراثة والتربية البيتية وممثلاً للتراث الفكري الحي الذي كان هؤلاء الجهابذة المتقدم ذكرهم مصدر إشعاعه وانبثاقه ووجوده.

وهكذا.. فإن للبيوتات العلمية والأدبية أثرها الطبيعي في أبنائها على مرّ الزمن وإن شعلت الفكر لا تخبوا فيها، ولا ننسى في هذا السياق أن نذكر صديقنا الأستاذ جواد (أبو الحب) المحامي فهو الآخر أديب ناضج الفكر طالما مثل بدوره وهو الشاب النشط جانباً حيواً من بنيه العريق هذا - بيت العلم والأدب - بمقالاته الأدبية وبحوثه الفكرية الفياضة إلا أنه منذ زمن والشواغل الإدارية لم تتح له الفرص للمساهمة في الحقل الأدبي كعهده السابق، والإنسان أسير ظروفه التي تحيط به وتتحكم فيه كيفما تشاء^(١).

١- ما زال مديراً لمصرف الرهون في كربلاء منذ بضعة أعوام وقد عرف خلالها بزمته

شعره

درسنا شعر الأستاذ ضياء "أبي الحب" دراسة عميقة فتجسدت لنا فيه المزايا الفنية واللغوية التي لا يستهان لها، فهو بحق شاعر الحب والغزل.

ومن ميراث شعره الغالبة عليه أنه يتسم بالطابع الوجداني، والعاطفة الإنسانية الحارة، وتطغى عليه لغة الحب والهوى طغيانا أشبه بالعاصفة القوية التي تهب تارة وتهدأ أخرى، ولا غرو، فإن الحب هو الدافع الذي يحل عقدة النفس، ويدفع القلب إلى بث شجونه وآلامه. واللسان إلى الإفصاح عما يجول في أعماق أعماقه، والفكر إلى إثارة المشاعر واجتذابها، فالعاطفة تملك عليه كل جوانب الحياة أغلب الأحيان، والطبيعة الضاحكة تمدّه بأقباس من جمالها الخلاب وتزيده طرباً بمظاهرها، ومتعة بمفاتها.

وترى قوة السبك ودقة الوصف، وسعة الخيال، وعمق المعنى ونصاعة الفكرة، وحلاوة القوافي، وموسيقى الأوزان صفات فنية تظهر حلية في أسلوبه وتراكيب شعره الرقيق، وتقرأ فيه لمحات الذكاء الحاد.

فلو طالبني بالدليل على ذلك فإنني أدعوك لإصغاء أنيه ولوعة حبه، وشغفه بغادة حسناء أصبح يهيم في وادي العشق وبيداء الغرام من أجلها، ويبعث إليها مع الأنسام ألحان وجده الثائر المنطلقة من قلبه الذي لا يقرّ له قرار لأنه أحبها وتورط في حبها.

وهذه شكواه التي يصرخ ويضج منها بسبب الهجران من قصيدة تعتبر
من أروع الشعر الغزلي فاسمعه يقول :-

تحملني الأيام من جورها قسرا
فأغدوا على الآلام أنظمها شعرا
فما ذنب من يشواق رؤية عادة
تبدل مد الوصل من هجرها جزرا
وما يفعل الملتاع إلا انتظارها
كما أن بعد الليل ينتظر الفجرا
أصعد أناقي حزيناً مروعا
وما من مؤاس لي يشاطرني الضراً
أخوض عباب الحب أعزل والهوى
يؤلب حرباً تشمل البر والبحرا
تدور برأسي الذكريات فلا أرى
سوى شخصها يختال في برد الذكرى
أأطمع أن أحيا وصاحبة الهوى
تساومني عن حبها البعد والهجرة
وهل ضائري أني أموت كما قضى
محبون قبلي عانوا الحب والقهرا

وطرفي باك ساهم من نوازل

أقضت ضامي وهي تستمني شرّاً

قصور الأماني لا تغري وتشمخي

إذا كان من شاد الذرى عنك مزورا

وهنا يقف الشاعر وقفة الحائر المذهول لأمر قد أخذ منه مأخذه ورماه
بسهامه الهادفة فأصاب بها فؤاده، وما ذلك الأمر إلاّ الحب والحب وحده،
فالحب يلهي ويذهل ويصيب ويفعل بالحب ما شاء أن يفعل وهو لا حول ولا
قوة سوى الرضوخ والإذعان أمام جبروته وسلطانه.

فالشاعر في واقع أمره كأنه لا يرى في هذا الكون الرحيب إلاّ شبح
معشوقته وهو سابح في بحر خضم من الخيال يتمثلها نصب عينيه ثم لا يرجو
في الحياة سوى الوصال فحسب، ولذلك تراه يخاطب قلبه المكدود الملتاع،
المضطرم بحمرة الحب يستعلم منه تحقيق الآمال والأمنيات التي تصبو إليه
نفسه من الشوق واللقاء بالتي شغلت أحاسيسه ومشاعره كما يبدو في هذين
البيتين المقتطفين كإقتطاف الزهرة من بين الخمائيل :-

متى تبسم الآمال يا قلب هل ترى

سأبلغ من دنيا الهوى غاية كبرى

متى يا ترى تأسو جراحي زورة

ويبدو ربيع العمر بالوصل مخضراً

ثمّ تعال معي لنسمع سوية هذا الصوت الشعاري الرخيم - فشاعرنا

الأستاذ (أبو الحب) مفتن بالطبيعة ولهان بمشاهدها، وقد وقف ليذيع أسرار
حبه بها في هذه الألحان الشجية التي تحاكي ألحان البلابل الغريدة فوق
الأشجار وأغصانها الخضر، فاسمعه وهو يخاطب طيور الجو بهذه الأنشودة
الرائعة قائلا : -

غرّدي يا طيور خصب وري
ونسيم رخو وعيش هني
وأمان فسيحة تتراآى
في مدى الطرف نيلهنّ جنى
واهنيء يا طيور فالعيش غض
ومراح الصبا بها محمى
هذه دولة النعيم تناهى
لمقاليدها الصراط السوى
واهزجي بالنشيد ربان بالبشر
وقد صاع لحنها القمري
بنشيد عذب الترانيم حلو
طاب إنشاده وطاب الروى
قد روى للصباح أنباء دنيا
من فتون بها الضحى معنى
نسجته برد الصبا في رياض
الزهر لما قد جادها الوسمى

وهلم بعد ذلك لنشاهد الجمال الشعاري الذي عكسه الشاعر بريشة
شاعريته المبدعة وأضفى عليه من فنه الجميل إشراقة الروعة الساحرة لترى
ماذا يدور في هذه اللوحة الفكرية المنظومة من حوار بينه وبين حبيبه على
بساط الحب والعتاب كما يلي :-

حبيبي سلام لا يعكره عدل
سلام محب ضيقت دونه السبل
رماني من الآلام أصعب مادري
ويحمل من أوزار حبك ما يحلو
تصد وتدري إن صدك جائر
وتجفؤ وتدري في هواك له قتل
ألست تراه يكتم السوق بينما
إماراته عما ألم به تجلو
حبيبي أجري من هواك فليس لي
سواك مجير منك أو حاكم عدل
تجنيت ترجو أن أبوء بعزلة
عن الناس لا أنسى هواك وإلا أسلوا
ألا بئس ما ترجوا ألا بئس ما ترى
أغثني عداك الله والطارق المجل
تراني قرير العين في الناس ضاحكاً
ولكن قلبي في هواك له شغل

ففي مهجتي يغلي أتون صبابتي
ومن مقلتي دمع الصبابة منهل
إذا كنت ترجوا أن أعيش منعماً
فليس سوى أمر الوصال هو الحل

وقد اخترت من بين ما اخترت من المجموعة الشعرية التي تفضل
بإرسالها إلى شاعرنا الأستاذ "أبو الحب" قصيدة "موسم الحصاد" التي قالها
بمناسبة تخرج الطلبة في الامتحانات في "دار المعلمين" ببغداد.. اخترتها لأن فيها
فكرة سامية من التوجيه الفكري والإرشاد الثقافي الذي يلقي الأضواء على
طريق التقدم الذي ينشده رواد الثقافة وطلاب العلم المجتهدون المجدون في
دراساتهم لبلوغ الهدف الأسمى ونيل القدر المعلى في الحياة، وفيها مقارنة
واقعية بين الطالب المجتهد الذي ينال العلى، والطالب الكسول الذي يبقى
متأخراً وفاشلاً في الحياة وهو لا يشعر، وأنى له أن يشعر أو يعي قول الشاعر
الحكيم الذي يقول:

الجهل يهدم أمة ويذلها

والعلم يرفعها أجل مقام

أجل: يقارن الشاعر بين الإنسان الحامل والإنسان العامل في الحياة
وإليك قوله: —

أبشروا جاء الجني يا حاصدون

فاجتثوا غرس الليالي والسنين

غرسكم طاب وأتى.. أكلا
 طيباً فيه لكم ما تشتهون
 كرمتم سرحتكم فاستنبتت
 فاقطفوا.. ذاك جزاء العاملين
 كم كسول ضيع الوقت سدى
 واشترى بالعزّ ذلك الأخسرين
 ترى... هل تكتفي بما قدمنا أم نمضي في الاسترسال لإعطائك المزيد
 من نتاج شاعرنا الملهم؟ أمّا أنا فلا أبخل عليك ما دام لدى بعض الروائع
 الأخرى ومنها هذه المقتطفات وهي من قصيدته "لوعة الذكرى" وقد صهرها
 الشاعر في بوتقة الوجد وهي نداء العاشق الأسير، المقيد بأغلال الهوى
 والحب، وقد جاء فيها: —
 ذكرتك لو تدري اذكاري ولوعتي
 وتعلم وجدي بعد إذ أنت نازح
 تناهبني الآهات منها عميقها
 بأغوار قلبي غاديات سوارح
 وتغمره الذكرى فينشد رسمها
 فتفصح عنه الساجعات الصواح
 رميت قداحي في هواك مؤملا
 فلم ينهني سهم من الحب رابح

نأيت ودمعي سال مجراه هاتفاً
 بذكراك واهتزت إليك الجوانح
 هنالك ضاقت بي من الأرض فسحة
 لنا في مغانيها رؤى ومسارح
 أيا ناعس الطرفين مالك مغضباً
 لك القوس من عينيك فاد منافع
 أسامر نجواك التي لا تملني
 واعدوا وراء الصبر وهو مبارح
 واختلس اللذات في النوم حالماً
 إذا استشعرت نفسسي بأتك لائح
 وأحفل باللقيا فيرفق غاضباً
 ويطرب قلبي باللقا والجوارح
 وأنشد أحبابي بكل مسيرة
 من الأرض فيها للجمال ملامح
 وبلغت براعة الشاعر "أبي الحب" في الغزل مرتبة السمو من المهارة
 والإجادة والذوق السليم في الصياغة وصهر الفكرة في بوتقة الجمال الفني
 حيث يتجلى فيها الإتقان في غاية ما يكون الإتقان والإبداع، ولكي نستزيد
 متعة مبدعات فكره المتوقد نقرأ هذه الأبيات من قصيدة بعث بها جواباً على
 رسالة أحد شبان فلسطين من أصدقائه وقد شبهها بعروس غارقة في زهوها
 ودلالها حيث يقول: —

عروس راق مرآها	أنت والنفس تمواها
أهاجت كامن الوجد	وكان القلب مرعاها
وخود من بنات الشعر	من طيب عرفناها
فتاة زانها الحسن وسحر	اللفظ زكاهها
تمـاوت لي في دل	وجادت لي بلقيهاها
نضت برقعها الداجي	وأبدت عن محياها
شكت لي وجد أحبابي	وأغررتني فنجواها
فقد أسكتتها قلبي	وقد أحسنت مثواها

ثم يخاطب فيها صديقه ويثته بما انطوت عليه نفسه من الآلام من قضية (فلسطين) الغصيبة، ويتأفف، ويتأوه بحرقة شديدة لتعاس العرب وتخليهم عن الجهاد المقدس لاسترداد هذا الجزء السليب الذي انتزعه الصهاينة المجرمون من أرض العروبة والإسلام وما أحسن قوله في هذا التعبير والاستنهاض: —

سلاحاً يا أخا الوحدة	كي نكشف بلواها
متى تبدء الساعة	كي نفني أعداها
متى نفتك بالطاغي	وصهيون يلقاها
متى تستنفر العرب	جميعاً لقضاياها
فأهال بني يعرب	أواها فأواها
إلى كم مجدهم مود	وماء الكدر سقياها

وأقطارهم ظلت يسوس الخصم مغناها

ألا هل نهضة توفى يكون المجد عقباها

هذا، وإن شعر الأستاذ "أبي الحب" في الغزل هو أكثر ألوان شعره الأخرى وفرة لديه، تجود به قريحته السيالة ولا ينضب معينها، ولكننا آن لنا أن ندع هذا الغزل أو التغزل والمرح الشعري جانباً لتتناول لوناً آخر من ألوان شعره ونحن في خاتمة المطاف لهذه الدراسة.

فهذه قطعة من الرثاء أو قطعة من القلب المتفجع المكلوم قالها في وفاة والده المغفور له، وكان حين بلغه نبأ وفاته عاكفاً على الدراسة في (أمريكا) فانظر إلى صدق التعبير، وعمق الكآبة والحزن الشديد الطافح على هذه الأبيات التي يتجلى فيها إعظام البنوة وإجلالها لمقام الأبوة، وهكذا يجب أن تكون حقوق الآباء مقدسة لدى الأبناء كما هي المفروضة عليهم. وها نحن مع الشاعر لنسمع أنات قلبه ونحييه: —

أبتاه قد فارقت غير مودع

ورحلت مغموراً بفيض الأدمع

أنويت ظعناً والقلوب شواخص

ترنو إليك بحسرة وتوجع

أزحمت للنأى البعيد رواحلا

وتركت فينا لوعة المتفجع

أَمْضَيْتِ لَا عَوْدًا وَلَا لِقَا
 أَمْغِيبِ شَمْسَ لَا تَعُودَ لِمَطْلَعِ
 وَاحْسِرَةِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بَابَ النِّهْيِ
 يَا مَصْرِعَ الْعُلْيَا وَجَدْبَ الْأَرْبَعِ
 أَبْتَاهُ قَدْ فَارَقْتَنَا مُسْتَرْخِصًا
 بِالنَّفْسِ وَهِيَ عَزِيزَةٌ لَمْ تَوْضِعْ
 أَبْتَاهُ لَا يَعْلُو الْمَنَابِرَ مَوْتَقِ
 لَنَذْرَاكَ إِلَّا عَاشِرَ أَوْ مَدَّعِي
 وَكَذَلِكَ رِثَاؤُهُ الرَّقِيقَ لَوَالِدَتِهِ فَهُوَ لَا يَقْلُ رُوعَةً عَنْ رِثَائِهِ لَوَالِدِهِ،
 فَلَنَسْتَمِعَ إِلَى صَرْخَةِ الْحُزَنِ، وَأَجِيجَ الْعَاطِفَةَ، وَلُوعَةَ الْفَاجِعَةِ، وَهَوْلَ الْمَصَابِ،
 الَّذِي اعْتَرَى الشَّاعِرَ فَجَعَلَهُ يَطْلُقُ الْقَوْلَ نَظْمًا نَدِيًّا بِقَطْرَاتِ الدَّمُوعِ السَّاخِنَةِ
 يَنَادِيهَا قَائِلًا: —

أَمَاهُ.. بَعْدَكَ مَا عِيشِي بِذِي رَغْدِ
 وَالْجَرْحِ يَنْخَرُ فِي جِلْدِي وَفِي كَبْدِي
 أَبْكِيكَ لِلْغُرَمِ مِنْ أَيَّامِ مُحَنَّتِنَا
 وَلِلْيَالِي الَّتِي مَرَّتْ عَلَيَّ نَكْدِ
 وَأَشْتَكِي حَرَّ آلَامِي وَمَا سَلَبْتَ
 مِنِّي الْخُطُوبَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ سَهْدِ

كنت العمود الذي يعلو به طنبي
وكنت موضع حاجاتي ومستندي
أنت الفجيرة يا أماء بي وبما
قد نالني من أسى ضاقت به عددي
وأجهز الدهر بالأرزاء يفجعني
تترى عليّ شديداً بلا عدد
ما كنت (يا أم) إلا نور باصرة
ظلت بفقدك لا ترنو إلى أحد
ويكاد القلم لا يبرح هذا البحث لولا ضيق المجال الذي قد يتأخم بزحمة
البحوث والمواد القادمة.

وهذا هو الأستاذ ضياء الدين أبو الحب صديقنا الكريم وأدينا الكربلائي
الكبير، وشاعرنا القدير، الذي له المكانة المرموقة بين رجال الفكر المعاصرين
الذين لمعت نجومهم في سماء الأدب ويشار إليهم بالبنان في كل مكان من
أرجاء الوطن الحبيب، ويشاد بمآثرهم في كل بقعة من أرض الوطن والعروبة.
وللأستاذ أبي الحب مواقف خطابية رائعة في بعض حفلات كربلاء
التاريخية منها الحفلة التأبينية العظيمة التي أقامتها مدينة كربلاء في صحن
الروضة العباسية بعد مرور أربعين يوماً على وفاة سادن الروضة العباسية
المقدسة المرحوم السد محمد حسن آل ضياء الدين عام (١٩٥٢) ولم تشهد
كربلاء مثيلاً لذلك الاحتفال العظيم، وموقفه أيضاً في الحفلة التأبينية التي

أقيمت على روح المرحوم السيد محمد سعيد السيد محمد حسن آل طعمة في الروضة العباسية عام (١٩٥٧)، وكان المؤلف أحد المساهمين فيها، ثم موقفه سنة (١٩٥٥) في الاحتفال الذي أقامه المؤلف بمناسبة مولد الإمام الحسين عليه السلام في صحن روضته الشريفة في مساء (٣) شعبان حيث استمر على إقامته ثلاث سنوات متوالية باسم (خدمة الروضتين المقدستين) وكان يدعو إلى المساهمة فيه عدداً من كبار الأدباء والشعراء في النجف وبغداد والكاظمية مع بعض أدباء وشعراء كربلاء.

وأخيراً: هكذا أنجبت وتنجب مدينة كربلاء الشاخحة من المفكرين الذين هم من طلائع الحركة الأدبية المعاصرة فيها.

وبهذا سنفترق مع الأستاذ ضياء الدين أبي الحب في هذه الدراسة لنلتقي وإيّاك أيّها القارئ الكريم مع أديب آخر من أمثاله، فإلى ذلك اللقاء.

المحامي جعفر عباس الحائري



ما هو الأدب.....؟

لعلنا نصيب الهدف في الإجابة على هذا السؤال

الموضوعي بقولنا:

إنَّ العاطفة والفكرة والوصف والخيال والذوق والأسلوب عناصر أساسية تعمل على إبراز هيكل الأدب إلى حيز الوجود بشكله الحسن الجميل الذي يستهوي القلوب والعقول ويكون رمزاً لأصالة وجوده المتمركز في جوهر الإنسانية والمنبثق عنها، والمنحدر من ينبوعها النقي الفياض، وهذه العناصر وغيرها عند اندماجها وتفاعلها مع بعضها يكون لها نتاج ذاتي هو الذي يسميه المفكرون "أدباً".

والأدب هو ذلك التعبير الجميل، أو الكلام المعبر في فحواه عن العقل والعاطفة وكل ما يختلج ويموج في أعماق النفس الإنسانية من أحاسيس وانفعالات تبدو معالمها جليّة على لوحة الشعور الصادق والتصوير الخيالي الرائع، والوصف البديع، والتفكير الواقعي في فلسفة الحياة وقيمة الوجود،

والجمال الطبيعي المشرق بهالاته في المعاني التي يرمي إليها الأديب أو الشاعر ويجسد حقائقها تجسيدا واضحا لا يكتنفه الغموض.

"والحقائق عند الشعراء هي التي تنكشف لهم حقائق، فيعتقونها في الهنيهة الشعرية، إنها ليست تلك الحقائق التي تواطأت عليها أعراف الناس وعلى سننها نهجوا ودرجوا^١.

ألا ترى إن تجسيد المعاني والحقائق يعتبر من الفنون الفكرية الجميلة التي تبدو من خلالها قدرة الأديب المفكر على إبرازها في عمله الأدبي، أو عبقرية الشاعر في تصويره الشعري ونفثات قريحته وشاعريته، فالفن إذن هو الأدب، والأدب هو الفن، والفن يعتمد على الإرادة القوية والمهارة والحدق وصدق التعبير عن العاطفة والوجدان والقلب والضمير وكل ما يتصل بإنسانية الإنسان من غرائز وسجايا نبيلة أصيلة متأصلة.

"والفن قبل كل شيء إبداع وخلق واختراع، وتجسيد مثالي لما يعترك في الصميم وما يتلجلج في الضمير^(٢)"

أو هو كما جاء في هذا التعريف أيضاً: "الفن فيض طبيعي من النفس^(٣)"

١- زهير بن أبي سلمى - سلسلة "أعلام الفكر العربي" تأليف: ألفرد خوري / ص ٩٨.

٢- ألفرد خوري - المصدر / ص ٩٧.

٣- الفن والأدب لـ (ميشال عاصي) ص ٣٤.

ولا شك إن هذا هو التعريف الواقعي لفن الأدب والرأي الصائب فيه. وقد لمحت من هذه المفاهيم الحية للأدب ما هو منعكس في الإنتاج الفكري الذي بين يدي لصديقي الأستاذ جعفر عباس الحائري، الذي عرفته أديباً وشاعراً مارس الأدب نظماً ونثراً قبل أن يبلغ الحلم، وتفتحت قريحته عند تفتح زهرة شبابه، ونمت في نفسه وأثمرت مثلما تنمو الشجرة في أرض خصبة وتستمر في نموها وتثمر.

مولده

ولد عام - ١٩٢٦ في كربلاء ورباه والده العلامة الشيخ عباس الحائري وهو من أفاضل رجال الدين، ولقنه دروساً في الأخلاق الفاضلة كما اكتسبه بيئة كربلاء الدينية كثيراً من الفضائل الروحية التي نشأ عليها.

والبيئة إذا كانت الفضيلة متوفرة فيها فهي البيئة الصالحة حقاً ومن حق كربلاء أن تكون في طليعة البيئات الصالحة لأنها بلد العلم والأدب ومنار الإشعاع الفكري إلى جانب ما يشرق في سمائها الصافية من قدسية عظيمة منبعثة من مرقد الثائر العظيم أبي الشهداء " عليه السلام ".

دخل المدرسة الابتدائية في كربلاء في الثامنة من عمره ثم اجتازها إلى المتوسطة فالإعدادية والتحق بكلية الحقوق ببغداد وتخرج منها عام - ١٩٥١ - وكان من المتعطشين للعلم الذين لا تطيب نفوسهم إلا بالانتهال من معينه المتدفق.

لإرواء غليلهم به، فأيام كان طالباً في المتوسطة والإعدادية لم يدع

الفرص السوائح أن تفلت من تبين يديه للاستفادة منها فكان يغتنيهما لدراسة الفقه والمنطق والنحو ولصرف على أساتذة بارعين من كبار رجال لعلم في مدارس كربلاء الدينية.

وتولّى تدريس اللغة العربية ثلاث سنوات في (جمعية منتدى النشر) في مدينة الكاظمية وكان عميدها العلامة الحجة السيد مرتضى العسكري الذي هو اليوم عميد كلية (أصول الدين ببغداد) وناظرها المرحوم صادق المحلاقي^(١). وبعد ذلك امتهن المحاماة بضعة أعوام حتى اختير عام "١٩٥٧" مديراً للبنك اللبناني - فرع كربلاء- حتى عام "١٩٦٥" حيث نقل معاوناً لمدير (بنك الاعتماد - الفرع الرئيسي - ببغداد وأخيراً ترفع إلى مدير لبنك الاعتماد في البصرة.

والأستاذ جعفر عباس الحائري في رشاقة جسمه وأناقة هيكله دمث الأخلاق، اجتماعي الطبع، حلو الحديث، خفيف الروح، كثير النكات، وله مساهمات أدبية في بعض حفلات كربلاء الدينية وخاصة الاحتفال الديني الكبير الذي تقيمه مدينة كربلاء سنوياً في مساء ١٣ رجب بمناسبة مولد الإمام البطل العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقد حج بيت الله الحرام، وصاهر العلامة السيد محمد صادق القزويني.

١- استبدلت هذه الجمعية بمدرسة الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعد مقتل ناظرها

الأستاذ الحائري والشعر

بدأ شاعرنا ينظم الشعر في عهد مبكر كما أسلفنا وذلك في أيام دراسته المتوسطة بعد أن حصل على ثروة فكرية من مطالعته لدواوين بعض شعراء الجاهلية أمثال: زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني وغيرهما من الشعراء الأعظم في العهدين الأموي والعباسي كالفرزدق والكميت والمتني والشريف الرضي وأبي تمام.

وكان شديد التأثر في الرثاء بالشاعرين الكبيرين السيد إبراهيم الطباطبائي المتوفى (١٣١٩ هـ) والسيد حيدر الحلبي الملقب بـ (أمير الرثاء). وأما من الشعراء المعاصرين فكان أكثر تأثراً بالجواهري وكان هذا التأثير العميق - على طول الخط - مدعاة لخلق ملكة الشعر في نفسه، فتابع النظم وساعدته على ذلك قريحته التي كانت تجري منسجمة مع ذوقه ورغبته وطموحه في أن يكون من شعراء عصره وجيله، ولكنه مع غزارة إنتاجه الشعري لم يكن يهتم بجمعه كما يحرص الشعراء عادة على الاحتفاظ بإنتاج قرائحهم حتى ولو كان قصيدة واحدة أو بيتاً واحداً على الأقل، الأمر الذي أدى إلى بعثرته وضياعه بسبب هذا الإهمال اللهم إلا النزر اليسير الذي لا يتعدى بضع قصائد وحسب.

أسلوبه ونماذج من شعره

الأستاذ جعفر عباس الحائري شاعر مطبوع، وقريحته لا تنتج إلاّ الجيد من الشعر المتميز برقّة الإحساس والشعور، والعاطفة الصادقة ورشاقة اللفظ والأسلوب الممتع، والمعاني المنسجمة مع قوة شاعريته ويكسو شعره حللاً قشبية من جمال الأدب ويؤطره بإطار العقيدة والإيمان وصدق الولاء لأهل البيت الأطهار " عليه السلام " الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ويستلهم من حبه الشديد لهم أغاريد شاعريته التي تدل على أنه متفان في سبيلهم وتلك هي العقيدة الإسلامية الحقّة النابعة من يقظة الضمير والقلب السليم وهكذا يكون المواليون للعترة الطاهرة الذين أراد الله لهم أن يكونوا سادة العرب والبشرية جمعاء، وهم لا شرف أسمى من شرفهم، ولا مجد أعظم من مجدهم، ولا تاريخ انصع من تاريخهم، ولا بيت ارفع من بيتهم، بيت ما أعظمه مكانة في النفوس وشأنا في التاريخ إلى الأبد، يتعالى زمناً إثر زمن، رفعة في ضمير الكون وإشراقة في وجدان الأزلية وناموس الوجود وقد شارف بسموه الآفاق وتعداها شموخاً إلى السماء وظل ينافسها في الخلود.

ذلك هو البيت الذي قامت دعائمه بقصي وعبد مناف وهاشم سيد البطحاء وزعيم قريش وعبد المطلب وعبد الله ومحمد النبي العربي العظيم وعمه أبي طالب (مؤمن قريش) وابن عمه ونصيره وخليفته الإمام علي وأبنائه الاثني عشر (عليهم السلام).

ويطيب لي أن أقدم لك قصيدة تفتحت بها قريحة شاعرنا في رثاء الحسين شهيد الحق والإباء الذي حاربه جحافل البغي و الوحشية اللامتناهية واستحوذ عليها الشيطان فماتت ضمائرهما وغمرتها نشوة الظفر به فصرعته على رمضاء كربلاء وهو يستغيث ويستنصر ولا من مغيث ونصير غير السيوف التي أحاطت به من كل جانب ومكان وقد كان موقف الحسين في وجه أعدائه دعاة الكفر والضلال وعبيد الطغاة..... موقف الأبطال الأشداء الذين يهون عليهم الموت في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق لينالوا شرف الاستشهاد والخلود ولذلك ضحى بالنفس والنفيس، دفاعاً عن العقيدة والكرامة والحرية الإنسانية والمثل العليا وإحياء الشريعة المقدسة التي كانت في طريقها إلى الاضمحلال مهددة بفوضى الجاهلية الأموية وأخطارها الجسمية وقد أطاحت نهضة الحسين الجبارة بملك - يزيد بن معاوية - الطاغية فلنقرأ هذه المراثية التي جرت من قريحة الشاعر مجرى الدموع من العيون حزناً على مصابب الحسين وأهل بيته، لنشاركه في التفجع والمواساة فلنسخر بدموعنا على فاجعة هذا الإمام الشهيد الذي قال فيه جده الرسول الأعظم: (حسين مني وأنا من حسين).

إنَّ القوَّةَ الشاعرية في هذه القصيدة الرائعة تصور لنا هذه المأساة العظيمة وفيها استعراض فكري حافل لحوادث تاريخية تزخر بالحقائق وتميط اللثام عن النوازع الشريرة التي انطوت عليها نفوس أرذل خلق الله أمثال: - أمية وحرب وابن سفيان ومعاوية ويزيد وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه

ويسر بن أرطأة قائد المذبحة الدموية الفظيعة في المدينة المنورة ومن لف لف لفهم
من عمالقة الإجرام في التاريخ والخصوم الألداء لمحمد (صلى الله عليه وآله
وسلم) وأهل بيته الكرام.

والأستاذ الحائري قد أجاد إجادة تامة في تصوير هذا الوحي الشعاري
في رائعته التي احتوت على رتل طويل من المقاطع لطول نفسه في النظم، وهو
يتغنى في أول مقاطعها بمولد الحسين الأغر ونشأته وطيب محتده وقد اقتطفت
منها ما يناسب مجال البحث وهكذا يستهلها كما ترى :—

نمضت لم تتبغ غير التقى طلبا
ولم تكن تشتهي السلطان والرتبا
وكنت في ذروة الأمجاد منزلة
واعرق الناس لو قارنتهم حسبا
أبوك حيدرة والأمّ فاطمة
وجدك المصطفى أكرم به نسبا
ولدت في بردة الاطهار مؤتلقاً
نوراً دجى الليل ولى دونه هربا
وقد رضعت لبان المجد تنهلها
من ثدي أمك دراً سائغاً عذبا
وهز مهدك (جبرائيل) مفتخراً
وهو المناغي بصوت يبعث الطربا

واخضر عودك من غرس تكفله
 أبوك سقيا ورعيا ناميا رطيا
 حتى إذا شاءت الأقدار وانتهيت
 خلافة وبدا الإسلام مكتبها
 وأعلن الغران الدين مبتدع
 أكذوبة وإبان الكفر والريبا
 أعلنتها ثورة حمراء ممتشقا
 شيفا يرى الموت للأعداء والكربا
 ثم هذا مشهد من مشاهد التاريخ تظهر فيه نفسية أبي سفيان المتبطنة
 كفراً، ومثله ولده معاوية وحفيده يزيد، والإمبراطورية الأموية التي أحدثها
 معاوية خلافاً وتحدياً سافراً لشريعة الإسلام وجعلها ملكاً عضوضاً لقومه من
 بعده.
 والشاعر يشيد هنا في موقفه بصبر الحسين إزاء تلك الموبقات حتى إذا
 قام بنهضته المقدسة ونسف بها تلك العروش، وهكذا يفصح مسترسلا:—
 صبرت والصبر مريا ابن فاطمة
 وأنت تشهد من أفعاله العجبا
 أبوك صنو رسول الله تقذفه
 بنو أمية سبا يورث الوصبا

وأثقلوا أمة الإسلام كاهلها
 وجرعوا الناس مرّاً حنظلاً نغياً
 وبدلت شرعة الإسلام دولتهم
 وجذوة الدين منها أحمداً للهبأ
 تلقفوها كما قد شاء شيخهم
 وصيروها بأيدي قومهم لعباً
 وسلطوا كل مطعون بمغرسه
 على الرقاب فصب الغيظ والغضبا
 (عمرو) يبيع بدينار مبادءه
 فكيف أن غمروه الجاه والنشبا
 وقائد مثل (بسر) سار منتهكاً
 وفاتكاً وأثار الويل والحربا
 أما زياد فمن إحدى مكارمه
 أن يجهل الناس أجداداً له وأبا
 هؤلاء أقاموا عرش دولتهم
 وضيعوا الدين والإسلام والعربا
 مات (ابن هند) ولم تنفعه دولته
 ومات يفتersh الحصباء والتربا

وخلف الولد المغرور يعقبه
 يا ليت كان عديم النسل ما عقبا
 يزيد غرّ لثيم عاش في دنس
 ولم يكن لكريم الخلق مكتسبا
 قد أعلن الكفر في قول وفي عمل
 وكذب الرسل والأديان والكتبا
 والمسلمون رأوا من سوء سيرته
 مر الحياة ونالوا الشر والوصبا
 فاستنجدوا بالحسين السبط إذ علموا
 بأن في كفه ما يحق الريا
 نهضت إذا لم يكن بد وأنت ترى
 من فعله ما يثير الحزن والكربا
 نهضت تبعث في اسلامنا أملا
 بأن يعود طرياً عوده رطباً
 وسرت حيث وجدت الدين مخترماً
 والشرع مهتضماً والحق مغتصباً
 وضقت ذرعاً ولم تسطع مهادنة
 مع الطغاة وكنت الفارس الحدبا

ولم تلن للدواهي كلما عظمت
وكنـت تقحم في أرزائها صلبا
وقمت في صـحبك الأحرار مقتحماً
فاهتز عرش بني سفيان واضطربا
تركت (يـثرب) لا خوفاً ولا وجلا
ولا ذعرت ولا غادرتهـا هربا
وسرت تطوى الفيا في دوغـا كلـل
مستسهلا في سبل الدين ما صعبا
وقمت تنصر شعباً كان وحده
من قبل دين فعاد اليوم منشعباً
صرعت فأنهدر كن الدين والتجت
ملائك وجرى دمع الوري صيبا
صرعت والظالمون استبشروا فرحا
واهتز بالنصر طاغوت لهم طربا
وأعولت "زينب" إذ شاهدتك على
الرمضاء والدم من أوداجك انسكبا
ما أحرزوا غير عار ثم كان لهم
مصير سوء سل الأجيال والحقبا

وهذه كعبة العشاق قاصدها

يأتي بشوق يشم الأرض والتربا

هي المقام يلوذ المستجير به

من كل فج سواء ناء او قربا

وهذه قصيدة أخرى للشاعر الحائري وقد صاغتها قريحته السليمة في بوتقة العقيدة والإيمان والولاء المحض لسيد الشهداء عليه السلام . فهي من أبلغ القول في المديح، وفيها تتجلى العاطفة النامية التي تخالها هو القلب وقد توزع قطعاً منظومة بين يديك.

لنمضي في رحاب سيدنا الحسين قائد النهضة الإنسانية الخالدة الذي تنصهر في حبه القلوب والأفئدة، وتتيه في أجواء شخصيته المشاعر والأحاسيس فلا تدرك معانيها كما لا تستطيع أن تكتشف سراً من أسرارها، ولنردد: حيا الله قلب الشاعر النابض الفياض بهذه الحيوية الشعرية في مائة وعشرين بيتاً منها: —

بمولدك الزاكي وقد طببت مولدا

أتيتك يا مولاي للشعر منشدا

وإياك قد أحببت منذ طفولتي

وغذتني أُمي عذب حبك والندی

ولدت فبان النور والبشر والهدى

وكان رحاب المصطفى لك منتدى

ترعرت محبوباً بحضن "محمد"

ومن منكبيه شئت مرقى ومصعدا

نشأت فكانت نشأة عبقرية

بيت كريم طاب عرقا ومحتدا

وفاطمة أم الفضائل والنهى

ترييك إنسانا سموت وسيدا

ومهدك قد هزته شوقاً أنامل

لجبريل إذ قد جاء نحوك موفدا

وكنت مع القرآن قلبا وقالبا

ولم تتخذ غير الهدى لك معهدا

سكبت معاني الحب والحب صادق

لهذي القوافي مادحا وممجدا

وأنشدت في مصباح يوم مبارك

بطلعتك الغراء شعراً منضداً

وقد هيجتني ذكريات حبيبة

بمولدك الميمون إذ جئت فرقدا

تصورت جنات زهت وتنسقت

وطاب رؤاها فيك إذ طبت مولدا

تصورت قيثاراً وأتمل عازف

يجيد على القيثار لحنا مخلداً

تصورت ناقوساً يدق بشارة

لميلاد روح الله عيسى مجدداً

(تصورت خير المرسلين محمداً)

يقبل خداً منك غضاً مورداً

تصورته يحنو عليك بعطفه

ويرشف ثغراً منك بالطيب زوداً

تصورته والمؤمنون وفودهم

تَهْنِؤُهُ إِذْ ذَاكَ جَمْعاً وَمَفْرَداً

ولست وحيداً في هواك ألا ترى

حشود الملا تترى عليك تردداً

وتلثم أرضاً أنت فيها مودع

وتأتي خشوعاً دون مشواه سجداً

لأنك أحببت الشريعة بعدما

أراد "يزيد" طمسها متمرداً

وقد كان يرجو عودة جاهلية

فكان لدين الله جهراً مفنداً

وقال فلا وهي ولا من رسالة
 ولا بعث الرحمن فينا "محمدًا"!!
 وما هي إلاّ لعبة هاشمية
 أرادت بها حكما وعرشا موطدا
 فثرت على الطاغوت تنسف عرشه
 وجردت سيفاً ينزل الموت بالعدى
 أمية قد زعزعت ركن وجودها
 وألبستها ثوباً من العار أسودا
 فلست أغالي في مديحك سيدي
 أحبك حبا عارم الموج مزبدا
 وأفردت أشعاري بذكر فضائل
 لها مقصداً قد كنت أنت ومورداً
 وجدتك أهلاً للمديح ولم أكن
 لغيرك مداحا وإن كان سيذاً
 وفي كربلاء حيث الرياض تنسقت
 ترعرعت من ريحائها منزودا
 وكان نشيد الناس فيها موحدًا
 ألا ليتنا كنا جميعاً لك الفدا

وإن دمت حيا كان ذكرك مؤنسي

وان من كنت الشافع المتفقدا

ونأتي بعد ذلك كيف تجري من قريحة الشاعر دموعاً غالية من الشعر
أحر في مزاجها من الدموع التي تذرّفها العيون في مواطن الحزن والعزاء، في
قصيدة رثى بها صديقه المرحوم السيد مصطفى نجل المرحوم سماحة السيد أبي
القاسم الكاشاني زعيم الحركة الوطنية في إيران ورئيس مجلس الأعيان في عهد
الدكتور مصدق كما كان أيضاً من قادة ثورة العشرين في كربلاء.

أمّا السيد مصطفى الكاشاني فقد مات قبل أربعة عشر عاماً تقريباً وكان
شاباً في ربيع العمر، فالأستاذ الحائري قد بعث إلى بهذه المراثية يعزّيه بها وهي
قصيدة طويلة نأخذ منها الأبيات التالية: _

سلامٌ على السيد الأروع	على ملجأ الناس والمفزع
سلامٌ عليك دوام الزمان	لدى مغرب الشمس والمطلع
أواسيك يا سيدي بالمصاب	بفقْدك للثمر الأينع
من الكرخ - بغداد - دار	ومن طيب أكامه الاضوع
من الورد نفحة أشدائه	ومن روضها العاطر الممتع
ومن رافد هو عرق الحياة	لهذي البلاد من المبدع
ومن روضة الخلد في جانيه	ومن عذب سلسلها الأمتع
ومن كل طير بأرجائها	شذا نغمة الواله المولع

ومن نسمة الصبح إذ لامست	أريج أزاهرها الأروع
تلمست منها نذير الخطوب	ورنّ صدى النعي في
فجئت أقدم هذا العزاء	لقلب بأرزائكم مفجع
ورتلّت أنشودتي بالأسى	وتهمع عيناى بالأدمع
أردف ياسيدي بالمصاب	وتنهّد من هوله أضلعي
أقول ونفسي في ثورة	من الخطب هائجة لاتعي
أقول وإنّ ابنك المصطفى	حريّ بسكبك للمدمع
فيا أسفاً غاب قبل الأوان	بأفق الغيب ولم يطلع
فصبراً فإنّك عند الخطوب	قويّ العزيمة لم تجزع

وأخيراً، لقد أعجبني هذا الحوار اللطيف الذي هو أقرب إلى الحقيقة في واقع الحياة بين والد طاعن في السن رأى أنّ حياته أوشكت على النهاية فراح يوصي ولده بالأرض التي ستركها له فيقول بلهجة الشفقة والحنان: إنّ هذه الأرض لك يا بني فاخدمها لتعيش من بعدي على خيراتها بسعادة وهناء.

أما الولد فيبدى تشاؤمه بالحياة في عهد الإقطاع إلى حد بعيد، ويذكر أباه بما كان يعاني من القسوة والذل والحرمان طيلة حياته التي عاشها ولم يرض أن يعيش عيشة أبيه بأن يكون عبداً مملوكاً للشيخ الذي يعيش في بذخ وترف على ثمرات جهوده.

وفي هذه المقطوعة الشعرية تمثيل حي للحوار الذي جرى بين الأب

والابن حيث تجسدت فيه مظالم الإقطاع وضراوته، ونفوذه وسيطرته على
 الفلاح باستغلال جهوده وهضم حقوقه واستعباده بلا رحمة، وبدونما وازع
 من ضمير.

أجل: فالشاعر يصور هذا الحوار تصويراً بارعاً، بل يجسد واقع حياة
 الفلاح الكادح ونكد عيشه، وضياع آماله وأمانيه، ورزوحه تحت نير البؤس
 والشقاء في عهد الإقطاع الذي ولى إلى غير رجعة.

فانظر إلى هذه الحقائق التي ارتسمت على لوحة هذا الفن الشعري
 الجميل، الممتع حيناً، والمؤلم حيناً آخر، كما ترى: —

قال فلاح يا قرة عيني ولدي

هاك نصحاً م أيبك الشيخ خذه

هذه الأرض التي كنت أنا أزرعها

منذ أيام شبابي والزمان الأبعد

وبذلت الجهد في الغرس وفي استثمارها

وسهرت طول ليلي ساقياً لم أرقد

فستبقى لك فأزرعها وخذ حاصلها

بعد موتي في الغد المقبل أو بعد غد

فأجاب الابن يا والدي الشيخ فهل

كنت تحي لشقاء أم لعيش رغد

أنا لم أشهدك يوماً يا أبي في راحة
 غير بؤس وشقاء يا أبي لم أشهد
 قد حرثت الأرض شوقاً لترى حاصلها
 ولغير الحارث المسكين إنتاج اليد
 مرضت أمي وماتت علّ عرفنا داءها
 هل أتينا بدواء أم طيب منجد؟
 كم تمننت يا أبي أمي بأن ترسلني
 أرشف العرفان من منهله في المعهد
 أسفا ماتت ولم تبلغ إلى آمالها
 واختفت في زهرة العمر بترب
 كم رأيت الشيخ يأتينا بزهو طالما
 وعلى حقك في غير اكراث يعتدي
 نحن لا نشبع بالخبز وفي محفله
 وضعوا الألوان من كل لذيذ جيد
 شربوا الخمر سقتهم غادة فاتنة
 وشربنا آسناً نطفي ضرام الأكبد
 أفسد الزرع ولم يرع جهوداً بذلت
 منك في إنتاجه يا بئسه من معتد

لم تكن تستطيع أن تمنعه مما جنى
 فهل الفلاح عبد يا ترى للسيد؟
 ترك الأرض وولى فرحاً مبهجاً
 وعلا صوتك بالشكوى لحظ نكد
 وإذا ما رفعت دعواك في محكمة
 حذر الحاكم بالسحب وإلا تطرد
 هكذا عشت شقياً بائساً منكسراً
 ومضى جهدك في الأرض سدى لم يقدر
 كيف ترضى أن أقاسي منه ما قاسيته
 هل يريد الشر حاشا والد الوالد؟
 ضحك الشيخ وقال احذر ألا يا ولدي
 لا تقل هذا إلى غيري وإن تعتمد
 ولنعرض بعد ذلك شيئاً من نثر الأستاذ جعفر الحائري في نهاية المطاف،
 فهو كاتب بارع كما هو شاعر مبدع.
 وقد اخترت من نثره مقتطفات من كلمته القيمة التي ألقاها في احتفال
 مدينة كربلاء السنوي الكبير بميلاد حكيم الإنسانية الإمام علي عليه السلام
 في مساء ١٣ / رجب عام (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤) ونشرت في مجلة الإيمان: -
 (....) وإنما لليلة رائعة تبعث فينا البهجة والسرور وتتنزل فيها ملائكة

الرحمة لتخفق بأجنحتها على رؤوس هذه الأمة التي ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

"وتسمح لنا أن نجتمع في روضة من رياض الجنة التي أزلفت للمتقين، وتحضر إلى هذا المكان الطاهر الذي تشواق إليه نفوس الملايين وتتوق إلى زيارة هذه بيوت الرفيعة التي تخر لعظمة هيبتها البيوت، والتي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه، وأن يقام هذا الحفل في كربلاء التي هي كعبة آمال المسلمين، وقبله أنظارهم، ومصدر الفكر والإيحاء في كل أمر يهمهم في هذه الأرض الطيبة التي تجري من تحتها الأنهار، فهي أرض المجد والخلود والتضحية.

"كربلاء التي أتت بالمكرمات وسقيت بدماء الشهداء الأبرار.

"كربلاء التي كابت وطهرت وأنبتت من كل زوج بهيج.

"كربلاء التي احتضنت جثمان أروع شهيد وأشرف مجاهد في سبيل الحق والعدالة والفضيلة، وأعظم مدافع في حقوق المظلومين، هو الحسين بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة.

"كربلاء التي وقفت دائماً وستقف أبداً مع الحق، وجاهدت وتجاهد دون عقيدتها بأيمان ثابت أمام الباطل.

"كربلاء التي صبغت الغبراء بالدم القاني في حوادثها عبر التاريخ، وقدمت الضحايا حفاظاً على الدين وإعلاءً لكلمة المسلمين.

"كربلاء التي هي حاضرة العلم والأدب ومأوى العلماء الأعلام.

"كربلاء التي وقفت موقفاً قيادياً في (ثورة العشرين) بزعامة المجاهد الأكبر المغفور الشيخ محمد تقي الشيرازي وأعلنتها حرباً شاملة على الاستعمار والمستعمرين، وإذا بالعراق بأسره انقلب إلى بركان ثائر والتهمة أعداء الوطن والدين.

"كربلاء التي أثارت فكرة الاحتفال لتعرض صفحات مشرقة من ماضينا المجيد ومبادئنا الإسلامية الخالدة ذات النظم الاجتماعية الصالحة للتطبيق في أي عصر ومصر واتخذت من ميلاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قاتل الكفرة والمشركين عنواناً لهذا الاحتفال العظيم، ونبراساً لهذه الفكرة فأقامت حفلتها الأولى في سنة ألف وتسعمائة وثمانية وخمسين وألهمت إحساس الجماهير المسلمة وأورت نار حماسهم، فأقامت بعدها النجف الأشرف والحلة الفيحاء وبغداد وسامراء حفلات إسلامية كبرى مقتدية بكربلاء بعد أن لمست نجاح الفكرة في الدفاع عن قدسية الإسلام وكرامة المسلمين وأحيت بذلك شعائر الله ﴿... وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

"ومن بواعث الألفة أن تستقبل كربلاء بضيوفها الكرام الذين وفدوا إليها واشتركوا في هذه الحفلة الكبرى التي تقام كل عام إحياءً للشعائر وتأييداً للدين وتعظيماً لكلمة العرب والمسلمين وتجديداً لذكرى ميلاد سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وتخليداً لفضائله وتمسكاً بحبل مودته وتعلقاً بمبادئه واستنارة بنور وجهه الكريم، واهتداءً بهديه، وارتشافاً من

فيض علومه، واغترافاً من بحر نهجه العظيم، وإجلالاً لآرائه الصائبة، وتعظيماً لعبقريته ونبوغته، وتعبيراً صادقاً عن حبه الذي يغمر هذه القلوب التي في الصدور المتلهفة إلى ذكر أهل البيت الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

"هذا علي بن أبي طالب عليه السلام الذي حاربه مناوئوه بالسيف والقلم واللسان وبذلوا الأموال لشراء الضمائر وإماتة الحق وأرادوا بذلك إطفاء نور الإيمان ﴿... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ فذهبت جهودهم أدراج الرياح وماتوا موتة أبدية ولفهم سكون الموت فلا يذكرون وإن ذكروا فبالعار والشنار، أما علي بن أبي طالب عليه السلام فشخصيته تتجلى في سماء الفضيلة بكل معاني العظمة والخلود وانه كالطود الشامخ يطل على الأرض فيملؤها عدلاً وحكمة وخيراً وطيباً وعطراً ويبعث فيها الخصب والحياة، فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعثُ حياً" (١).

١- مجلة الإيمان - النجف - الجزء ٨/٧ - السنة الأولى وهو العدد الخاص الذي تضمن موادّ احتفال كربلاء لعام ١٣٨٤ - ١٩٦٤ م.

السيد مرتضى القزويني



لقاء جديد، يجمعنا وإياك أخي القارئ
على شاشة حياة إنسان نذر نفسه وكل طاقاته
الفكرية لخدمة الدين والأدب. فالمعتقلات السياسية
في بغداد في العهد الفوضوي عام

(١٩٥٩م). والإقامة الجبرية التي فرضت عليه تسعة أشهر في - زاخو
والموصل وتكريت وبغداد - عام (١٩٦٢) تشهد له بذلك، وما المعتقلات
والسجون لأصحاب العقيدة الإسلامية إلّا جهاداً يحفل به التاريخ بفخر واعتزاز.
وإذا كان أصحاب العقائد الفاسدة والمبادئ الكافرة الهدامة يعتبرون أن
العمل من أجل عقائدهم ومبادئهم الضالة المضللة ونشرها بأساليبهم الدعائية
البراقة المعروفة - نضال ما فوقه نضال - وأن غياهب السجون والمعتقلات وربما
المشائق شرف لهم وخلود مع العلم إنهم يعملون من أجل الباطل فلماذا
إذن لا يكون صاحب العقيدة الإسلامية العامل السباق والمجاهد الأول في
سبيل مبدئه الأسمى معترك الصراع الفكري...؟.

مع العلم أن عقيدته التي يحملها هي العقيدة الحقّة، وإن الفكرة المخترمة مع مشاعره وأحاسيسه ووجدانه هي الفكرة السليمة وأن مبدأ الذي يعتنقه بالفطرة هو المبدأ الحق وحده..... يحقق السعادة للإنسان في دنياه وآخرته.

وأخيراً: لقاء مع شاعرنا وخطيبنا الشهير الأستاذ السيد مرتضى القزويني نسجل به صفحات من تاريخ حيته وأدبه وكفاحه.

مولده وأسرته

ولد في كربلاء عام (١٩٢٩) وهو نجل العلامة الكبير السيد محمد صادق القزويني من أسرة كريمة^(١) أنجبته أديباً وشاعراً وخطيباً يعد اليوم من ألمع

١- آل القزويني من أشهر البيوتات العلوية العريقة في ذات الشأن الكبير في تاريخ الحركة العلمية والزعامة الدينية في هذا البلد ويلتحق نسبها بالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، وكان أول من هاجر منهم من (قزوين) وهي مدينة كبيرة تقع شرقي (طهران) إلى النجف الأشرف لطلب العلم (الإخوان) السيدان - محمد علي ومحمد باقر - ولدا - السيد عبد الكريم القزويني وذلك في سنة (١١٨٥هـ). وتتلّمذا على فقيه عصره المرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء حتى بلغا مرتبة - الاجتهاد وتزوجا في النجف ومنهما تكونت أسرتهما في كربلاء كما يلي: =

= أ - نزح السيد محمد باقر إلى كربلاء من النجف وقد رزقه الله بـ"صاحب الضوابط" وهو كتاب "ضوابط الأصول" في علوم الفقه الإسلامي، كما أن له مؤلفات أخرى كثيرة إلا أن كتابه هذا لأهميته العلمية الكبرى هو الذي صار سبب شهرته وبه يعرف حتى اليوم. وكن اعلم علماء عصره واليه انتقلت الرئاسة الدينية والزعامة الروحية في كربلاء زهاء ربع قرن بعد العالم الفقيه الشيخ حسن الشهير بـ<شريف العلماء> الذي كان من أكابر علماء كربلاء. وللسيد صاحب "الضوابط" اليد الطولى في نشر العلوم الإسلامية وقد ازدهرت الحوزة العلمية وبلغت أوج رقيها في كربلاء بواسطته وتوفي عام "١٢٦٢هـ" وكان مولده عام "١٢٠٤هـ". وله من الذكور - أحمد وباقر - وقد

مات أحمد قبل أخيه السيد باقر الذي ورث مجد أبيه وعاش في ظل ذلك المجد ومات خلف العالم المجاهد الكبير المرحوم السيد حسين القزويني أحد قادة "ثورة العشرين" في كربلاء وهو والد فضيلة السيد إبراهيم الشهير - بـ (شمس الدين القزويني) الضليع بعلم الأنساب والذي أفادنا بهذه المعلومات عن نسب أسرته المجيدة هذه.

- وأما السيد محمد مهدي شقيق السيد إبراهيم صاحب (الضوابط) فمن أولاده السادة المغفور لهم كل من :

١- العلامة السيد محمد حسين القزويني المتوفى عام ١٣٨٥ هـ

٢- السيد عباد.

٣- السيد طاهر، وخلف السيد مهدي وكان عالماً وشاعراً مات وخلف الخطيب الكبير المرحوم العلامة السيد محمد صالح القزويني المتوفى سنة (١٣٧٥ هـ) وخلف من الذكور السيد محمد باقر والسيد هادي والسيد أحمد.

٤- محمد باقر الملقب بـ (أبي المعالي) و الشهير بـ (الحاج أغا مير) المتوفى عام (١٣٣٣ هـ) وقد خلف العالمين الكبيرين السيد علي والحجة العلم السيد محمد حسن الشهير بـ (أغا مير) المتوفى (١٣٨٠ هـ) وأولاده هم العلامة - أغا نجفي - نزيل طهران والسيد كاظم والسيد حسين وكان من أقطاب رجال العلم بشخصيته اللامعة وله مؤلفات كثيرة نادرة الوجود منها كتابه "فدك" وهو مطبوع و"الخلافة الكبرى والإمامة العظمى" في ثمانية أجزاء صدر منها الجزء الأول فقط بتحقيق الأستاذ السيد - مرتضى القزويني.

ب - أما السيد محمد علي شقيق السيد محمد باقر - "الإخوان المهاجران" .. فلم يلبث أن غادر النجف الأشرف بعد أخيه واستوطن كربلاء وكان من جهازة رجال العلم الأعلام وخلف العالم الكبير السيد هاشم الذي كان من أصحاب الرئاسة الدينية الحوزة العلمية خاضعة لزعامته الروحية وتوفى عام "١٣٢٧ هـ" وخلف العالمين الجليلين السيدين - محمد رضا ومحمد إبراهيم - اللذين انتقلت لكليهما زعامة أيهما الدينية في كربلاء وتوفى المرحوم السيد محمد رضا عام [١٣٤٥ هـ] وخلف العلامة الكبير السيد محمد صادق القزويني وما زال على قيد الحياة وهو والد

الخطباء المعاصرين في العراق وله مجالس كثيرة في الكويت والبحرين والقطيف يدعى إليها سنوياً لقراءة التعزية والوعظ والإرشاد.

ومن الطبيعي أن يكون شاعرنا في نشأته مثالا لبيته الرفيع الذي له اكبر الأثر في تربيته وتقويمه، ولا غرو.. فان من شأن البيوتات العلمية التي هي (مد العلم ومدرسة الفضائل والأخلاق) أن تكون الطليعة الأولى بين البيوتات الأخرى في مجالات التربية السليمة والشعور بمسؤوليتها.

أثر التعلم في الصغر

الإنسان في صغره - لتلقى العلوم والآداب - خير له من كبره وأجدى، تطبيقاً للقول المأثور: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر". وان التعلم في الصغر تقرّب به العين في الكبر عندما يجتني الإنسان ثمار أتعابه التي طالما أنهكت قواه الجسمية بمثابة دائمة في النهار وسهر طويل في الليل، طيلة الأعوام التي يسلكها من عمره لتحصيل العلوم الثقافية حتى إذا يحين موسم حصاد ما زرع لنفسه ولمستقبله، وعلى هذا الاعتبار تنطبق الأبيات التالية في معانيها الجوهرية

مرتضى القزويني وأشقائه السادة هاشم والشاعر محمد رضا وعبد الحسين كما توفي وشقيقه سماحة آية الله المرحوم السيد محمد إبراهيم عام (١٣٦١هـ) وكان لوفاته يوماً مشهوداً في كربلاء وخلف السيد محمد كاظم القزويني.

أجل.. هذا هو بيت (آل القزويني) في كربلاء وهو بيت علم ومجد وأدب، وهؤلاء رجاله الفطاحل الذين اشتهروا بالعلم والورع والتقوى وكانوا كالمصاييح المضئية في هذا البلد المقدس وتاريخهم حافل بالمفاخر والمآثر الخالدات جيلاً بعد جيل.

التي تفيض بالحكمة من قمة العبقريّة العلوية الزاخرة وفيها إشراقة مثلى من الإنسانية التي يتجلّى فيها نشدان الهدف الأمثل لتحقيق التربية الصالحة التي هي من واجبات الآباء والأمهات ومسؤولياتهم تجاه أبنائهم وفلذات أكبادهم. وما أروع هذه الأبيات المنسوبة لأمام الفصاحة والبيان وحكيم الشرق العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما أصدقه من قائل :—

حرّض بنيك على الآداب في الصغر

كيما تقر بهم عيناك في الكبر

وإنما مثل الآداب تجمعها

في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها

ولا يخاف عليها حادث الغير

دراساته وأساتذته

تدرّج الأستاذ السيد مرتضى القزويني على ارتشاف العلم والأدب من مدرسته البيتية (مدرسة الأبوة) إلى مدارس أخرى وإلى أساتذة آخرين أكفأ من أفاضل العلماء والمجتهدين وتخرج عليهم وهم :

المرحوم الحاج السيد محمد صالح القزويني^(١).

١- هو من أعلام رجال الفكر في كربلاء، وابن الشاعر الكبير السيد مهدي القزويني كما تقدم نسبه، وكان السيد محمد صالح خطيباً منطيقاً بارعاً وشاعراً مبدعاً وعلامة ضليعاً في الفقه

والنحو والصرف والبلاغة العربية، وكان قرينه في الفضائل المرحوم الشيخ محسن (أبو الحب الصغير) المتوفى عام "١٣٦٨ هـ" وللمرحوم السيد محمد صالح القزويني كتاب قيم صدر في جزأين باعتباره من نفائس التراث الفكري الخالد في كربلاء. وقد ناقش به (الدكتور علي الوردي) في الرد على كتابه (وعاظ السلاطين) المليء بالغث والسمين والحقائق والأباطيل... الخ.

وقد امتاز أسلوب العلامة القزويني في كتابه هذا بعنصر الاتزان في موضوعية البحث بين كافة الردود الصاخبة التي استحققت كثيراً مآراء (الدكتور الوردي) وخاصة تطاوله على المعتقدات الدينية الأساسية في مذهب الشيعة الإمامية وتجاوزه حدود المنطق الرصين، وتجرده من الإيمان بالحقائق التي لا يمكن نكرانها أو نفيها بأي حال من الأحوال، وقد حصر هذه المعتقدات بقوله في (زوائد أربعة) خاض فيها غمار البحث وأعطى لها تحليلات لا تمت إلى العقيدة الإسلامية بصله وهي: "١" العصمة في الإمام. "٢" سنة التقية.

ولذلك أثار سخط القراء على نفسه وعل كتابه في الأوساط الدينية والاجتماعية. كما تعدى الشيعة إلى الطعن بكثير من عقائد إخواننا السنة.

ويخيل إليك وأنت تقرأ "وعاظ السلاطين" أن مؤلفه البارع الدكتور علي الوردي رجل من طراز غربي لا يؤمن بمعتقدات المسلمين وتقاليدهم الدينية ومقدساتهم التي ورثوها بالفطرة عن الآباء والأجداد فيريد تغييرها بكل وسيلة ممكنة وخاصة تبديل الحجاب بالسفور وتقليد الغرب في كل عاداته - ومدنيته وهذا شيء عجاب!! وكان من الطبيعي أن تهب عواصف الردود الشديدة عليه بأقلام الكتاب والباحثين دفاعاً عن الحق والعقيدة خاصة في نقاشهم إياه حول خلافة الإمام علي (عليه السلام) التي قال (الوردي) عنها: (الخلافة المزعومة).

والحقيقة أن الدكتور علي الوردي كاتب اجتماعي قدير في أسلوبه الساحر وتبيان الزاخر وقد نجح في بحوث من كتابه: (وعاظ السلاطين) وأخفق في غيرها، وهكذا شأنه في بقية مؤلفاته الجديرة بالمطالعة والدراسة وهو يستطيع في قوة تفكيره أن يكتشف الأمراض الاجتماعية التي تنخر في جسم المجتمع ولكنه عاجز عن معالجتها، ولذلك خاطبه المرحوم السيد محمد صالح القزويني في كتابه القيم "الموعظة الحسنة" بالأبيات التالية بقوله: —

لقد زعم الوردى أن كتابه
 لك حكيم في البلاد دليل
 ولم يد أن المرء رهن مقالته
 وليس سواء عالم وجهول
 وقد قيل والأمثال في شأنه سرت
 طيب يداوي الناس وهو عليل
 وخاطبه أيضاً من قريحة صافية قائلاً: _
 حكم العقل قي قضايا تعصت
 ودع النفس واتباع هواها
 هذه النفس كي بنفسك تسمو
 وتذكر نفساً وما سواها
 زك نفساً أمّارة بالخطايا
 وتدبر فرح من زكاها
 لا تكن في الأمور تطلب جاهاً
 واخش ممن لحكمه منتهاها

والجدير بالذكر أن الدكتور الوردى قد أذعن لكثير من وجهات نظر المرحوم السيد محمد صالح في معرض ردّه عليه حتى أنه أعرب له عن ارتياحه وشكره وتقديره في كتابه "مهزلة العقل البشري" الصفحة الرابعة.

وقد توفي السيد القزويني بالسكتة القلبية، وتعطلت الأسواق يوم وفاته حداداً عليه. وأقيم في يوم أربعينه احتفال تأييني كبير ساهم فيه لفيف من أدباء وشعراء كربلاء ومنهم مؤلف هذا

قرأ عليه (جامع المقدمات) وألفية بن مالك وشرح السيوطي وتعلم منه أصول الخطابة المنبرية وفنونها وهو ذا ذاك في عنفوان شبابه.

العلامة الكبير الشيخ جعفر الرشتي قرأ عليه شرح - الجامي - ومغنى اللبيب لابن هشام في النحو، والمطول - للتفتازاني - في البلاغة وحاشية - الملا عبد الله - في المنطق والعلم والأصول الشرائع في الفقه.

الكتاب. كما رثاه شاعر كربلاء الكبير السيد مرتضى الوهاب بقصيدة رائعة أرّخ في نهايتها وفاته بقوله :-

يا دهر ما أقساك من غادر

صرمت جبل الورع الطاهر

أرزيّت بالمعروف والنهي إذ

أرزيّت بالوعظ والزاجر

نشلت حبراً وعلى غرة

فجعتنا بالشفق الساحر

جنب (أبي الفضل) ثوى وافداً

مستشفعاً في صفة الزائر

آراؤه في الشرع مزدانة

بالعقل والمكتسب الوافر

مذاستقال الرأي أرخته

"صالح أخلص الرأي للباقر"

العلامة آية الله المرحوم الشيخ محمد الخطيب. وقرأ عليه في مدرسته الدينية - الأجرومية وشرحها و - شرح القطر - في النحو وشرح - ألفية بن ناظم - والمنيف في علم التصريف وشرح اللمعة الدمشقية بجزأيه - الأول - والثاني - وتبصرة المتعلمين للعلامة الحلبي ومكاسب الشيخ الأنصاري وكتاب الطهارة.

العلامة المرحوم السيد علي الكاظمي. قرأ عليه شيئاً من هذه المواد العلمية في مدرسة الخطيب.

المرحوم الحجة السيد محمد حسن القزويني الشهير بـ "أغا مير". فقد قرأ عليه: القوانين في الأصول وقسماً من كفاية الأصول للمحقق الخراساني. العلامة حجة الإسلام الشيخ يوسف الخراساني. قرأ عليه فصولاً من المكاسب والطهارة للشيخ الأنصاري وأتم عنده كتباً الكفاية.

شيخ العلماء والمجتهدين العالم الفيلسوف سماحة الحاج الشيخ محمد رضا الحائري. وقد قرأ عليه كتاب [شرح التجريد] للعلامة الحلبي الشيخ الأعظم نصير الدين الطوسي وبعض العلوم الأخرى في الفلسفة والأخلاق.

سماحة آية الله السيد محمد هادي الميلاني. فقد حضر بحثه الخارجي مدة عامين واستفاد منه كثيراً في الأدلة العقلية وتفسير القرآن الكريم.

أجل: هذا هو الأستاذ السيد مرتضى القزويني التلميذ البارع لهؤلاء المشاهير والأعلام في كربلاء وخريج مدارسهم العلمية والدينية والفكرية. فهو علامة إضافة إلى انه شاعر وأديب وخطيب.

ثقافته العصرية

دخل مدرسة الحسين بعد أن ختم القرآن الكريم في البيت على والده، ثم تركها بعد نجاحه إلى الصف الخامس الابتدائي، وسبب ذلك أن طبيعة البيئة الدينية كانت تقضى سابقاً بجرمة للدخول في المدارس الحكومية خاصة وإن البيوتات العلمية والدينية كانت تعتبر ذلك في السابق كفراً خروجاً على تعاليم الإسلام. ولكنه التحق أخيراً بالمدرسة الابتدائية المسائية عام (٤٨ - ١٩٤٩) وفي كتمان شديد للسبب المذكور. واجتاز مرحلة السادس بتفوق كبير وواصل الدراسة المتوسطة وأنهاها بنجاح باهر ثم أدى الامتحان الخارجي للخامس الإعدادي - الأدبي - وكانت نتيجته مدعاة للغبطة وكان في نشاطه واستعداده في الجد والمثابرة على طلب العلم مضرب المثل، وكان إلى جانب انشغاله بتلك الدراسات ليلاً ونهاراً يزاوّل مهنة الخطابة المنبرية. قد وجد في نفسه تشوقاً للالتحاق بـ (الجامع الأزهر) فسافر إلى القاهرة لهذا الغرض ولكنه عند اطلاعه على مناهج الدراسة فيه وجدها قاصرة - كما يقول - بكثير عن مناهج الدراسة عندنا في كربلاء والنجف وأقل مستوى منها. ولذلك شعر بخيبة الأمل وعاد إلى العراق وواصل دراساته السابقة في مدارس كربلاء الدينية: وعندما تأسست مدرسة (الإمام الصادق الأهلية) الابتدائية في كربلاء بجهود العلماء الأعلام عام "١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤" وإشرافهم عليها اختير لها مديراً لكفاءاته العلمية والشخصية فقام بأداء مهام إدارتها سنين عديدة ثم استقل منها منذ بضع سنين، وتزوج وحج بيت الله الحرام وساح في كثير من الأقطار

العربية والإسلامية وإيران.

والأستاذ السيد مرتضى إنساني النزعة في خلقه الفاضل وسلوكه الاجتماعي وتفكيره الوجداني في قضايا دينه وأمته، وله مكانة محترمة بين الناس.

هكذا يجب أن يكون الخطيب

لقد خلق المنبر في الإسلام ليجلجل من على أعواده صوت الحق والعدل في حياة المسلمين ليوقظهم دائماً وأبداً من سبات الجهل والتأخر والجمود بالوعي والتفكير الجدي لإيجاد حياة أفضل وأسعد، ويجمع شملهم في وحدة متماسكة على قاعدة الأخوة الكريمة التي يهدف إليها الإسلام في رسالته السماوية السمحاء.. وليهز أيضاً كيان الباطل ويزعزع عروش الجبابرة ويحطم أبراج الحكام المتعسفين المفسدين في حياة الشعوب الإسلامية والعربية في كل زمان ومكان.

ولقد كان المنبر قبل مصرع إمام الثائرين وشهيد الحق والإباء الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وسيلة لبث تعاليم الإسلام وأحكام شريعته الغراء بين المسلمين الأوائل وتقويمهم بواسطتها ورفعهم إلى مستوى الكمال العقلي والنفسي والخلقي والإنساني وهكذا كانت صفته.

ولكنه بعد واقعة الطف الدامية الأليمة التي انتهت باستشهاد هذا الإمام الثائر المصلح العظيم ومقتل ذوبه وأنصاره الكرام وسبي نسائه.. أصبح ذا أهمية أكبر من ذي قبل، فيما امتاز في جوهره بأكثر من وسيلة وصفة. حيث

اتخذ إضافة إلى صفته السابقة - أداة موقف - للتعبير عن أصدق المشاعر المكنونة في أعماق النفوس ببيان معالم الحق والعدل والحرية والكرامة الإنسانية والقيم الرفيعة والمثل العليا التي ثار وضحى من أجلها - أبو الشهداء الحسين (عليه السلام) - بالنفس والنفيس من جهة . . وبيان مساوئ الظلم السياسي وضراوته البشعة بما فيه من طغيان وغرور وانحراف نحو الكفر والإلحاد وامتصاص الدماء وغير ذلك من الرذائل والموبقات التي اتصف بها - يزيد وأبوه معاوية - وأمثالهما من حثالات البشرية وطغاة الأرض.... من جهة أخرى - الذين حكموا وتحكّموا باسم الدين والذين منهم براء.

أجل : هذا هو شأن (المنبر) في الإسلام قديماً وحديثاً فهو مدرسة سيارة خالدة تعيش مع العصور والأجيال ما شاء الله لها أن تعيش.

وإن دور الخطيب في هذه المدرسة التربوية والتوجيهية دور المعلم الكفو، والمرشد الإنساني، والقُدوة الصالحة، لأنّه يعتبر لسان الجماهير إذ يبعث فيها الوعي الديني والسياسي ويمثلها في الرأي والعقيدة والشعور ويدافع عن حريتها ومعتقداتها وحقوقها بلسان قاطع صريح وجرأة وصلابة وإيمان في سبل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ولا تأخذه في سبيل الله لومة لائم مهما تكن العقبات .

وإن الخطيب الوجداني صاحب رسالة تحتم عليه القيام بأدائها على أتم الوجوه مهما تكن الأوضاع والظروف، مع العلم أن أداء الرسالة يتطلب بطبيعته استعداداً فكرياً، وكفاءة علمية، وشجاعة نفسية، واستقامة وتضحية.

وقليلون أولئك الخطباء الذين يشعرون بهذه المسؤولية وتتوفر فيهم هذا المزايا، والأستاذ السيد مرتضى القزويني من هذه القلة القليلة بين الكثرة من الخطباء المعاصرين.

وهو أول خطيب رفع صوته في وجوه الشيوعيين الفوضويين إبان ظهورهم على مسرح التضليل السياسي - الحزبي - وفضح نواياهم الخبيثة وحارب مبدأهم الهدام برباطة جأش، وقد اعتقل من جراء ذلك قرابة شهر واحد في السجن السياسي ببغداد عام - ١٩٥٩ م - واجري معه التحقيق خمس مرات وأطلق سراحه أخيراً بدون محاكمة. وقد استدعى أكثر من مرة إلى وزارة الدفاع لمقابلة - الحاكم العسكري للعام - في العهد القاسمي البائد للمشاكل التي حدثت له بسبب مساسه وتعريضه بسياسة تلك الحكومة .

وله أخطر موقف في المحاججة مع - عبد الكريم نفسه - يوم دعاه مع جماعة من أصحاب المدارس الدينية الرسمية في النجف وكربلاء لتناول طعام الإفطار على مائدته بتاريخ ٢٠ / رمضان (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) فقد ارتجل عند دخوله وإياهم عليه كلمة ناقشه فيها حول كثير من القضايا والأمور التي أفسدت وضع البلاد ، كما طالبه بكل صراحة وبسالة بتطبيق نظام الإسلام وإلغاء قانون (الأحوال الشخصية) الذي شرعه وساوى فيه بين الرجل والمرأة في (الإرث) خلافاً لحكم الله وتحدياً سافراً لقوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ .

وفي هذا الاجتماع صرح - قاسم - بأنه سيمنح كل مدرسة دينية وسمية

مبلغ (٥٠٠/ دينار) فرفض الأستاذ القزويني هذه المنحة ورد عليه قائلاً: (إنَّ مدرسة الإمام الصادق - وكان يومئذ مديرها - مستغنية لأنَّ رجال البر والإحسان في كربلاء بوجود العلماء الأعلام يمدون إليها يد العون والمساعدة المادية دائماً ويديرون شؤونها.. " والجدير بالذكر أنه خرج وحده من - وزارة الدفاع - غاضباً وأبى أن يفطر على مائدته وعاد إلى كربلاء، وهو لم ينتهز فرصة هذه الدعوة إلا ليقول كلمة الحق عند سلطان جائر.

أجل: هذا هو الدين . . وهذا هو منطق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دستور شريعته الغراء، وهكذا يجب أن يكون الخطيب المؤمن برسالته وواجباته ومسؤولياته الأدبية والدينية والإنسانية.

من مآسي الماضي القريب

لقد مرت على العراق ظروف حالكة اجتاحت فيها الإعصار الشيوعي بأمواله العارمة التي دخلت كل مدنه وقراه وجرفت الألوف من الفتيان والفتيات وتجرع الشعب تحت كابوسه الثقيل ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعذيب والتنكيل على أيدي الشيوعيين الفوضويين الذين شاءت لهم الأقدار الساخرة أن يسودوا بالإرهاب والوحشية الضاربة لفترة من الزمن بعد ثورة (١٤) تموز .

وفي تلك الأيام بالذات، وبسبب الظروف الشاذة التي أهيئت فيها الكرامة الإنسانية، وضاعت المقاييس، ودبست الحقوق، واحتدم الصراع على أشده بين الفضيلة والرذيلة... وخرج آية الله العظمى والمرجع الديني الأعلى

سماحة الإمام الأكبر السيد محسن الطباطبائي الحكيم من النجف الأشرف في يوم ٢٧/جمادي الثاني سنة (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م) وتوجه نحو مدينة كربلاء عن طريق الحلة حيث تناول طعام الغداء عند أحد شيوخ المسيب وهو الشيخ عبد علي.

وخرج الكربلائيون بعد ظهر ذلك اليوم بمختلف طبقاتهم لاستقبال سماحته خارج المدينة كما ذهب المئات منهم إلى المسيب وتعطلت بهذه المناسبة التاريخية كافة الأسواق والمحلات وكان أروع يوم شهده تاريخ هذه البلد المقدس.

ومن مهازل القدر السافر. . أن الفوضويين (طلّاع الشر والسوء) قد تجمعوا من أماكن قريبة وبعيدة بتشكيلاتهم العجيبة ووجوههم الغريبة لمحاولة القضاء على سماحته^(١).

وعند ورودهم حاصروا السيارة التي كانت تقلّه وتعلقوا بأطرافها وصعدوا عليها بهجمات مسعورة وهتافات معادية، وقد تجسد الخطر عندما أوقفوها عن السير مرتين - الأولى - عند باب الشهداء - والثانية - عند باب القبلة للصحن الحسيني الشريف ولكن الله أراد لهم الفشل الذريع لما بذل أبناء كربلاء الغيارى من تضحيات جبارة في درء الخطر عن سماحته. وفي الحقيقة إنها كانت

١- إن هذا الموضوع التاريخي مجتزأً من كتاب مخطوط هام للمؤلف بعنوان : - [بطولات كربلاء في فترة الطغيان الشيعي].

معركة صاحبة ضاربة بين قوى الخير وقوى الشر في وضع رهيب يعجز القلم عن وصفه!!.

وفي الوقت نفسه - عند غروب الشمس - عندما كان فضيلة السيد مرتضى القزويني يخطب بهذه المناسبة في ديوان زعيم الثورة العراقية آية الله المرحوم الشيخ محمد تقي الشيرازي في صحن الروضة الحسينية تجمهر هؤلاء الفوضويون الدخلاء على باب الديوان بأحقادهم الثائرة بعيد فشل مؤامرتهم الدنيئة تلك ولم يستطيعوا الدخول عليه فظلوا ينتظرون خروجه ليفتكوا به وقطعوا الأسلاك الكهربائية المتصلة بمكبرات الصوت لإخماد صوته، وبينما هم كذلك... إذا بشقيق المؤلف السيد مهدي آل طعمة قد شق جموعهم بشهامته وتبعه المؤلف أيضاً فطرقا باب الديوان بعنف، ونادياه بشدة، ففتحه لهما فأخرجاه من بينهم - متوسطاً بينهما - وأنقذاه من خطر المحدث به في حماية شديدة وادخلاه إلى الروضة الحسينية المقدسة حيث ذهب إلى بيته بسلام .

وأقولها للتأريخ بكل فخر واعتزاز - والتأريخ مرآة الحوادث في حياة الأجيال على مر العصور - انه لم يكن لأية مدينة في العراق ما كان لمدينة كربلاء من مواقف جبارة وجهاد بطولي رائع في تلك الفترة الحالكة التي شهدتها العراق في تاريخه الحديث المليء بعظم المآسي وشدائد المحن كانت قلعة محصنة بأبنائها الأشاوس الذين أصبحوا مضرب المثل في حفاظهم على قدسيته، ودفاعهم عن كرامتها بسلاح العقيدة والإيمان ضد أعداء الشعب والدين والوطن، وكان يرن صدى مواقفهم البطولية في كل مكان من العالم

عبر الأثير، حيث كانت كربلاء (دار أمان) لأبناء العراق كلما كانت تهب عليهم عواصف الإرهاب الأحمر في تلك الفترة القاسية .

وكان من بطولات كربلاء وتضحياتها العظيمة المدوية من أجل القيم والمثل العليا في معترك الصراع العقائدي الرهيب انبثاق فكرة الاحتفال الديني العالمي العظيم الذي أقامته بمناسبة ميلاد وليد بيت الله الحرام ومفخرة الأجيال البشرية وعظيم الإنسانية في الشرق الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خضم تلك الظروف العصيبة ومعمراتها السياسية الصاخبة عام (١٩٥٩) وكان الهدف منه إعلاء كلمة الإسلام وبث الوعي في نفوس الجماهير لزعة كيان الباطل والكفر والإلحاد والفساد في المبادئ الهدامة الوافدة... وهكذا نجحت في فكرتها وحقت النصر وأصبح احتفالها شعاراً سنوياً خالداً منذ سنته الأولى.

وقد انفردت - كربلاء - دون غيرها بهذه المأثرة العظيمة التي أنارت بها صفحات التاريخ بأحرف من نور، وكللته بوشاح المجد الخالد إلى الأبد، فلها القصب السبق والمثل الأعلى. إذ أيقظت المشاعر وألهبت النفوس بحرارة الإيمان حتى إذا أقامت (مدينة الحلة) بعدها احتفالاً مماثلاً في الفكرة بميلاد الإمام الحسن السبط " عليه السلام " ليلة ١٥ / رمضان / ١٩٥٩ كما أقامت النجف الأشرف أيضاً احتفالاً كبيراً بميلاد الإمام الحسين " عليه السلام " في مساء ٣ / شعبان / ١٩٦٠ واستمرت على إقامته سنوياً .

وفي أيام المحنة والفوضى تلك وقف خدم الروضتين المقدستين شيئاً

وشباناً دروعاً واقية لسماحة الإمام الحكيم خلال مدة إقامته في كربلاء من ٢٨/ جمادي الثاني حتى يوم ١٥ رجب حيث حضر سماحته الاحتفال الأول الخالد الذي كان حديث الإذاعات العربية والإسلامية والأجنبية. ولقد كانوا يطوقون سماحته في حلقة واسعة متماسكة الأيدي أثناء خروجه من البيت لزيارة الروضتين المقدستين وأداء فريضة الصلاة الجامعة حتى عودته إليه في حراسة شديدة حفظاً على وجوده من أي اعتداء فوضوي دخيل. والوجيه السيد عبود الشروفي جهود كبيرة في هذا الموضوع.

ورُبَّ متسائل يقول: لماذا جاهر الفوضويون بعدائهم السافر للإمام الحكيم بمثل هذه الصفاقة الملحوظة؟

ففي الإجابة على ذلك نقول: لأن الإمام الحكيم هو المرجع الديني الأعلى الذي يمثل بشخصيته العظيمة طائفة الشيعة الإمامية في العالم الإسلامي، وكان الفوضويين يعتقدون أن أي إضعاف يصيبه من جانبهم هو إضعاف للمركزية الدينية والزعامة الإسلامية وإذا ما أصيبت الزعامة الإسلامية بضعف - لا سمح الله - فإنه سيُشمل كافة العلماء الأعلام - مراجع التقليد - وإن إهانة العلماء هي إهانة للأمة وهل تبقى للأمة الإسلامية قيمة أو كرامة إذا أهين قادتها الروحيون أو تعرضوا لعدوان أئيم أو خطر جسيم؟ فكيف وهم المصاييح التي تنير الطريق بنور الإسلام الذي قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ

الكَافِرُونَ﴾.

وتمثل هذه الصورة التاريخية الخالدة جانباً من تلك المواقف الرائعة
للسادة خدمة الروضتين.



التقطت هذه الصورة الرائعة في الروضة العباسية المقدسة

وبعد هذه اللمحات التاريخية الخاطفة نمضي مع الأستاذ القزويني في :

أدبه وشعره

لقد تأثر بكثير من الشعراء المتقدمين والمتأخرين من خلال مطالعته لدواوينهم وغيرها من كتب الأدب العربي ضمن دراساته منذ صغره حتى نشأ أدبياً وشاعراً. وفرضت عليه طبيعة الخطابة المنبرية أن يكون شغوفاً بحفظ ألوان من الشعر القديم والحديث خاصة ما يتعلق منها بمذائج ومراثي الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) أن لـ "خاله" المرحوم السيد محمد صالح القزويني الأثر الكبير في تنمية موهبته الشعرية وهو شاعر بالوراثة قبل الاكتساب وقد سبق القول إلى أن (جده لأُمّه) وهو المرحوم السيد مهدي القزويني كان من كبار علما وشعراء كربلاء وله ديوان مخطوط لم يطبع حتى الآن .

والأستاذ السيد مرتضى شاعر مطبوع وله إيمان برسالة الأدب والشعر . ويفرض عليه هذا الإيمان طريقة الالتزام في النظم^(١) فلا ينظم الشعر إلا في

١- وعلى ذكر الالتزام في الأدب. أتذكر أنني عرضت عليه كلمة ابنة المرحوم السيد محمد آل ضياء الدين المتوفى عام " ١٩٥٣ " قبل إلقائها إعجابه بها وسألته : (عجباً إنك لم تقل شيئاً في رثاء السيد سادن الروضة العباسية الذي تسابقت في تأيينه أقلام الأدباء، وفاضت في رثائه فرائح الشعراء، ورددت مآثره السنة الخطباء . . ؟ " أجابني :- < صحيح ذلك بل إن للمرحوم السيد محمد حسن من المكارم والمآثر ما يجب أن تفرد في كتاب ضخم وقد كان من العظماء . . ولكني آليت ألا أمدح أو أرثي أحداً إلا النبي وآل بيته (ع) >.. >.

والحقيقة أن المرحوم سادن الروضة العباسية كان عظيم الشخصية جليل القدر كريم الخلق

حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) مدحاً وراثاً دون غيرهم إلا نادراً .

وشعره ناضج نضوج فكره . يسبح بين العاطفة والخيال والوجدان ، والشعور الرقيق ، والعقيدة والإيمان ، قوى السبك ، بارع التركيب ، رائع الصياغة والفن ، يؤثر في النفس وكأن له سلطاناً عليها ، ونفيض قريحته بروائع تقرأ فيها آية الفن والجمال الشاعري الساحر .

نماذج من شعره

قال يرثي أبا الشهداء الإمام الحسين بن علي " عليه السلام " صريع
الغدر الأموي الوحشي الذي لم يسبق له مثل في تاريخ البشرية فاستمع إلى
آثات قلبه المتفجّع لتلك المأساة والفاجعة العظمى التي أبكت السماء والأرض
على حد سواء ، فتراه يخاطب الإمام الشهيد ويشيد ببطولاته الفذة وإبائه
العظيم قائلاً في صدق وإيمان : —

أحييت دين الله يا ابن محمد

وفديت دون الذبّ عنه وجوداً

متواضعا مع سمو مقامه ، كثير البذل والعطاء مضيافاً ، وكان تقضى على يده الحوائج والمهمات وقد خسرته مدينة كربلاء خسارة فادحة لن تعوض ، ولمزلته الكبيرة في نفوس الكربلائين استمرت مجالس الفاتحة على روحه من قبل طبقات وأصناف البلد إلى يوم أربعينه وكان ختامها احتفالاً تأبينياً عظيماً لم تشهد كربلاء مثيلاً له حضرته وفود غفيرة من كافة أنحاء العراق وراثاً فيه عدد من العلماء الأعلام ولقيف من مشاهير الأدباء والشعراء في العراق .

وأبيت إلا أن تموت بعزة
فرميت رميّاً في الإباء شديداً
ومضيت محمود الخصال منزهاً
وتركت ذكراً لا يزال حميدا
ونجحت نهجاً في الفضيلة حائز
الشرف المؤثل طارفاً وتليدا
ووثبت وثبة ضيغم قد غاظه
شره الكلاب فهبّ يردي الصيد
حلّقت في جو الإباء مشمراً
عن ساعديك ومشرّباً جيداً
وسللت سيفك في وجوه طالما
اتخذت لها شر الورى معبوداً
مزقت مقتحماً صدوراً أضمرت
لبنى النبي ضغائناً وحقوقدا
قابلت وجههم بوجه عابس
وفللت جمعهم وكنت فريدا
لم تشن في يوم الكريهة جبهة
بل كنت مقداماً بها صنديدا

تبت يدا فئدة جفتك وناققت

في الدين واختارت عليك يزيدا

وللشاعر يصور لنا بريشة شاعريته مفاصد الأحزاب السياسية بأنظمتها القائمة على فلسفات مادية تفسد عقيدة المسلم وخاصة النظام الشيوعي الملحد الذي يعمل على استعباد الإنسان للإنسان ويجرده من الإيمان بربه والاعتراف بوجوده "ثم يقول: إن طريقنا واضح زاهر مستقيم وهو الإسلام فلا الشرق الملحد ولا الغرب الكافر يستطيع كلاهما أن ينقذنا من المعضلات إلى هما سبب شقائنا وشفاء الإنسانية جمعاء وإن سعادة الإنسان في الإسلام إذا تمسك بحبله المتين وهكذا يقول واعظاً ومرشداً:—

يا قوم سيروا إلى الإسلام واتبعوا

في الرأي قادتنا الغر الميامينا

وطبقوا ما أراد الله واتخذوا

ما أنزل الله دستوراً وقانوناً

لا تذهبن بكم للكفر فلسفة

من ها هنا تارة أو ها هنا حيناً

لا الشرق من نكبات الدهر ينقذنا

كلا ولا الغرب في الأحداث يحينا

هذا الطريق فسيروا نحوه وثقوا

إن العدو إذا نرضاه يغويننا

تالله كلهم أعداؤنا وهم
 بالمغربيات وبالتضليل يغزونا
 هم الذئاب جميعاً ليس همهم
 ألا تملكننا . . . ألا ترديننا
 إنا أناس لنا دين وفلسفة
 ومبدأ ليس بالحداد مقرونا
 ومنهج محكم أرسى قواعده
 رب البرية إحكاماً وترصينا
 دين قوم حباه الله أمتنا
 لتملاً الأرض إرشاداً وتبيننا
 ولينا الله والإسلام مبدؤنا
 محمد سيد الكونين هاديننا
 لقد حكما قروناً تحت رايته
 بالعدل وانصاعت الدنيا لماضينا
 قدنا الشعوب ولا اشتطت قيادتنا
 عن الصواب ولا خابت مساعينا
 سدنا ولم تك للفوضى سيادتنا
 كلا ولم تك يوماً من مبادينا

شعارنا العدل والتوحيد غايتنا

والسير وفق التقى أقصى مرامينا

إننا لندعوا إلى الإسلام تنشره

والنصر من ربنا الرحمن يأتينا

وله في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قصيدة تفيض
بمعاني الحب والولاء والإعظام لشخصيته المثالية الفذة فاستمع إلى هذه الألحان
الشاعرية المناسبة من صميم اعتزازه ببطولات الإمام الجبارة في الإسلام
وتقديسه لها كما يبدو:

فيك يا سيّد الوصيّين معنى

جلّ عن أن يناله الأوصياءُ

ولك السبق في الفضائل لم

يسبقك فيها الأنداد والأكفاءُ

فلكم وقعة أبنت بها عن

عزيمة زلّ عندها الأقوياءُ

وجهاد أبليت فيه بلاءاً

عن يقين ياحبذاك البلاءُ

ولكم خضت في المنايا بسيف

كان للمشركين فيه الفناءُ

فلعمري لولا حُسامك ما قام
 لهذا الدّين الخيف بناءً
 ويبدوا حطّمت للشرك حصناً
 وقلاعاً فأرغم الأعداء
 وبأحد كنت المحامي لـ (طه)
 حين ولّت أدبارها الجبناء
 صلت كالليث في صفوف الأعادي
 ومن المشرفي تجري الدماء
 ويوم قابلت (عمرو بن ود)
 بدرت منك ضربة نجلاء
 لم تعد خائباً كما عاد (يتم)
 وعدي - وما عراك استياء
 كنت في الحرب والصلاة إماماً
 ولهم فيهما وراك افتداء
 كنت غوث اللاجئين كهف الأيامي
 واليتامي جلاًسك الفقراء
 ولقد تواردت على شاعرنا القزويني خواطر تاريخية، ولحت حقائقها
 ذهنه وفؤاده حين كانت تجري به السفينة في البحر في موجه كالجبال من

الإسكندرية إلى بيروت في عام (١٣٧٥ هـ) وكان للطبيعة حينذاك أثرها
الفعال في توارد تلك الخواطر التي لم تكن في حسابان شاعريته قبل أمحاره،
وذلك إذا تمثل له يوم خال من أيام التاريخ الإسلامي كيوم (الغدير) الذي
نصب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علياً عليه السلام
خليفة على المسلمين وإماماً بأمر الله فإذا به صهر حادث ذلك اليوم الأغر من
وراء أربعة عشر قرناً في بودقة شاعريته فجاء وصفاً فنياً رائعاً كهذا الذي
ينسجم مع الذوق والقلب والعقيدة في طبيعته: —

أزمع الركب يقطع الصحراء

وعليه أضفى الجليل بهاء

فوقه رفرف السكون فلا

تسمع همساً ولا تحس رغاء

والرسول العظيم في وسط

الصحب الغطاريف يمتطى الغضباء

هيئة الحق جللته فلم ير

مقه راء إلاّ وغص حياء

ألبسته مع الجلالة ثوباً

وكسته من العلى كبرياء

في جموع تضم تسعين ألفاً

أويزيدون يملأون الفضاء

سار حتى وافى "الغدير" بخم
حيث من ربه تلقى النداء
أيها المصطفى أنخ ثم بلغ
ما عن الله قد حملت اصطفا
فأنخ الرسول راحلة السير
وأومى لصحبه إيماء
ودعاهم إلى النزول فهبوا
يستجيون للرسول النداء
جلسوا تحت لفحة الشمس جمعا
ولظى الحريصهر الرمضاء
فارتقى ذروة الحدوج ووفى
هم خطابا قد حير الفصحاء
ثم نادى أأست أولى فقالوا
أنت أولى بالمؤمنين ولاء
فدعا المرتضى وقال لهم من
كنت مولاه فليؤدّ الوفاء
فعلي (مولاه) وآل إلهي
من يواليه واخذل الأعداء

وهذه قصيدة أخرى تطلعنا بروعتها وفيها يعبر القلب والضمير قبل
الشعور واللسان، وتفيض فيها القريحة عقوداً منظم كأنها الجمان، فها هو
شاعرنا في محراب الحب والولاء، يرسل نشيد إيمانه إلى رحاب الإمامة، وكأني
به يترنم بمولد الإمام المهدي المنتظر ويقول: -

بدا كوكب في الفجر فالتهم الفجرا
وشعت بزاهي نوره القبة الخضرا
وأشرق نبراس الهداية زاهراً
فاخجل من لألأته الشمس والبدر
فيا ليلة الميلاد بورككت ليلة
لأن ليالي القدر قد فقتها قدرا
سرى بك نور عن جبين مطهر
لخير إمام زان طلعتة الغرا
وفاح أريج الحق من بطن نرجس
فضوَّع أرجاء البلاد به عطرا
فيا أرض سامرا سموت على السما
كفى لك فخراً فيه يا أرض سامرا
فأسرى به الرحمان عند ولاده
إلى العالم الأعلى فسبحان من أسرى
ولكنه قد غاب قبل تمامه
فألهب أحشانا بغيبته الكبرى

والله يوم يخرق الحجب ثائراً
 على الظلم إذ يبدو ورايته تترى
 والله يوم يزهر الأرض نوره
 فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً
 وتراه بعد أن يستنهض الإمام يصور لنا مأساة فلسطين واللاجئين وغدر
 اليهود الغاصبين وقد نظمها قبل ثمانية سنوات تقريباً:
 أمام الهدى نهضاً فدتك نفوسنا
 وعجل فلا نستطيع يا سيدي صبرا
 أصبراً وذئبي أيدي الفساد تلاعبت
 بأوطاننا طوراً بأوضاعنا أخرى
 أصبراً وذئبي شباننا تركوا الهدى
 وأعداؤنا قد سمموا منهم الفكر
 فما لمبادئهم وفتيان يعرب
 وما لبنينا والشيوعية الحمرا
 وهذي ملوك المسلمين تخاذلت
 لأطماعها طوراً فأفسدت الأُمرا
 أضاعت بلاد المسلمين فأجلبت
 عليها جيوش الكفر تغصبها قسرا
 وشردت السكان عن عقرب دارهم
 يسومونهم سوء العذاب بها مرّاً

فيا ربّ أم والرضيع يجنبها
 يلوك ولا يستطيع نفعاً ولا ضرّاً
 تهيج لي ذكرى (فلسطين) لوعة
 فيا صاحبي سرى (قفا نبك من
 ألم تك مسرى للنبي مقدسا
 بها المسجد الأقصى بها الآية الكبرى
 تصبح بها (صهيون) فها سطا على
 أرامل تجثو عند أيتامها حيرى
 فياليت شعري ما الذي جرأ العدى
 ليسطوا علينا يتغنون يباشرا
 لفلق وزور وارتشاء وخذلة
 تدين بها سرّاً ولنكرها جهرا
 خلاف وتفريق سرى في شعوبنا
 فضاق بنا ذرعا وجرعنا المرّاً
 ونلتقي أخيراً مع شاعرنا في هذه الأبيات من قصيدته الرائعة التي ألّقاها
 في مهرجان كربلاء الدين العالمي بميلاد الإمام علي عليه السلام في السنة
 الأولى (١٣٧٩ هـ - ١٩٥٨ م): وقد أبدع فيها ما شاءت قريحته السيّالة أن
 تبذع في إبراز الفن على لوحة الجمال الأدبي وفي رياض الحب والعقيدة
 والولاء لأبي الأئمة وسيد الأوصياء عليه السلام ومن هو أحرى من الإمام
 بهذا المديح؟: _

العدل يهتف في بليغ سرور
 قد جاء أكبر رائد ونصير
 والحق يصرخ في وجه خصومه
 قد جاء قائد وسفير
 قد شرف التاريخ أعظم ثائر
 صوت العدالة في أجل عصور
 قد جاء خير مدمر صرح الفساد
 ومنذر الطغيان بالتدمير
 قد جاء عون الكادحين وراحم
 المستضعفين وغوث كل فقير
 بطل يخلده الزمان معظماً
 ويُدِّيه التاريخ بالتكبير
 هذا عظيم فوق كل معظم
 هذا أمير فوق كل أمير
 هذا (علي) سيد الأبطال في
 عزم وفي حزم وفي تدبير
 هذا (علي) قدوة الأجيال في الـ
 أقوال والأعمال والتفكير

ملاً الزمان مناقباً وماثراً
 لم تبل بالترديد والتكرير
 ويسجل التاريخ عنه مناقباً
 جلّت عن التّرقيم والتّسطير
 شهدت ميادين الجهاد بأنّه
 أقوى نصير للهدى وظهير
 ولديه ساحات الوغى قد أذعنت
 بضرا به وطعانه المشهور
 ليث يكر على الطغاة فلم يعد
 إلّا ويحصد رأس كل كفور
 يذر الطغاة سواجباً بدمائهم
 فيعيد للطغيان شرّ مصير
 وكم كان بودّي أن أتناول شيئاً من نشر شاعرنا الحاج السيد مرتضى
 القزويني ليأخذ مكانه إلى جانب شعره ولكن ضيق المجال لم يسمح لنا بذلك،
 وسواء فعلنا ذلك أم لم نفعل، فإنّ لقلمه في مجال النشر قوّة ورصانة كقوّة
 شاعريته في مضمار الشعر.
 كثر الله رجال الفكر والأدب من أمثال صديقنا الغالي - أبي علي - لينتفع
 بهم الجيل في الحاضر والمستقبل.

السيد صدر الدين . الحكيم . الشهرستاني



خطيب بارع، وشاعر لامع، وأديب شهير، وقد
لمع نجمه بين النجوم السواطع في سماء الأدب العربي
المعاصر، وهو بلبل حفلات كربلاء الصдах فإذا ما
وقف في أي مناسبة لينشد رائعة من روائعه تجتذب
نغمات شاعريته السّاحرة

للقلوب، وتتوق لسماع صوته الرخيم نفوس السامعين.
ولست في مقام مدح أو إطراء شاعرنا المعروف هذا فهو أغنى من أن
يكون غنياً عن التعريف، وأشهر من أن يكون شهيراً في مضمار الفن وطاقاته
ومواهبه، وحسبي ما أقوله عنه لا يخرج عن نطاق الحقائق التي هو - محورها
الطبيعي - وقطب رحاها .

مولده وأسرته ونسبه

ولد في كربلاء سنة "١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م" وهو نجل المرحوم السيد
حسن الحكيم وقد عرف بالعلم والفضل وكان حاذقاً في - الطب اليوناني - إلى

حد بعيد وكان يراجعه المرضى في - عيادته - فيعالج أمراضهم بالعقاقير الطبية لا بعد تشخيصه المرض في دقة وذكاء وحذق .

وليس شاعرنا من أسرة السادة الأكارم - آل الشهرستاني - الموسويين العريقة في كربلاء كما هو المشهور بذلك، وإن أسرته التي ينحدر منها تعرف بـ (آل الحكيم) ولها مشجرة خاصة^(١) وقد اطلعت عليها فوجدت فيها نسب شاعرنا كما يلي :-

محمد علي - صدر الدين - وأشقائه السادة : شمسي - محسن - فخري - أولاد السيد حسن الحكيم بن السيد مهدي^(٢) بن السيد خليل بن السيد إبراهيم بن السيد محمود بن عبد العزيز بن عمران بن جعفر بن إدريس بن جواد بن عماد بن خليفة بن علي بن محمد بن فلاح بن محمد المهدي بن فلاح

١- كتبت هذه المشجرة في سنة (١١٨٥ هـ) وذيلت بتواقيع وأختام عدد كبير من أشراف واعيان كربلاء الذين اعتمدوا على صحتها ومن تلك التواقيع التي نقلتها حرفياً هي : -

شاعر آل الرسول محمد حسين الحسيني النسابة - عباس بن نعم الله آل طعمة الموسوي الحائري نقيب الأشراف - حسين بن محمد آل درّاج الحسيني الموسوي الحائري - نقيب الأشراف - أحمد بن يحيى آل طعمة الموسوي الحائري الخادم - درويش بن محمد آل ثابت الحسين الموسوي الخادم - أحمد بن محمد حسين بن محمد علي الاشيقر الحسيني الحائري - محمد علي بن مرتضى بن عبد المطلب آل دراج الحسيني الموسوي الحائري - وغيرهم.

٢ - كان السيد مهدي جد المترجم له عالماً في الطب ومجتهداً في الفقه الإسلامي وشاعراً كبيراً وصاحب < ديوان > وله مؤلفات قيمة مخطوطة، وقد عرف هذا البيت بـ (الحكيم) نسبة إليه ثم ازداد شهرة من بعده بواسطة والد المترجم له الذي ورث علم الطب من أبيه وامتتهه طيلة حياته .

بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن رضا بن إبراهيم بن هبة الله بن طيب بن أحمد بن محمد بن قاسم بن أبي الفخار بن علي الضرير بن معمر بن عبيد الله بن جعفر بن محمد^(١) بن موسى - لام ولد - بن عبد الله بن الإمام الهمام موسى الكاظم بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام .

نشأته

نشأ تحت ظلال والديه اللذين بسطا عليه أجنحة الشفقة والحنان ورسمًا له برعايتهما طريق النشأة الصالحة وتشربت روحه مفاهيم الدين الصحيحة :
والحقيقة إن للبيت أثرًا كبيراً في تقويم الطفل وتوجيهه الوجهة التربوية السليمة، وهو لا ينشأ إلا على تربية البيت فيما يقتبس من خلقه وعاداته وتقاليده ومعتقداته التي تنغرس في نفسه بذورها الطيبة، وتنطبع على صفحات قلبه آثارها بالفطرة، ثم تؤتي ثمارها كلما يتجدد نحو البلوغ العقلي والتكامل الشخصي :

وإذا كان الآباء والأمهات يقدرّون المسؤولية ويشعرون بواجب القيام بالتربية على وجهها الأكمل استطاعوا عند ذاك أن يخلقوا من أبنائهم جيلاً

١ - كان بعض أجداد هذا البيت يسكنون قديماً في (نصيبين) قرب مدينة (حلب) في سوريا ومنهم - محمد بن موسى - كما يذكره النسابة السيد أبو فضيل بن أبي الفتوح الحسيني في كتابه المخطوط (النفحة العنبرية في أنساب آل خير البرية) في ذكر أولاد الإمام موسى الكاظم وقد وجدته في مكتبة العلامة السيد محمد البحراني وتاريخ تأليفه يرجع إلى سنة (٨٩١ هـ).

صالحاً سليم العقل والفكر ، رفيع المزاياء ، كريم الطباع ، وان يجعلوا منهم مصابيح مضيئة في حياة المجتمع .

والبيت هو مدرسة الطفل الأولى تحتضنه وليداً ، وتعدّه للحياة والأبوان دعامتان أساسيتان لهذه المدرسة ومراآتها الناصعة التي ينعكس عليها المقياس الصحيح الذي يستطيع الإنسان على ضوئه أن يحكم في ما تتصف به من المثل والفضائل أو بالعكس .

ولقد كان شاعرنا ريب هذا البيت الذي أنجبه وأحسن تربيته ، وأتمّ تهذيبه وأكمل تأديبه .

دراساته وأساتذته

لقد تتلمذ السيد محمد علي - صدر الدين ت علي أحد شيوخ التعليم القديم وكان في السابعة من عمره ، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ودرس القرآن الكريم ثم تتلمذ عد ذلك على المرحوم حجة الإسلام الشيخ محمد الخطيب مؤسس "المدرسة الدينية الرسمية في كربلاء" في العلوم العربية والفقه والأصول وكان من المقربين عنده لجده واجتهاده وحاز على شهادة التخرج من مدرسة عام " ٥٣ - ١٩٥٤ " كما تتلمذ على خطيب كربلاء المنطيق المرحوم الشيخ محسن " أبو الحب " الصغير وأخذ عنه فن الخطابة المنبرية ولمع نجم في هذا المضمار وبعد اليوم من أبرع الخطباء المعاصرين :

ومن أساتذته أيضاً العلامة الكبير الشيخ جعفر الرشتي عميد "المدرسة هندية" العلمية في كربلاء وقد درس عليه فصولاً من قواعد اللغة العربية

والمنطق والبيان وتخرج من الدورة الدينية الخاصة برجال الدين عام "٥٩ - ١٩٦٠" فهو يمارس مهنة التعليم الابتدائي إلى جانب مزاولة الخطابة المنبرية .
ويحمل شهادة الدراسة المتوسطة.

المنبر والخطيب

قلنا قبل هذا ما تيسر لنا القول عن المنبر والخطيب وأهميتها في حياة الإسلام والمجتمع الإسلامي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. ثم نضيف هنا إسهاباً أو إيجازاً كلمة أخرى لا بد منها فنقول :

الحسين بن علي عليه السلام البطل العظيم - الخالد - مدرسة الأجيال الكبرى، بل جامعة الحياة العظمى، تشع أنوارها الزاهرة على العالم البشري، ويتلقى فيها المسلمون دروساً بليغة تفيض بمعاني العزة والكرامة، ومفاهيم الحرية والإباء والتضحية من أجل العقيدة الدينية الحقة والمبدأ الإسلامي الأسمى وإعلاء كلمة الحق والعدل بعزم صارم وإيمان قويم.

وتلك هي من مزايا الرسالة الحسينية الإنسانية المشرقة التي تنير العقول وتصلق الأفكار وتهذب النفوس وتغرس فيها المثل العليا والقيم الإنسانية وتهدي الأنساب إلى منابع الخير والفضيلة والكمال، وتضيء أمامه طريق الحق المستقيم ليسير على ضوئه في مقارعة قوي البغي والظلم والفساد، ومحاربة الاستغلال والاستبداد والاستعباد في كل زمان ومكان على هدى رسالة الإمام الحسين " عليه السلام " معلم الأجيال ومحرر الإسلام من ريق الكفر والشرك والإلحاد، والمصلح الثائر، أو الثائر المصلح الذي هدم بنهضته الجبارة

المقدسة قلاع الديكتاتورية الأموية المطلقة على رأس "يزيد بن معاوية" الفاجر الخليع ومن لف لفه من حكام الخيانة والسوء .

ولقد وجد "المنبر" في الإسلام من أجل الهداية والتهذيب والتثقيف وخلق مجتمع فاضل يشعر بمسؤولياته وواجباته في مجالات العمل المثمر البناء تجاه دينه ووطنه وأُمَّته وكل مقدساته التي يؤمن ويعتز بها .

ولقد كان رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " صاحب "المنبر" الأول في الإسلام ، وخطيبه المثالي في وعظه وإرشاده وتوجيهه ودعوته إلى الله برسائله السماء المقدسة (شريعة الإسلام) الخالدة وتعاليمها السامية : وكان أعظم خطيب من بعده تلميذه العظيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "ع" سيد الأوصياء الإمام البلاغة وأمير الفصاحة والبيان ومن بعده أبناؤه الغر الميامين من أئمة (أهل البيت - عليهم السلام -).

وحريٌّ بخطباء المنبر الحسيني في كل مكان أن يكونوا من ذوي الثقافة العالية والأدب الرفيع والأفق الفكر الواسع فتلك كفاءات تتناسب في جوهرها وطبيعة الخطابة، وتتلاءم وروح الرسالة الإصلاحية التي يتجلى بها الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل هي كفاءات يجب أن يتصف بها شخص الخطيب ليكون ناجحاً في أداء مهمته الخطابية .

والإسلام لباب من الحكمة الإلهية وحسب، وأن تفهم اللباب والتمسك بها يزيد الإنسان المسلم تفتحاً في الذهن، وبصيرة في العقل، وتهذيباً في النفس، واستقامة في السلوك، ورقياً في الحياة.

وإنَّ طبيعة العمل الخطابي تحتم على الخطيب أن يكون أحرص من سواء في تفهم تلك الباب، واشدَّ نهماً في الارتشاف من ينابيعها الفياضة التي تجعله أهلاً لأن يكون قدوة لمجتمعه، ومرشداً صالحاً فيه في حياته، ورائداً إنسانياً يناط به تقويمه وتوجيهه توجيهاً إسلامياً وفكرياً صحيحاً على أتم الوجوه وأكملها سيما في عصرنا الحديث الذي هو كالبحر اللجّي والتيارات الفكرية والعقائدية المعاصرة الكافرة المتناحرة مع الإسلام أمواجه المتلاطمة؟

فالمنبر وسيلة ليث تعاليم الإسلام بين الإسلام، وغاية لرفع مستواهم الفكري وتنوير عقولهم وتحريرها من شوائب الجهل، وإيقاظها من سبات الجمود، لتكون دائماً وأبداً طاقات حيوية صافية تعيش مع النور وتكتشف الحقائق، وتبدد الظلام.

ودور الخطابة في حياة المجتمع كان ولا يزال عظيم الأهمية والأثر، كما أن مسؤولية الخطيب في نطاق العمل الخطابي عظيمة أيضاً، يشترك معه في هذه المسؤولية ضميره ووجدانه كفرد مثقف من أفراد المجتمع الذي يعيش بين ظهرائه، وعضو نافع فيه، يشاركه في السراء والضراء، ويطالب بحقوقه وينتصر له في معضلات الأمور ومعتمعات الظروف، لأن لسان الخطيب الوجداني الجريء كالسيف المسلط على رقاب الأعداء والطغاة المستعمرين الكفرة وأذناهم، وصراحته في القول أنفذ إلى قلوبهم من السهم الطائش.

وإنَّ نظرة الجماهير إلى خطيب كهذا نظرة واقعية فيها كل معاني الإجلال والتقدير والثقة والإكبار.

أما الخطيب الذي لا يشعر بمسؤولية نفسه وعمله . . فيأمر وينهى في وعظه وهو لا يطبق أحكام الشريعة على نفسه قبل غيره . . ولا يتورع عن الكذب والزور، ويتخذ الخطابة (وسيلة) لابتزاز المال، والمنبر (غاية) للإثراء على حساب الدين فهو تاجر لا خطيب، ودجال محتال - مزدوج الشخصية - آثم قلبه ذلك لأنه لا يعمل بما يقول كما هو المفروض عليه، ويريد من الناس أن يتعظوا بما لا تتعظ به نفسه: ﴿ يَقُولُونَ بِالْأَسْتِثْمَ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾.

ولسنا بحاجة إلى الاستشهاد لإثبات ذلك، فالتاريخ في مختلف عهوده وأجياله هو الشاهد العادل على - وعاظ السلاطين أو - أبواق الدجل والتهريج - الذين لا يخلو مجتمعنا الحاضر من بعض نماذجهم مع الأسف الشديد.

وأخيراً: إنّ لخطيبنا الفاضل السيد صدر الدين الشهرستاني مكانة سامية وشهرة فائقة في ميدان الفن الخطابي لما يتّصف به من صدق وصراحة وجهاد عن الحق والعقيدة في بيانه الرشيق وفصاحته وأسلوب إلقائه الجميل في العرض والأداء .

نشأته الأدبية

كان قبل أن يفتح ذراعيه ليعانق بها صباه، وقبل أن تهب نسيمات الشباب الغض في أرجاء نفسه..... كان الحافر الذاتي يدفعه وراء هدف معين.. هو دراسة الأدب ونظم الشعر، وقد نشأ على تذوقهما وغذى بهما روحه وفكره، وكان يطمح أن يكون من شعراء المستقبل، لذلك خاض غمار

الكتب الأدبية ودواوين الشعراء القدامى في الجاهلية الإسلام وارتشف من مناهلها العذبة نميّاً سائغاً لإرواء غليله، وحفظ منها الشيء الكثير، ثم بدأ ينظم الشعر وهو يومئذ لم يبلغ الحلم، وتتلّمذ على أستاذ قدير كان يلقب بـ (فحل الشعراء) وهو المرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزي فاقبّس منه فنون الشعر حتى برع فيه براءة تامة وقد قال في حقه المرحوم الحويزي: —

بصدر المجد صدري اليوم حلاً

فزينه بهجته وحلاً

إذا وافى إلى العلياء يوماً

تقول له العلى أهلاً وسهلاً

وكان الحويزي يتوسم في تلميذه هذا نبوغاً في مستقبل أدبي زاهر، ولذلك لم يأل جهداً في تنمية ملكته وصقل شاعريته.

خدماته الأدبية

للأستاذ السيد صدر الدين خدمات أدبية كبيرة في هذا البلد العريق أيام كان يصدر مجلته الغراء - رسالة الشرق - المحتجة التي خدمت قضايا الفكر والأدب في كربلاء سنه كاملة منذ ١٥ عاماً، ثم أيام كان رئيساً (للهيئة العلوية) منذ عشرين عاماً تقريباً وكان يعد ندوات أدبية أسبوعية في ديوان - آل الشهرستاني - وقيم حفلات كبرى في مناسبات دينية وأدبية وكان يتبارى فيها أدباء وشعراء من كربلاء وخارجها بنتاج قرائحهم وثمرات أقلامهم وكان المؤلف من الأعضاء العاملين وإياه في عقد تلك الندوات والحفلات الأدبية

التي طوى الزمان رسومها بعد أن خلد في القلوب آثارها.

وللأستاذ الشهرستاني مكانة رفيعة تطل على جوانب مختلفة من شخصيته منها الجانب العلمي والأدبي والاجتماعي، ثم الجانب الإنساني وهو بحد ذاته يشمل جملة من صفاته الطيبة كالتواضع والوداعة كما يتصف أيضا بنفس أبية لا تعرف الملق والتطفل وحب الذات على حساب الأدب . وهو رئيس للجمعية الخيرية الإسلامية - في كربلاء من عام (١٤٨٤ هـ - ١٩٦٥ م).

شعره وشاعريته

لشعره طابع راق يتسم بالميزات الفنية والمستوى الرفيع ، والخيال الخصب والفكر المتوقد والذوق السليم، والإبداع، والتمثيل الحقيقي لكل شيء يرتسم صورته على لوحة مخيلته ، ويتوفر لديه الإحساس المرهف والشعور العميق بتصرفاته الجميلة التي كثيراً ما تبدو في تراكيب الألفاظ السهلة، العميقة المعاني في أسلوب واضح لا تعقيد فيه ولا غموض .

وفي شعره قوة واتزان، وبهجة وجمال، وعاطفة وحماس وجاذبية طبيعية تجتذب القارئ والسامع، وينفذ شعره إلى القلوب بدون استئذان. وانك حين تقرأ شعره تقف على حقيقة القول في شاعريته وموهبته، وانك لترى من خلال تلك بريق الذكاء ووثبة الروح وقوة البلاغة والبيان ناشرة أضواءها في جو شاعريته التي تفيض بها قريحته السيالة بعصارات روحه ووجدانه وضميره في نتاجه الأدبي المرموق.

الاتجاهات المختلفة في شعره

الحرية حق طبيعي من حقوق الإنسان وخاصة الأدباء والشعراء والمفكرين، وبحكم هذه الحرية الإنسانية التي يجب أن يتمتعوا بها من غير ضغط وكبت وحرمان... يذهبون بأدبهم في الحياة مذاهب شتى. فالدين والسياسة والاجتماع، وكافة الشؤون والقضايا والأحداث ميادين واسعة الأرجاء أمامهم يصلون فيها ويجولون.

ولما كان شاعرنا هو الآخر يعشق الحرية الإنسانية كغيره من الشعراء ويتطلع إلى آفاقها المشرقة ويستوحي من معالمها أغاريد الحياة نجده يمتلك القوة الفكرية التي تشد من عزمته وتجعله لا يترك ميداناً من هذه الميادين إلا ويتبارى في اقتحامها بنشاطه الذهني واستعداده الفطري .

فهو شاعر الحب والغزل، كما هو شاعر المدح والثناء، والمناسبات التي كثيراً ما يدعي إليها هي منطلق أفكاره وأحاسيسه على الأغلب يشار بها إليه بالبنان .

نماذج من شعره

المقتطفات التي ستمر عليك - عزيزي القارئ - من شعره شاعرنا [صدر الدين] هي نموذج راع حي من أدب وشعر - كربلاء - بلد العقيدة والإيمان، بلد الإشراق الفكر والقداسة الإسلامية العظيمة، بلد العلم والعلماء ، والأدب والأدباء، والشعر والشعراء، والبطولة والأبطال، والثورة والثائرين. بلد ثورة العشرين الخالدة، الذي يحاول المغرضون أن يسدلوا من أباطيلهم ستاراً على

أمجاده وبطولاته ومواقفه الجبارة في إشعال نار الثورة ضد جيوش المستعمرين (الانجليز) المعتدية التي غزت العراق في سنة ١٩٢٠ ولكن التاريخ يأبى إلا أن يشرق بالحق والحقيقة دائماً وأبداً ليمزق ستار الزيف، وليقطع لسان المفتريين، وليكسر أقلام العابثين بحقائقه التي تبقى مرآة صافية مع العصور والأجيال.

﴿...فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ....﴾.

لنستمع إلى صرخة الشاعر الوطنية الهادرة التي يندد فيها بالاستعمارين - الشرقي والغربي - من قصيدة نظمها بمناسبة مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وألقاها عام (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) فهو يقول: -

أمة الإسلام هذي صرخة

من صميم الدين لا تخشى الصراعا

جئت أدعو صارخاً يا أمتي

لم منكم غير الحرص الطباعا

لم حطمتم كيانا شاده

(أحمد) لما مجمع الشمل داعا

مذ أتى الغربي يسعى عجلا

لم صار الأسد في الحرب ضياعا

وأتى الشرقي يسعى بعده

فرآى النشء له ملكا مشاعا

كل ذئب صار يرجو صيده

وغدى الصيد لأقواها متاعا

وحُدُّوا الصَّفَّ وكوَّنوا قُوَّة

وانسفوا منهم هضابا وقلاعاً

واسحقوا المستعمر الغاشم في

أي ثوب جاءكم يبغي الخداعا

وترى الشاعر وهو ينادي دائماً بنزعتة الإصلاحية لتوحيد الصفوف
ونبذ الخصومات لإيجاد حياة كريمة يسود فيها الحب والصفاء بين الجميع، كما
يذكر الشعب دائماً في مواقفه الأدبية المشهودة بمفاخر الأجداد من العرب
والمسلمين الأوائل الذين حملوا راية الإسلام بسواعدهم الفولاذية وفتحوا
الأمصار وقادوا الشعوب إلى السعادة والرقى وأذاقوا الطغاة والجبابرة طعم
الموت بسيوفهم وأبادوهم بالفناء، وحطموا عروش الأكاسرة والقيصرة حيث
حكموا فأقاموا بحكمهم قواعد العدل، وسادوا فنشروا بسيادتهم الأمن
والسلم والرخاء، وكان شعارهم التوحيد، وغايتهم العقيدة وهدفهم
الإيمان، فأناروا العالم بالعلوم والآداب والحضارة الزاهرة التي استضاء بها
الغرب أحقاباً طويلة من الزمن لاتمحي آثارها. فالشاعر يبين هذه الحقائق في
الآبيات التالية حيث يخاطب بها جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
وسلم بمناسبة مولده الأغر ويشكوه فساد الوضع الاجتماعي والسياسي أيام
المنحة والفوضى سنة ١٩٥٩ قائلاً: —

يا رسول الله إني شاعر
 وبقلي نفثة فيها التهاب
 أججت في أضلعي جذوقها
 وبوسط النار أحشائي تذاب
 وأتى الأعداء من أطرافنا
 سَمَّوا الأفكار فانحاز الشباب
 وإذا نحن قطيع تائه
 ومن الأطراف جاءت الذئاب
 أولستم قادة الدنيا ومن
 لعلني عزكم الأعداء هابوا ؟
 وشعوب الأرض كانوا باسمكم
 يطلبون العدل أما اليوم خابوا
 سادتي هُضاً فأنتم قادة
 لأناس بهم سار الركاب
 جدّدوا العزم وكونوا قوة
 تنسف الأحلاف تحميها الحراب
 وارفعوا رايتكم خفاقة
 فلكم لاشك نصر وغلاب

ويضرب الشاعر مثلاً رائعاً مفاده: أن العدو الكافر الذي يتربص الدوائر بنا وبمقدساتنا وتراثنا الخالد - يحسب أن الفرد منا أو يحسبنا جميعاً كالسمك الذي يعيش في جدول ضيق ويكون سهل الاصطياد!! وهو لعله يجهل أو يتجاهل بأن الإسلام سفينة عاصمة تجري بالمسلمين في بحار الهدى وتمخر عباها بسلام وأمان ويخفق عليها لواء النصر من عند الله، بينما تتقاذف أمواجها الثائرة العدو اللدود ومصيره فيها الهلاك.

وإليك قوله من قصيدته (أبا المعجزات) في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيوم ميلاده الميمون وفيها يدعو إلى اليقظة والحذر وجمع الشمل وتوحيد الصف ومطلعها: -

تَيْقِظُ أَخِي أَيُّهَا الْمُسْلِمُ

تَيْقِظُ فَقَدْ خَسِرَ النَّوْمُ

أَخِي لَا حَيَاةَ لِكُلِّ الشُّعُوبِ

بَغَيْرِ نِظَامِكَ أَنْ يَفْهَمُوا

أَخِي إِنْ دَسْتَوْرُنَا كَامِلٌ

يُضَاءُ بِهِ دَرِينَا الْمَظْلَمِ

نِظَامِ الْإِلَهِ الْخَيْرِ الْوُجُودِ

وَتَدِيلِهِ الْكُفْرَ بِلِأَعْظَمِ

أَخِي وَحْدَ الصِّفِّ إِنَّ الْعَدُوَّ

لَتَشِيتُنَا خَطَطاً بِرَسْمِ

يظن بأنك في جدول
وصيدك سهل ولا يعلم
بأنك بحر محيط وفي
بخار الهدى يغرق المجرم
أبا المعجزات رسول الإله
يحبك ها جمعنا مغرم
وأنت هو العربي الذي
بشرعته في الدنى نحكم
وأنت هو الهاشمي الذي
بتطبيق قرآنه تحلم
وانظر كيف يصهر الشاعر حبه للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
في بودقة شاعريته ويخرجه لوحة فنية رائعة تقرأ فيها :-

عظفاً أمير المؤمنين	حماك أمن للطريد ^(١)
حيّرت عقلي ما أقول	وهل لشأوك من حدود
ولأنت أعلم من بني	الإنساني في كل العهود
ولأنت رمز تقدم	الإسلام خفاق البنود

١ هذه الأبيات من قصيدة مطولة ألّفها الشاعر في مهرجان كربلاء السنوي بميلاد الإمام علي عليه السلام في عام (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) ونشرت في مجلة (العرفان) في السنة نفسها.

أنت الصراط إلى النجاة إلى الرقي إلى الصعود
وفيها يؤلَّب الجماهير على الفوضويين الملحدّين الذين عبر عنهم بـ
(الشياطين) ثم بـ (الجمع الحقود) وما أجمل هذا التعبير! كما وصفهم بـ
(المستعمرين) وهو الرأي الصائب كما ترى:—

أفلا ترون الملحدّين	أتوا برأيهم البليد
ظلموا الشعوب وكلهم	فينا كشيطان مريد
ابن الشهامة قد أتى	يوم النهوض من القعود
ثوروا ودكوا صرح من	يبغي التسطير بالوعود
ثوروا على المستعمرين	بقوة الحق الصمود
ثوروا فإنَّ الله ينصركم	على الجمع الحقود

وله في مدح الإمام علي عليه السلام أيضاً:—

حقُّ يُشاد وباطل ينهار

إن كنت تنكر ذا فذى آثار^(١)

الحق نار بل منار للذي

ضل الطريق فأرشدته النار

١- إن هذه القطع الثلاث التالية وما سبقها هي من قصائده التي ساهم بها في مهرجانات كربلاء السنوية العظيمة بميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من سنة (١٣٨١ هـ حتى هذه السنة ١٣٨٧ هـ) . كما كان المؤلف شرف المساهمة الأدبية . - عرافة الحفل - فيها خمس سنوات إضافة إلى كلماته وقصائده .

الحق يعلو إذ تجلى توأماً
لعلي وليد أنجبته نزار
يا صاحب النهج القويم ومن لنا
(نهج البلاغة) من علاه منار
يا عالماً بالكائنات جميعها
كشفت لنا في نهجك الأسرار
لولاك لا شمس ولا قمر ولا الـ
أفلاك فيها كوكب سيار
وكذلك قوله: —

بدئ التاريخ فينا وتسامى
وعقدنا العزم أن نبقى كراما
وحملنا مشعل التحرير في
حالك الدهر ولم نخشى اللثام
وهدينا الخلق في إسلامنا
ودعمنا الحق والحق استقاما
بوليد البيت يا قوم ابشروا
وانهلوا من به جاما فجاما
ولد الكرار في بيت غدى
كعبة الإسلام لحج قواما

شرف الدنيا علي المرتضى
 وسمي الخلق وليداً وغلماً
 واستضاء الكون في ميلاده
 وبدأ في أفقه بدرّاً تاماً
 أنا آليت على أن اقتدي
 مبدأ التوحيد لا أرضى الخصام
 أنا حر فكري واضحة
 وبأهل البيت أدركت السنام
 علويّ - عربيّ - مسلم
 أطلب المجد ولا أخشى اللثام
 ثم تتفجر قريحته بمدح الإمام عليه السلام أيضاً فينشد قائلاً: _
 مهرجان الحق ثقفت العقولا
 ولهذا الشعب أصبحت الدليلا
 ودعمت الدين في فتياه
 وسحقت الكفر مزقت الفلولا
 توقظ النائم في صيحاتنا
 وترى العالم أنا لن نزولا
 فعلى شرف البيت وفي
 ذكره عبد الدين السبيلا

جوهر قد صاغه الله ومن
 بيته شع لنا يهدي العقولا
 يا أميراً للورى يا من به
 نصر الله هداًنا والرسولا
 أنت فوق العقل والفكر وقد
 وقف العقل بمعناك كليلاً
 أنت ليث العرب شهم تخذ
 المجد والعزة والعلياء غيلاً
 أنت نبراس لشرع المصطفى
 كاشف عن وجهه الخطب الجليلاً
 وله في مدح ربحانة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسيد
 شباب أهل الجنة الإمام الحسين الشهيد هذه الأنشودة الرائعة.
 أبا الأجداد قد أعطيت درساً
 بليغاً وهو حق أن يُذاعاً
 وقفت مجاهداً كالطود تحمي
 كيان الدين لم تخش القراعا
 وقفت مشيداً صرحاً بناه
 لنا الإسلام فارفع ارتفاعاً
 وهيا لي للسير مع شاعرنا جنباً إلى جنب، فإنّ مسامرة الشاعر حيثما

يخلق في أجواء الأدب تغذية للروح، ومتعة للفكر وانتعاش للقلب، فله قابلية الإبداع في صناعة الشعر بمختلف ألوانه بذوق عال وصفاء فكر، تعبق فيه نسمة الروح الأدبية العاطرة فبراعته في الغزل فيها تجسيد حي لأدبه النابض، وهناك نموذجاً منه ثم تأمل كيف يتغزل شاعرنا بليلة ميلاد بنت الرسالة وكريمة البيت النبوي الطاهر فاطمة الزهراء عليهما السلام، وكم هو جميل مطلع هذه القصيدة: —

برزت ترنح عطفها بدلال
وسط الخميعة منية الآمال
تركت حياءً لا يطبق تصبراً
إذ ظل عند ملامة العذال
كسرت بكسر لحاظها قلبي وقد
سار الفؤاد وراءها بسؤالي
لم ذا الجفاء وما حدا بلى فاخبر لم ذا
قلبي . . فهلا تعطفين بحالي؟
إذ شرقت دنيا الورى صديقة
ولدت مع الإكرام والإجلال
بنت الرسول ويا عظيمة أمة
جلت وما أنا في الشاء أغالي
فلانت سيدة النساء فريدة
الدنيا بلا ند ولا أمثال

وهكذا يتغزل كعاداته بليلة ميلاد أبي الفضل العباس بن علي بن أبي
طالب عليه السلام بطل معركة الطف الدامية وحامل راية أخيه الحسين عليه
السلام فاستمع لهذا الوجد والحب والولاء: —

مرت عليّ فحققت أحلامي

فبرئت من سقمي ومن آلامي

وتعطر الأجواء من أشذائها

ورمى فؤادي جفنها بسهام

ما كنت أحسب أن يزول خيالها

صباً فكيف بها تلوح إمامي

نشوانة تحال في أبرادها

بين الزهور بسكرة وهيام

وإذا بها تشدو وتهتف في الملا

بشرى الحسين بمولد ضرغام

بشراك يا سبط الرسول بمولد

العباس حامل راية الإسلام

من صفات شاعرنا انه يفخر دائماً بالبيت الهاشمي العظيم الذي هو
مصدر العز والرفعة والمجد والإشعاع، وبيت السعادة العربية الأصيلة فيقول
مفتخراً بنسبه العربي العريق: —

أنا نسب يؤول إلى نزار
 ورثنا منه عزائنا ورثنا
 ومن (عمرو العلي) حرنا فخاراً
 وأنا في (علي) قد علونا
 بيننا بيتنا فوق الثريا
 ولم تنزل ولكننا صعدنا
 رفعنا رأسنا سلماً وحرباً
 ولا نحن رؤوساً قد رفعنا
 فنحن الشمس حاسدنا ظلام
 تمزقه بنور إن بزغنا
 أمية حارثنا من قديم
 ولا زالت ولكننا اتصرتنا
 ارتادت محو فكرتنا بعنف
 ولكننا لفكرتها محونا
 أبينا أن نصافحها قديماً
 لأن بها بيوت الشرك تبني
 سمونا في عقيدتنا سمونا
 وللإصلاح بالتوحيد ثرنا
 أبونا "حيدر" والجد "طه"
 وبالزهراء نلنا الفخر نلنا

أمّا شعره في الرثاء ففي غاية الروعة والجودة، وحيث تقرأ هذا اللون من شعره تمتلك عواطف هائجة ولوعة شديدة للرزاء أو المأساة التي يمثلها نصب عينيك بأسلوبه الرقيق ومهارته ، ومن ذلك قصيدته التي رثى بها فقيده الشرق العربي والإسلامي الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، ولشد ما به من حزن وكآبة لا يدري لمن ينعي الفقيه الكبير أينعاه للدين وقد ثلم بموته أم ينعاه للعرب وقد خسروا بموته عبقرياً من عباقرة الفكر والأدب. وشخصية علمية لامعة في الإسلام ؟ ماذا إذن والحيرة قد أخذت بزمام كلامه وجعلته يلوذ بها شاء أم أبى ؟؟ وتلك طبيعة الأحداث وتحكمها خاصة إذا كان فيها من الفواجع ما تهز كيان الإنسان ثم تتعداه إلى كيان الأمة كما كانت طبيعة فاجعة الإمام كاشف الغطاء، وهكذا يسكب الشاعر دموع القريض ويقول:—

أنعاك الدين أم أنعاك العرب

أنعاك العلم أم أنعاك الخطب

يا حامي الحق إن الحق مهتضم

من بعد موتك وأوغاد في الطرب

يا طالب العدل في الإسلام في قلم

أباد كل دعي ساد بالشغب

يا صاحب (المثل العليا) كشفت لنا

فيه الستار عن الأسرار والسبب

والهفتاه على الإسلام إذا لعبت
 يد الأجنب فيه أيما لعب
 كشفت أغطية الإحقاق ترشدنا
 إلى طريق العلي والمجد في الكتب
 وفي مثل هذه اللوعة الشديدة يرثي علماً من علماء الإسلام وهو الإمام
 المجاهد المصلح الخالد المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله : -
 تضعض الحق فانهارت دعائمه
 وروع الدين خطب لا يلائمه
 نعى به فرح المستعمرون غدا
 قد غاب عن مجمع الإسلام حاكمه
 يا منبع العلم والأعلام تعرفه
 يا قائد العرب لا تخفى مكارمه
 يا سائلي عن هزير هل يماثله
 بالبأس والفضل فرد أو يقاومه
 فسل بني (سوريا) من كان ينقذها
 من العدو الذي ما حن آثمه
 عبد الحسين إمام في بلاغته
 بكل كل بليغ إذ يكالمه

وقال راثياً أحد أعلام الفكر والفلسفة والتاريخ في كربلاء وهو المرحوم
الحاج السيد عبد الحسين "آل طعمة" سادن الروضة الحسينية المطهرة السابق
المتوفى عام (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠) في ذكره الأربعينية :

أرى الدنيا تحاربنا جهارا	وتنسف من مباتينا الشعارا
وتترك بلدة الثوار تنعى	قيادتها الحكيمة والشعارا
وقفت اليوم اندب خير	وقور زين العلم الوقارا
هو ابن الأكرمين ومن	سدانة روضة السبطا
"أبا عبد الحسين فم قريراً	فمنك الصالحان قد
وأسرتك العظيمة في حمانا	أسودٌ قد حمت هذي

والشاعر - صدر الدين - قصيدة أخرى جاوزت حدود الرقة في الرثاء،
ألقاها في الحفلة الأربعينية العظمى التي أقامها الكربلائيون تخليداً لذكرى
المرجع الديني الكبير في كربلاء آية الله العظمى الحاج السيد مرزّه مهدي
الحسيني الشيرازي^(١).

العين تدمع والحشا يتضرّم	والفكر هاج فحرت ماذا
أأبا محمد والمصيبة أحرقت	كبد الأنام وذا الهدى متألم

١- كان المؤلف من المساهمين في هذا الاحتفال التاريخي العظيم بكلمة أثبتتها في كتابه الذي
أصدره سنة (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م) عن حياة الفقيه الكبير تحت عنوان " ذكرى فقيه الإسلام
الخالد الإمام الشيرازي " . وقد توفي سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

وأقولها جهراً لكل مراوغ لا تفرحوا إن غاب عنا
يا أمّة الإسلام قومي واجمعي الشمل المبدد فالقعود
ثوري على المستعمرين ودمري والله ذاك هو النصير
وأخيراً: من صفات شاعرنا السيد صدر الدين الحكيم^(١) أنه يستخدم
طاقته الفكرية في حل مشاكل الحياة والمجتمع، وإن دل ذلك على شيء فإنّما
يدل على الغرض المقصود في معنى الأدب وواقعه بالذات ولا خير في أدب
جامد وفي دائرة فكر محدود ضيق يغشى بصيرة الأديب - أي أديب طائش
غريب - ثم يرميه الجهل بسهام ظلامه ويوقعه في "داء - مركب النقص" وهو
لعله لا يشعر بذلك قط.

فالأديب يجب أن يكون ذا أفق فكري واسع تشعّ منه خيوط الوعي
والإدراك لتتير أمامه كل شيء في حياته الاجتماعية التي يعيشها. وان يكون
مصلحاً ثابت الجنان راسخ الإيمان رفيع النفس، شريف الطباع، حسن
المعاشرة والسلوك متواضعاً وموضوعياً في بحثه وإنتاجه - نظماً ونثراً - وان
يشعر بواجباته الأدبية والإنسانية نحو نفسه ومجتمعه ودينه ووطنه وأمتة لينزله
الناس إلى أعماق قلوبهم حياً أو ميتاً.

١- نشرت هذه الدراسة في مجلة - العرفان - اللبنانية في الجزء ٨ / المجلد ٤٩ / شوال - ١٣٨١ -
هـ نيسان ١٩٦١ - ولكنها هنا أوسع مادة من ذي قبل، وقد قلت فيها سابقاً أن السيد صدر الدين
هو من بيت الحكيم ولكنه اشتهر بالشهرستاني بسبب أواصر القرى والاختلاط بين بيته وبيت السادة
- آل الشهرستاني - الأجلاء في كربلاء .

السيد محمد حسن - الكيلدار^(١) . آل طعمة



يرتبط الأدب بالتاريخ ارتباط الروح بالجسد،
وكلاهما عنصر حي، بل دعامة في بناء الحضارة الفكرية
في حياة الإنسان .

فالأدب يمثل الروح الثقافية لكل جبل من الأجيال، .. في كل شعب
من الشعوب، أو أمة من الأمم، بينما يعكس التاريخ ما هنالك من فتن
واضطرابات وهزات اجتماعية أو ثورات سياسية تحررية عبر عصورها .
والتأريخ يستمد حيويته من روح الأدب بما يمدّه الأدباء والشعراء
والكتاب من مواهبهم وطاقاتهم الفكرية صوراً شتى من عظمة الكون وجمال

١- الكيلدار : لفظة تركية كان يطلقها العثمانيون قديماً على سدة العتبات المقدسة في
العراق ومعناها في اللغة العربية : " السادن " وفي اللغة الفارسية : " متولي " .

الطبيعة ومعالم الحياة الاجتماعية وما يسودها من عدل أو ظلم، خيراً أو شر .
 . سعادة أو شقاء . . الخ .

كما أن الأدب في كل عصر وجيل يستمد من التاريخ إمكانية البقاء،
 وروح الخلود.

ويعيش الأدب والتاريخ معاً، جنباً إلى جنب ، وبينهما صلة قوية تربط
 الروح بالروح، والذات بالذات، والوجود بالوجود. ليبقى أبداً متماسكين مع
 بعضهما في غير انفصال، وتلك الصلة هي - الفكر - الفكر الإنساني المبدع،
 الخلاّق.

وللأدباء والكتاب مذاهب شتى، واختصاصات مختلفة فمنهم من يبحث
 في الدين أو السياسة أو علم الاجتماع أو علم الاقتصاد وقد يتعدى حدود
 اختصاصه فيخوض في كل علم وفن، ومنهم من يختص بالأدب أو يختص
 بالتاريخ وحسب.

والأستاذ السيد محمد حسن من الأدباء المعاصرين الذين يطلّون من
 نافذة الأدب على دنيا التاريخ ويوجهون عدسات تفكيرهم إلى عالمه الواسع
 ليلتقطوا حقائقه من بين أباطيله.. في خضم وقائعه - ليقدموها صوراً رائعة
 لمشاقها الذين لا يروقههم إلا رؤية جمال الحق ولا نبهجهم إلا مناظر الحقيقة
 الخالابة ، التي تجتذب الأنظار، وتستهوّي القلوب، ولذلك قد وضع أدبه في
 خدمة التاريخ غاية ووسيلة .

مولده . . . ثقافته

- ولد في كربلاء في يوم الحُمي من شهر شعبان سنة (١٣٢٣ هـ - ١٩١٣/١٢/٩ م).

- دخل المدرسة الابتدائية واجتازها إلى المتوسطة . ثم واصل الدراسة في (دار العلوم - بغداد - كلية الشريعة اليوم) وبعد نجاحه إلى الصف الثاني فيها تركها عام ١٩٣٦ ليتفرغ إلى التأليف وخدمة التراث الفكري فدرس الأدب العربي والتاريخ الإسلامي، وطاف في كثير من العواصم العربية وزار تركيا وإيران و (أوروبا الوسطى) والنمسا، واستفاد من الأدب الغربي والأوربي الشيء الكثير .

- عمل موظفاً في إحدى دوائر (الكمرك) ببغداد، ابتداءً من يوم ١٩٣٦/٥/٢٠ حتى أحيل على التقاعد في ١-١-١٩٦٦.

بيته

الأستاذ محمد حسن من بيت - الكليدار - (١) من عشيرة (آل طعمة)

١- كانت سدانة الروضة الحسينية والروضة العباسية بادي أجداد - آل طعمة - الأقدمين منذ أواسط القرن الثالث الهجري وكانت تنتقل منهم في بعض الفترات من القرون الماضية إلى بيت (آل زحيك - آل ثابت) وآل النقيب وآل الوهاب من آل زحيك وإلى غيرهم من علويين وغير علويين ثم تعود إليهم، وقد شهد القرن الثامن الهجري حوادث خطيرة وقعت من أجلها بين - آل فائز - أجداد آل طعمة اليوم وبين (آل زحيك) كما أشار إليها - ابن بطوطة - في كتاب رحلته وغيره من المؤرخين وعلى عهد زعيم كربلاء في وقته المرحوم السيد وهاب الكبير سادن الروضتين الحسينية والعباسية نجل السادن المرحوم السيد محمد علي آل طعمة المتوفى عام ١٢٣٠ هـ .

أقول: على عهد السيد وهاب كما أسلفنا في الصفحة الثامنة من هذا الكتاب انتقلت السدانة لأسباب سياسية وبأمر القائد التركي نجيب باشا إلى المرحوم الشيخ مهدي " آل كمونة " وذلك في سنة ١٢٥٨ هـ - لا - ١٢٣٨ كما وقع الخطأ سهواً في الصفحة المذكورة . وبعد وفاة الشيخ مهدي في عام ١٢٧٣ هـ تولى السدانة شقيقه المرحوم الشيخ مرز هـ حسن آل كمونة ثم انتقلت بعد وفاته في عام ١٢٩٣ هـ إلى المرحوم السيد محمد جواد آل طعمة وبعده إلى ولده المرحوم السيد علي ثم إلى ولده الحاج السيد عبد الصالح آل طعمة السادن الحالي للروضة الحسينية المقدسة .

وبين يدي كتاب مخطوط عن بيوتات كربلاء لمؤلفه المرحوم: الشيخ محمد علي القصير الحائري أسماه: (اللعة التاريخية في بيوتات كربلاء والغاضرية) ألفه في سنة ١٣٣٣ هـ يقول في صفحاته الأولى ما نصه:-

" إذا فتشنا كتب الأنساب وقلبنا مراجع المصادر وتصفحنا الكتب الخطية والأوراق والمستمسكات الرسمية القديمة المحفوظة في خزائن بيوت الأشراف والسادات من آل عبد مناف ومشجراهم لوجدنا أن أولئك الصفوة النجباء الذين يحرسون حرم الحسين وحرّم أخيه العباس ' ويقومون بتأدية واجباتهم على أحسن ما يلزم ليلاً ونهاراً ولا يتقطعون عن التهجد فهم أولئك السادة الأطهار المكرمون العلويون الذين لبسوا أبراده الوقار والتبجيل وهم من نسل خير سليل وكلهم من شجرة مباركة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ويقال لهم من قديم الزمان وكر الدهور والأعوام بيت " آل أبي الفائر " وبيت " آل زحيك " وقد تفرعت من القبيلة الأولى واعني بها آل أبي الفائر فروع وشعب متعددة الدرجات وهي التي تعرف بـ " آل ضياء الدين وآل مساعد وآل نصر الله وآل طعمة وآل تاجر وآل السيد أمين وآل عقيل " . ويجمعهم النسب في السيد الشريف سيد السادات وجامع السعادات نقيب أشراف قصبة كربلاء " السيد طعمة كمال الدين " بن أبي جعفر من أولاد السيد احمد بن أبي الفائر محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المجاب بن محمد العابدين الإمام موسى بن جعفر " عليه السلام " . ثم يقول: " وفي المراجع التاريخية التي رأيناها من كتب الأنساب المحفوظة - في خزائن المكتبات أن أول علوي هاجر إلى كربلاء قادماً من الكوفة المشرفة سنة سبع وأربعين بعد المائتين من الهجرة هو السيد الشريف السيد إبراهيم المجاب الضرير

الذي أنجب عدداً من أعلام الأدب والفكر العربي كالمرحوم العلامة الحاج السيد عبد الحسين الكليدار مؤلف كتاب (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) وشقيقة المرحوم الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار صاحب كتاب: (تاريخ كربلاء وحائر الحسين) والأستاذ السيد محمد حسن الكليدار نالت أعلام هذا البيت في الأدب.

وهو ابن السيد مصطفى بن السيد علي "السادن" بن السيد محمد جواد "السادن" بن السيد حسن بن سليمان بن السيد درويش^(١) بن السيد أحمد بن

الكوفي الذي سلم على الحسين عليه السلام بقوله: السلام عليك يا أبي " فسمع صوتاً: "وعليك السلام يا ولدي" لذلك لقب بالمجاب.

أما القبيلة الثانية أعنى بها بيت " آل زحيك - آل ثابت " فقد هاجرت من مقابر قریش على عهد أمير الحاج إبراهيم المرتضى بن الإمام المهام موسى بن جعفر " عليه السلام " في أوائل القرن الخامس للهجرة المباركة وسكن كربلاء وقد تفرّعت اليوم إلى فروع وشعب متعددة الدرجات .

هذا هو نص قول مؤلف كتاب "اللمعة التاريخية" الآنف الذكر، وقد ذكر فيه الكثير من بيوتات كربلاء العلوية العريقة وغير العلوية، والعربية الأصلية وغير العربية التي هي القلة القليلة جداً، مع بيان تاريخ هجراتها ونزوحها إلى كربلاء منذ أواسط القرن الثالث الهجري حتى زمن حياته . ولا شك أن كربلاء هي أكثر عروية من غيرها.

ولنا من هذا الكتاب المخطوط وغيره ومن إحصائيات النفوس العامة سنة (١٩٦٥) والإحصائيات السابقة خير شاد ودليل على هذا القول الذي هو الحقيقة بعينها.

١- لقد برز من ذريته رجال كانوا من ألمع شخصيات كربلاء وهم المغفور لهم:

السيد سعيد (سرکشک) ووالده الجليل المرحوم السيد محمد حسين بن السيد محمد كاظم بن السيد حسين بن السيد درويش هذا ، وللسيد سعدي من الذكور السادة : محمد علي " أبو

السيد يحيى (نقيب الأشراف) بن السيد خليفة بن السيد نعمة الله بن السيد "طعمة" بن السيد علم الدين بن السيد "طعمة" بن السيد شرف الدين "نقيب الأشراف" بن السيد "طعمة" - كمال الدين - نقيب الأشراف" بن أبي جعفر

عزي " ومحمد حسين ومهدي ومحمد وضياء " طيب " والأستاذ محمد هادي السعيد :

ومن هذه الشخصيات اللامعة أيضاً الإخوان الثلاثة المغفور لهم :—

١ - السيد سعيد (سر خدمة - رئيس الخدمة) المتوفى (١٣٥٢ هـ) وكان نجله المرحوم السيد مصطفى أديباً وفيلسوف وله آثار ضخمة في الأدب والفلسفة نقلها من اللغتين الانجليزية والفرنسية وكان في عهد شبابه " سكرتيراً " في وزارة - المعارف - العراقية وذهب في بعثة حكومية لدراسة الفلسفة في جامعة (اكسفورد) بلندن ، ولكنه لفرط ذكائه العجيب أصيب بشذوذ عقلي فعاد إلى بغداد ، واستأنف العمل في وظيفته السابقة ثم أحيل على التقاعد ، ومن الجدير بالذكر أن السيد مصطفى هذا رغم ذلك الشذوذ لم يكن ليفقد وعيه الفكري الجبار طيلة حياته ، فكان يترجم كل ما يقدم إليه من رسائل وبرقيات وكتب في اللغتين الأجنبيةتين المذكورتين وغيرهما كما كان يجيب بدوفاً تأخير على أي سؤال علمي عويص سواء في التاريخ أو الأدب أو الفلسفة إجابة صحيحة مدهشة وكان مولده في عام (١٩٠٠) ووفاته في عام " ١٣٨٣ - ١٩٦٣ " .

٢ - المرحوم السيد عبد الحسين الشهير بـ " الأعيان " لأنه كان عضواً في مجلس الأعيان العراقي من عام " ١٩٢٤ " حتى عام " ١٩٢٧ " وأصبح بعد ذلك مديراً الأوقاف لواء كربلاء حتى سنة وفاته في " ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٤ " وخلف السيد صادق " توفي " وأعقب من الذكور السيد نوري .

٣ - المرحوم السيد مرتضى (سر خدمة) توفي عام " ١٣٧٦ هـ " وخلف السادة محمد علي " توفي " وعباس ومحمود المحامي وأحمد .

وان هؤلاء وبيت الكليدار هم أبناء عمومة وجميعهم من ذرية السيد درويش .

محمد بن السيد أحمد^(١) "الناظر لرأس العين" بن أبي الفائز محمد - حتى ينتهي النسب إلى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) .

مدينة الحسين عليه السلام

تحت هذا العنوان أصدر الأستاذ محمد حسين الكليدار كتابه التاريخي القيم في عام "١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧" ثم أعقبه بإصدار الجزء الثاني .

وهذا الكتاب هو حصيلة جهوده الأدبية والفكرية التي بذلها خلال أعوام طويلة من تأليفه خدم لمدينة جده الإمام الحسين بن علي عليه السلام وقد أصبح لأهميته مرجعاً لا يستغنى عنه كل باحث تاريخ كربلاء قبل مصرع أبي الشهداء حتى اليوم ، لأنه غزير في مادته ، مفيد بمحتوياته ، موضوعي في ذاته . وفيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من مشاهد وحقائق يحفل بها تاريخ هذا البلد العربي المقدس في مختلف عهوده وأدواره وما ينعكس على صفحاته المشرفة من مظاهر التطور العمراني والعلمي والفكري والفتن والاضطرابات وماله من مواقف وطنية سياسية ثورية لصالح البلاد والشعب ونيل استقلاله

١- نعود فنقول مرة أخرى بالتأكيد وفقاً لقوله تعالى : " فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين " . إن السيد أحمد المدفون في (شفاثا) الذي تذهب لزيارة مرقده الشريف أفواج إثر أفواج من الناس في موسم خاص من كل عام ويقدمون إليه النذور والهدايا وينحرون عنده الذبائح ، يعرف لدى العامة بـ " أحمد بن هاشم " . وهو خطأ . والصواب : " أحمد - أبو هاشم " باعتبار أن " السيد " يكنى لدى العرب بـ " أبو هاشم " لاتصاله حسباً ونسباً بـ " هاشم - عمرو العلي " زعيم البطحاء وسيد العرب وجدا الرسول الأعظم . ولعل " ابن هاشم " أيضا يعطى نفس المعنى . إلا أنه قد يتصور العامة من الناس عندما يقال : " أحمد بن هاشم " إن اسم أبيه كان هاشماً . . وهذا هو وجه الخطأ .

وسيادته وأهمها (ثورة العشرين) التي اندلعت نيرانها من كربلاء مقرر قيادتها الدينية والسياسي العامة.

وقد راجع بشأن تأليف كتابه هذا معظم المكتبات العامة والخاصة في العراق وإيران إضافة إلى اتصالاته وتحقيقاته مع كبار الشبهة المعمرين في كربلاء وخارجها كما اطلع على المئات من الكتب المطبوعة والآثار المخطوطة ومن بينها الوثائق والمستمسكات التاريخية الرسمية والشخصية والمشجرات العائلية الخاصة بأنساب البيوتات العلوية العريقة في كربلاء والبيوتات غير العلوية في دقة من التحقيق ، وبعد نظر في الاستقصاء ، والتزام بأمانة النقل ، ونزاهة القصد في العرض والتحليل ، وكان يسترشد كما حدثني بآراء العلامة الكبير المرحوم الشيخ محمد السماوي صاحب "الأرجوزة الرائعة الخالدة" في وصف كربلاء وتاريخ نشأتها وبيوتاتها ورجالها العظام وكان يستفيد من معلوماته الغزيرة عن تاريخ كربلاء ومما حوته مكتبته الضخمة الشهيرة من نفائس المطبوعات ، ونوادير المخطوطات.

والحق يقال : أن الأستاذ محمد حسن الكلدار هو أوّل من فتح أبواب البحث عن تاريخ كربلاء، ومهد السبيل للباحثين والمتبعين من بعده، وكتابه الجامع الشامل هو "الأساس" الذي تقوم عليه دراساتهم وبحوثهم عنه.

ولولاه لكان تاريخ كربلاء يظل عليه الظلام في مطاوي القرون الغابرة في أشتات مبعثرة هنا وهناك .

ولكنه هو الذي سعى وبذل قصارى جهوده لإخراجه من تلك الغياهب

إلى مشاهد النور، تحقيقاً وتنقيباً واستقصاءاً وتأليفاً ، في سلسلة مترابطة الحلقات.

فله القصب السبق في هذه الحلبة، والقدرح المعلى في هذا الميدان، و-
الفضل للبادئ - كما يقولون.

مقتطفات من أدبه

الأستاذ السيد محمد حسن آل طعمة. أديب في مستوى ثقافته وعذوبة منطقته، وحسن أخلاقه وتواضعه، وذو مقدرة على إبراز حقيقة الأدب في مفهومه الإنساني بأسلوبه المتين: وقد كتب في نقد الشعر المعاصر والشعراء المعاصرين منذ سبعة عشر عاماً قائلاً:

" الشعراء عندنا لا يؤمنون بان هناك طابعاً جديداً يمتاز به عصرنا الحاضر: ففي كل يوم منه يبرز طابع جديد للجماهير ، وفي كل يوم منه تقص لهذا الجديد وثورة عليه، ولكل انقلاب فكري طابع جديد ووضع جديد ، وخطط جديدة، وان تاريخ الفكر البشري منذ أن بزغت شمس المعرفة فوق كوكبنا هذا والعالم لا يتقدم بخطي وثيدة بل له في سيره قفزات مفاجئة جبارة جيدة المدى متقلبة إلى مدارج المعرفة بأكثر ارتفاعاً وروعة، أي بالأحرى إذا أردنا أن نستعيد صوراً شعرية وأدبية أكثر انطباقاً على واقع الحال في عصر انفلاق الذرة يلزمنا القول والجزم بان طريق الأدب عندنا لا يزال ضيقاً بمنعطفات عديدة، وهناك فجوات أيضاً يجب أن تزول لتسير الآداب مع العلوم التجريبية جنباً إلى جنب، وهذه الطريقة لا تتم لشعرائنا وأدبائنا إلا إذا

تسلحوا بعلوم حديثة تدرس الإنسان من نواحيه المتعددة، ومتى تسنى ذلك الشعراء القرن العشرين انفتحت أمامهم آفاق جديدة وتكون لهم مدرسة خاصة ينشرون منها على الجيل الحاضر دراساتهم العلمية لتفهم روح العصر في نفوس الجيل الحاضر".

ويقول أيضاً:

"ولو رجعنا إلى الوراء واستنطقنا بطون خزائن الكتب التاريخية لوجدنا أنّ تراثنا الشعري في مختلف أدواره كان وليد النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للوسط الذي عاش فيه. ومثل ذلك أنّ الشعر في أيام الأمويين كان منطبقاً والحياة الاجتماعية في ذلك الوقت فغلبت نزعة الفروسية المملوءة بالفتوة والاعتزاز القبلي على الشعراء مماشة روح الفتوحات التي سادت في العصر المذكور".

"وكذلك الحال في شعر شعراء الدولة العباسية فقد غلب عليه طابع التفكير (الميتافيزيقي) فنشأ بعض الشعراء أمثال المعري ومحي الدين بن عربي. وأمّا غيرهم من شعراء العصر العباسي فقد استلهموا وحيهم الشعري من البيئة المادية التي عاشوا فيها، فكانوا مداحين وغير متحسين بآلام المجتمع ومعالجة مشاكله بخيالهم وتفكيرهم. وهنا غلب عليهم ذلك الطابع الذي يمكن أن نعتبره على حد قول العرفاء: "أدب زماني ومكاني" (١).

١- كانت هذه القطعة من مقال مسهب نشره الأستاذ (الكليدار) في جريدة (صوت الكرخ

وله مقال آخر تحت عنوان: (الفلسفة وعلم النفس) نشره تباعاً في جريدة (صوت الشعب) تقتطف منه ما يلي:

"بديهي إن الإنسان منذ نشأته شغل باله موضوع (النفس) فعنى بها وراق له فهمها ومعرفة كلها والوقوف على ماهيتها وإدراك الصلة بينها وبين الجسم ليتبين له مصيرها ومآلها فأصبحت النفس عند الإنسان القدم لغزاً، الأمر الذي حدا بالمفكرين منهم أن يشغلوا الجزء الأعظم من تفكيرهم في معرفة النفس وهل هي روح أم مجرد شيء مادي داخل في حيز الزمان والمكان ، ليعرفوا أصولها ومعادها ، وكان علماء الهند يعتقدون بفناء النفس في (البراهما) - الحقيقة بالذات - والمصريون القدماء كانوا شديدي الاعتقاد بخلودها إذ أنهم قالوا إن الإنسان مركب من نفس وجسم، وإن الجسم يعود إلى التراب والنفس ترجع إلى الله لتثاب وتعاقب:

" هذه الأفكار قد انتقلت إلى الأمة اليونانية بوجه خاص بحكم الحوار والمخالطة ، لهذا لم يكن غريباً أن يشغل موضوع (النفس) بالـ(مفكرين من الفلاسفة اليونان).

" وواجبنا اليوم يقضى بان ندس تاريخ الحياة الفكرية عند (أسلافنا العرب) الذي ابتلى بكثير من آراء فلاسفة اليونان وتأثر بها تأثيراً مباشراً.

" الماديون - اعتبروا النفس (مجرد) جسم لا ميزة ولا خاصية لها، ومنهم

الروحانيون الذين ألهموها وأبعدوها عن عالم المادة ورأوا فيها قوة إلهية روحية تمسك إلى البدن من العالم العلوي، ومنهم من وقف موقفاً وسطاً فجعلها مزيجاً بين الجسم والروح، أو بخاراً حاراً كما قال (الرواقيون) أو صورة للجسم كما ارتأى ذلك (أرسطو) وأتباعه، وقد درس كبار فلاسفة اليونان طائفة من الظواهر النفسية وفرقوا بين الإحساس والتعقل ووضعوا في ذلك كتباً عديدة كان لها أثرها في العالم العربي والإسلامي".

"والحق أن العرب يعدون في طليعة الأمم بعد اليونان الذين مهدوا الطريق وفتحوا السبيل أمام المدنية"^(١).

إن هذه المقالات الفكرية المسلسلة التي قارن فيها الأستاذ محمد حسن بين آراء وأفكار ونظريات جمهرة كبيرة من الفلاسفة الأقدمين من الإغريق والهند والفرس والعرب وكذلك من فلاسفة الغرب وأوروبا حول ماهية الروح والجسم ومصيرهما بعد الموت . لها أثرها المعنوي الكبير وإني أهيب به أن يقوم بجمعها وإخراجها للنور ليستفيد الجيل من موضوعيتها العلمية والفكرية القيمة .

ولنأخذ ما يتيسر لنا أخذه من أسلوبه التاريخي بقوله :—

" استولى المنتصر العباسي على عرش الخلافة بعد أن قتل أباه المتوكل

١- الفلسفة وعلم النفس ، بقلم محمد حسن آل الكليدار - جريدة - صوت الشعب - العدد /

عام (٢٤٧ هـ) فأمر ببناء وتشيد قبة على قبر الحسين عليه السلام وركز عليها - ميلا - ليرشد الناس إلى القبر وفرق الخيرات على العلويين وارجع لهم (فذك) وأعطاهم شيئاً من الحرية فهاجر منهم إلى كربلاء جماعة من ولد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعلى رأسهم إبراهيم المجاب بن محمد العابد^(١).

ويقول أيضا في وصف الروضة الحسينية المقدسة :

" إن المرء مهما أوتى من بلاغة وفصاحة ليقف حائراً في وصف هذه الروضة المقدسة فهي والحق يقال ذات بناء شامخ رائع للصنع بديع المنظر فائق الحسن وقد شيدت على دعائم متينة قوية الأسس ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنها من أكثر مساجد الدنيا عظمة وأعلاها شأنًا وأتقنها هندسة وصنعاً وأبدعها حسناً وبهجة وهي على شكل مربع يبلغ طول كل ضلع خارجي منه ١٠٠ م تقريباً كما يبلغ عرض الصحن من الركن إلى سور الروضة حوالي ٢٥ / م^(٢).

وأخيراً: ما زال أديبنا المؤرخ السيد محمد حسن آل طعمة - أبو علي - عاكفاً على جمع المعلومات عن تاريخ كربلاء للجزء الثالث من كتابه : وهو على وشك الانتهاء من تأليفه وسيكون ضخماً وربما يتجاوز الستمائة صفحة

١- مدينة الحسين - ج / ١ / ص / ٢٤ - (١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧) .

٢- المصدر .

وتنتظر صدوره قريباً (إنشاء الله) لأنه الحلقة التكاملية لدائرة المعارف والتراث الفكري والتاريخي لمدينة أبي الشهداء المقدسة الشامخة . وتلك خدمة جليلة يخلدها له التاريخ كلما تقدمت الأعوام وتعاقبت الأجيال.

ولا تفوتنا الإشارة في ختام هذه الدراسة إلى ما يستحقه الوجيه السيد محمد سعيد آل ثابت^(١) من شكر وتقدير لتقديم ما كان بحوزته من مواد ومعلوماته تاريخية للأستاذ محمد حسن الكلدار، وفاءً لصدائتهما المتينة.

١ - السيد محمد سعيد آل ثابت من شخصيات كربلاء المرموقة، فاضل متبع شديد الرغبة في المطالعة والتحقيق، وله خزانة كتب عامرة بالمطبوعات النفيسة وبعض المخطوطات، كثر الله من أمثال صديقنا أبي جعفر.



الحاج جاسم الكلكاوي

كانت كربلاء منذ القدم المدينة الشامخة التي
أسهمت في بناء صرح العلم والأدب جنباً إلى جنب
مع الحواضر العلمية والأدبية في العراق، وهي اليوم
كعهدتها في السابق.

وإن تطور الحياة الفكرية التي نشاهد مظاهرها الخلابة في كل بلد وقطر،
من عالمنا الإسلامي والعربي . . قد نالت كربلاء القسط الوافر منه بمواكبتها
روح العصر مع احتفاظها بالروح الإسلامية الأصيلة والمثل العليا، التي هي
قوام حياة المجتمع الإسلامي من قبل ومن بعد.
وإن التطور الفكري في أي مكان لا يمكن أن يكون إلا إذا وجد أرضاً
خصبة يغرس فيها بذوره لتنت وتثمر.

والأرض الخصبة التطور الفكري والأدبي هم أصحاب المواهب الخلاقة
من شباب وكهول، الذين يمتازون بالثقافة العصرية الحديثة والأفق الواسع،
والقابلية التي تحفزهم للقفز بخطوات كبيرة إلى الأمام في مضمار التقدم
والتطوير شريطة ألا يفقدوا صلاتهم الروحية بمبدئهم القويم، وهو الإسلام
الذي (يعلو ولا يعلو عليه) لكيلا تقودهم التيارات الفكرية والسياسة

والعقائدية الكافرة الوافدة إلى حيث لا منجى لهم من مخاطرها ونتائجها السيئة .

والإسلام هو الإسلام في كل زمن ومكان : لا يتغير ولا يتبدل عقيدة ونظاماً، وفكرة وسيلاً، لأنه شريعة مقدسة ودستور خالد، يواكب روح العصر، ويماشي كل تطور جنباً إلى جنب ويقبض زمامه بيده، لئلا يكون هذا التطور وسيلة لفساد الأخلاق والانحراف في الحياة الاجتماعية.

أمّا الذين يريدون التطور الفكري والعلمي وسيلة لتطوير الحياة الاجتماعية بخروجها من المثل والقيم والنواميس الأخلاقية والمعنوية فهم آثمون مجرمون بل هم دعاة الخلاعة والفساد والانحلال. ووجودهم خطر على مجتمعهم الذي يريد أن يعيش مع الإسلام وفي كنفه، وتحت رأيته.

إن هذا الكتاب يضم تراجم الرعيل الأول من أدبائنا الكربلائين المعاصرين، الذين وضعوا إمكانياتهم في خدمة الأدب وساروا مع التطور الفكري الحديث أشواطاً بعيدة إلى الأمام مع التمسك بعقيدتهم الإسلامية التي يستمدون منها روح العمل الأدبي بشعور عميق ، ويتحلون بها في نشاطهم الدائب في حلقات السبق .

والأستاذ الحاج جاسم الكلغاوي من هؤلاء العاملين في رحاب الأدب بأفكارهم الوقادة ومشاعرهم الحبة . وهم هذا الرعيل الأول من أدباء هذا الكتاب وشبابه الناهض في كربلاء المقدسة الزاهرة.

مولده . بيته

ولد في مدينة العلم والأدب - كربلاء المقدسة - عام ١٣٤٦ هجرية - ١٩٢٧ ميلادية وهو ابن محمد بن كاظم بن الحاج محمد علي بن الحاج مهدي بن صالح بن متعب بن حمدان بن مسعود - كما جاء في مشجرة أسرته التي رأيتها عنده.

وآل گلگاوي: من البيوت العريقة التي مضى أكثر من قرنين على استيطانها في كربلاء، وكان لبعض أسلافهم وجاهة، وكانت تقرأ تواقعهم سابقاً (القلقاوي) ثم استبدلت (القاف) بالكاف فصارت (الكلكاوي) .

وبعد هجوم الوهابيين الوحشي الأثيم على كربلاء والمرقد الحسيني المقدس عام ١٢١٦ هـ وسلبهم ونهبهم خزانة الحرم الشريف ظهرت آثار خدوش وحروق في بعض أماكن صندوق الخاتم، فأجريت له، الإصلاحات الفنية على عهد القاجارية ومنها تصليح الكتيبة القرآنية بخط الخطاط الشهير يومئذ وهو صالح گلگاوي كما ورد اسمه في الكتيبة السفلى عند قبر (علي بن الحسين الأكبر) في الزاوية من جهة باب الضريح بالعبرة التالية: -

(بعد تكسير أعداء الله له في سنة "١٢١٦ هـ" قام بتجديده - خان جان القاجار - سنة ١٢٢٥ هـ - كتبه صالح گلگاوي) (١).

١- انظر: تاريخ كربلاء وحائر الحسين ص ٢٤٨ للمرحوم الدكتور السيد عبد الجواد الكلیدار

ويقول الأستاذ جاسم عن أسرته في ترجمته الخطية: " آل گلگاوي أسرة عربية تنحدر من قبيلة زبيد الأكبر ومن بطن أبو فرج وقد نزحت من محلة (كلج) في مدينة الحلة ولها مصاهرات مع الكثير من بيوت وسادات وزعماء ووجهاء البلد مثل : (آل ثابت وآل طعمة وآل نصر الله وآل كمونة وآل عواد وآل عويد وآل بريم وآل منيدح وآل زيارة وآل غريب وبيت طعمة الجوعان الجبري"^(١).

ثقافته

تتلمذ في صغره على المرحوم الشيخ محمد السراج الأسدي الشهير بـ (أبي محمرة) المعلم^(٢) فتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وبختم القرآن

١- الترجمة الخطية بقلم المترجم.

٢- لقد سبق الحديث عن الشيخ السراج وشاعريته في أول هذا الكتاب وقد أعقب: عهد الزهراء وعباس - ولأول هوية في نظم الشعر الشعبي والقريض أحياناً:

وبالرغم مما تجلت موهبة أستاذنا السراج في فن الشعر الشعبي حيث كان فارس حلباته فان له إلى جانب ذلك شعراً كثيراً في القريض ذكرنا بعض الأبيات منه فيما سبق ولإحاطة القارئ الكريم أكثر علماً بمواهبه وتراثه نورد هنا أيضاً من شعره الفصيح ما قاله في مدح الإمام علي بن أبي طالب " عليه السلام ":

فضل على جل معناه

فالشمس من نور محياه

فليس تحصىه البرايا ولا

جبريل يدري كيف معناه

الكريم حتى إذا بلغ أشده فجع بوفاة والده وترك مكتب الشيخ وانتهى بذلك عهد زماننا، وقد أمضى شطراً من أوائل حياته (قارئاً ناجحاً) في المواكب الحسينية ثم تركها لأسباب صحية خاصة لانشغاله بأعماله اليومية في مطبعته

إن علي بن أبي طالب

ما أظهر الإسلام الـ

أفدي بنفسي والبرايا فتى

بنفـاطم زوجـه الله

أفدي بنفسي والبرايا فتى

محمد في الله أخـاه

مولى بـراه الله مـن نورـه

في عالم الـنذر وزكـاه

والمصطفى في يوم خم غدى

يـدعو وفي يـمناه يـسـراه

من كنت مولاه فهذا أخي

سـيـده صـدقاً ومـولاه

وله على هذا النمط شعر كثير، والجدير بالذكر أن المرحوم الشيخ محمد السراج كان أشعر شعراء كربلاء في فن الشعب الشعبي وأقواهم براعة، وأكثرهم نتاجاً، وكان من تلامذته الشاعر الشعبي الكبير المرحوم الشيخ عبد الكريم المعلم، ولدي مجموعتان من تراثه الأدبي ومجموعتان أيضاً عند (أبي لواء) وعسانا نوفق في القريب العاجل بتحقيق ديوان كامل منها وإخراجه إلى حيز النور تخليداً لذكـره وإحياءً لآثاره فان حقوقه علينا تستوجب ذلك.

التي أسسها باسم " أهل البيت - عليهم السلام - " في عام ١٣٧٦ - ١٩٥٧ .
وقد أخذ نصيبه من الثقافة العصرية في دراساته المتواصلة حتى الصف
الخامس الإعدادي الأدبي كما انتهل من الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي
والأدب العربي.

نشاطه

وللأديب الأستاذ جاسم نشاطات أدبية فعالة على الأخص أن مطبعته
قد هيأت له الجو المناسب للعمل المثمر في مضمار النشر والتأليف وقد طبع
حتى الآن تسعة أجزاء من دواوين "المنظورات الحسينية" النابغة الشعر الشعبي
الشيخ كاظم المنظور الكربلائي مع تحقیقاته وتعليقاته المناسبة عليها .
وفي عام ١٩٥٦ أصدر كراساً باسم "الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة"
وقد تعرض بسبب "انتشاره والإقبال عليه" لعدوان أئيم ببغداد من قبل
عصابة شريرة انهالت عليه طعنا بالخناجر ولكنه نجا من الموت وعولجت
جروحه في إحدى مستشفيات بغداد ولا تزال آثارها واضحة في عدة مناطق
في جسمه .

وفي أيام المحنة التي اجتاحت فيها الخطر الشيوعي هذه الربوع كافح تلك
المبادئ الهدامة الوافدة وفضح نوايا الشيوعيين بقلمه ولسانه وصدق عقيدته
الإسلامية وكان يجازف في ذلك بطبع نشرات دينية لبعض الجهات العلمية
والدينية في كربلاء والنجف وقد اعتقل من جراء ذلك شهرين في بغداد عام
١٩٥٩ ، وفي عام ١٩٦١ أيضاً أودع للتوقيف قرابة أربعة أشهر ولاقى كثيراً

من المصاعب وأغلقت مطبعته حوالي عشرة أشهر وأصيب بأضرار مادية جسيمة. ولاغرو فإن كربلاء كما قلنا سابقاً هي المدينة الوحيدة التي نالت قصب السبق والقدح المعلي في محاربة الشيوعية المجرمة بفضل وعي وإيمان أبنائها الغيارى وشبابها العاملين .

جريدة المجتمع

في عام ١٩٦٣ أصدر أدينا الأستاذ جاسم جريدته الأسبوعية تحت هذا العنوان وكانت دينية أدبية فكرية جامعة، واتسمت بمستوى لائق في بحوثها ومواضيعها، وساهمت في ازدهار الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، وكان يساهم في تحريرها ونشر ثمرات القرائح والأقلام فيها لفيف من أدباء وشعراء كربلاء إضافة إلى ما كان يردها من نتاج أدبي "نظماً ونثراً" لأدباء وشعراء وكتاب خارج البلد، وقد احتجبت عن الصدور بعد أن صدر منها عشرون عدداً^(١): ولشاعر كربلاء الكبير السيد مرتضى الوهاب أبيات رائعة في تاريخ ميلاد هذه الجريدة ووصفها بقوله: —

الدين والعلم اجتمع ^(٢)	وصحيفة فيها السناء
بكل فن مبتدع	جاءت يجهد أبي لواء
عن الحقيقة فانقشع	وجلاهما جيش للظلام

١- كان المؤلف أحد المساهمين في هذه الجريدة وقد نشر فيها قسماً من دراسات هذا الكتاب .

٢- جريدة المجتمع الكربلائية العدد الأول ١٩٦٣ .

وبها لسان الصبح عن
 حلمت لواء العرب با
 ترجو وتأمل ان يكو
 كالنجم في تاريخنا
 ليل الغموض قد اندلع
 الأدب النمير المنتجع
 ن بها اللواء قد ارتفع
 (سطعت لخير المجتمع)

"١٩٦٣"

خان الباشا

كان في كربلاء خان كبير واسع الأرجاء تحتوي مساحته على ٢٢٧٥ متراً مربعاً وغرف مهجورة في أطرافه كان يسكنها الفقراء والباثسون، وكان السقاؤون منذ القدم يشغلون فيه جانباً كبيراً - مجوفاً ومسقفاً - بوضع أكوازهم الخرفية فيه لتبريد مياهها وبيعها طوال أيام الصيف كمصدر عيش لهم، كما كان في مدخل هذا الخان مقهى صغير وآخر في فسحاته أكبر منه تحيطه أشجار من حوله وكان يعتبر أجمل منتزه للراحة وقضاء الوقت خاصة في ليالي الصيف والخريف والربيع.

وقد وقع اختيار بعض كبار تجار طهران منهم الحاج غلام حسين - مفروش - لشرائه وتشبيده حسينية لإيواء عموم زوار الحسين عليه السلام بدون تمييز، فاتصلوا بالعلامة السيد محمد حسن سيف في كربلاء - وهو عراقي الجنسية - وطلبوا منه المؤازرة فاستجاب لهم واتصل بدوره بالأستاذ جاسم الكلگاوي وأشركه في العمل ثم عرضا هذه الفكرة على المرحوم السيد محمد سعيد السيد محمد حسن آل طعمة وكان من الشخصيات المرموقة في كربلاء فاستحسنها وحثهما على العمل على أن يساعدهما لدى الجهات المختصة يومئذ .

فقدّم أوّل طلب لهذا الغرض بتاريخ ١٨/٨/١٩٥١ كتبه الأستاذ جاسم الذي ظل هو والسيد سيف يعقبان الإجراءات اللازمة سنة كاملة في الدوائر الرسمية ببغداد وكربلاء بوساطة السيد محمد سعيد وغيره من كبار الشخصية العراقية، وبذلا جهوداً كبيرة حتى استحصول الموافقة الرسمية على بيع " خان الباشا " لأصحاب الطلب بمبلغ سبعة آلاف دينار - " رغم التطورات والصعوبات " .

أما التبرعات من أجل تشييد الحسينية فلم تقتصر على الطهرانيين أو غيرهم من الإيرانيين فحسب، بل شاركهم في ذلك كثير من المواطنين العراقيين باعتباره مشروعاً دينياً يخدم زوار الحسين عليه السلام على الإطلاق .

وبعد أن تمّ بناؤها الفخم سميت بـ " الحسينية الطهرانية " ^(١) وأصبحت " تجارة لن تبور " خلافاً للأهداف والأغراض المنصوص عليها في عرائض الطلب والقرارات الرسمية الصادرة عن " مجلس شورى الأوقاف العامة " في ١٣/٤/٥٣ والمحكمة الشرعية في كربلاء كربلاء في ٢٩/٨/١٣٧٢ هـ ١٣/٥/١٩٥٣ .

تاريخ الخان

كان خان باشا وقفاً للحسين عليه السلام وقد بناه وإلى بغداد، حسن باشا للزوار في سنة ١١٢٧ هـ والذي دام حكمه من سنة ١١١٦ هـ إلى سنة ١١٣٦ هـ وكانت له مبرات خيرية أخرى في كربلاء كما جاء في مقال مسهب لفقيد العلم

١- في هذه الحسينية يقيم الكربلائيون الأكارم مهرجانهم السنوي الكبير بميلاد الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام .

والأدب والمنبر الحسيني المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي^(١) إجابة منه على السؤال الموجّه من قبل المترجم وقد مدحه السيد نصر الله الحائري الفائزي بقصيدة منها^(٢).

لما تولى أمرنا الوالي الذي
بسخائه كتب السماحة عنونا
أعني به الحسن الذي عن مدحه
أضحى لسان ذوي الفصاحة الكنا
يا أيها الوالي الذي خضعت له
صم الجبال وكل خصم أذعنا
فافخر على كل الأنام بخدمة
للمشهدين علاك فيها زينا
وبنيت خاناً قد هوت شهب السما
لو تغدي أجر ذياك الهنا

١- جريدة القدوة الكربلائية - العدد ٤٤ / ذي الحجة ١٣٧٣ - ١٩٥٣ للأستاذ عبد الرحيم الكيال.

٢- هو أبو الفتح عز الدين السيد نصر الله الحائري الفائزي الشاعر الشهير بـ "مدرس الطف" بن الحسين بن علي بن اسماعيل بن موسى بن محمد بن مساعد بن شرف الدين بن طعمة كمال الدين بن أحمد أبي طراس بن أبي الفائز محمد . . . إلى موسى بن جعفر عليه السلام - قتل في الأستانة ١١٦٨ انظر - / مشجرة الأنساب / في كتاب - مدينة الحسين - للأستاذ محمد حسن الكلدار.

أدبه وأسلوبه

الأستاذ جاسم الكلكاوي أديب بارع، وكاتب وجداني، وناقد بناء، صريح، ويمتاز أدبه بحرارة العاطفة والشعور العميق ومستوى التفكير الذي هو انعكاس لمستوى ثقافته الأدبية.

قوي الأسلوب في كتاباته، رائع الديباجة، كثير النتاج، والحقيقة انه رغم انشغاله بأعماله اليومية وإدارة شؤون مطبعته . . . تراه كاتباً ناجحاً، ومؤلفاً بارعاً، وصحافياً متمكناً من القيام بأعباء الصحافة، وجريدة (المجتمع) المحتجة تعطينا على ذلك برهاناً قاطعاً. وهو كذلك في أدب القصة له أثر لا يخلو من براعة فنية ومن ذلك قوله تحت عنوان - ضحية الإقطاع والاستبداد:-

وهذه القصة استعراض للواقع المؤلم الذي كان يعيشه الفلاحون الكادحون في أعس حالات البؤس والشقاء والحرمان أيام سطوة الانقطاع وظلمه وجبروته، فهذه فتاة ريفية تمثل بحالتها المزرية حالة بيئتها الخاضعة لنفوذ الإقطاعيين واستغلالهم الذي ما انزل الله به من سلطان فأقرأ هذه اللوحات منها.

(لقيتها ليتني ما كنت ألقاها

تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها)

من لهذا الشحوب ؟ من لهذا الذبول ؟

أطلقت حنجرتي هاتين العبارتين مراراً بصوت متقطع تصحبه أنات وآهات صعدتها من أعماق النفس حينما وقع نظري على شبح هزيل لفتاة

ريفية وقد نسج المرض عليها أسماله.

قرأت البؤس في عينها الغائرتين، ولمست الذل في ملامحها التي طغت عليها موجات الألم، وصفعتها رياح الشقاء العاتية فصيرتها كلغم عائم على سطح البحر تتقاذفه الأمواج الهائجة، وتلاعب الأعاصير الهوجاء. لمحتها تسير متناقلة بخطوات وثيدة تتعكز على عصا الشقاء وتتعثر بأذيال التعاسة (كأنها وردة يانعة تفتحت على بسمات الفجر وتقصفت على ضحكات الصباح).

ولو غالطت نظرك لخلتها بسيرها المتثاقل فتاة عصرية سعيدة تمشي الهوينا وتتمايل جذلاً، وتتطاير روحها ابتهاجاً بزخارف الحياة ومسراتها، فتاة تمرح في مروج الأناقة والجمال، وتعزف على أوتار الإنس والحبور. إلى أن يقول:

(ثارت نفسي سخطاً على تلك الأنانيات السافرة التي لتمثل في رجال الاستغلال وتلك الرعونة المتجسمة بالعقليات الضيقة التي تدير دفة الحكم الفرعوني في الوقت الذي يزخر بلدنا بالنظم الإسلامية التي تقضي بالعدل والمساواة وترمي إلى أن (الناس سواسية كأسنان المشط). أمن رسالة الإسلام من يستعبد القوى الضعيف ويستغل الإقطاعي نفوذه في تسخير الناس؟.

أمن رسالة الإسلام أن نثلّم كرامة الضعيف، ونشيد قصور سعادتنا على أنقاض قلوب الكادحين والذين أضناهم الفقر وأعياهم الجوع؟ ألسنا

ندين بالإسلام دين الحق والمساواة والسلام^(١) ألسنا نؤمن بعدالة شريعته الغراء التي أحلى علينا محاربة الاستغلال ومكافحة الاستعمار بكل وجوهه ولهوسه) الخ .

ويقول في كتابه - البرامكة والعلويون - عرضاً وتحليلاً تحت عنوان (للتنسك الخادع):

[ومما يؤسف أن تصرع المظاهر في بهرجتها بعض الأبرياء من المؤرخين والكتاب حيث يحكم على غير روية وتحقيق بإسلام البرامكة، فهذا يؤكد نسبتها إلى الأشعرية أو المعتزلة وذاك يتمشّدق اعتباطاً بتشيّعهم، إن هذا والحقيقة على طرفي نقبض، فالبرامكة لم يدخل الإسلام في أعماق قلوبها، وإذا كانت تخضع للتقاليد وطبيعة الظروف فتلبس مسوح النساك فان تحت ثيابها شيطان رجيّم، يتقاذفها إلى حيث تقتضي مصلحتها، أجل: لقد تنسكت خداعاً تمشياً مع رغبات العامة وحفاظاً على مراكزها ولكنها حملت في الخفاء معاول لهدم كل ما بناه الإسلام تشفياً للخواطر التي كدرها انتصار الإسلام في واقعة القادسية، تلك الواقعة الخطيرة التي كانت جداً فاصلاً بين الحق والباطل، حق العروبة والإسلام وباطل المجوسية والإباحية وانتهت باندحار الباطل وتمزيق ملكه والإطاحة بالعروش الظالمة على أيدي العرب الأحرار، فالبرامكة ومن شايعها حاكمة موتورة وهذه سجية المغلوب على أمره، المقهور

١- مجلة رسالة الشرق الكربلائية العدد / ٦ / ذو القعدة سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م لصاحبها

فضيلة السيد صدر الدين الحكيم الشهرستاني.

في سلطانه^(١).

" لم يكتف يحيى بن خالد البرمكي بمضايقة الإمام موسى الكاظم عليه السلام حياً وإنما تعقبه ولاحقه ميتاً، فقد اصدر أمره بوضع نعش الإمام على الجسر في بغداد وان ينادي عليه: " هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت فانظروا إليه ميتاً فنظر الناس إليه ثم انه حمل ودفن في مقابر قريش بباب التين^(٢).

وللأديب الكلگاوي مشاركات كثيرة في احتفالات أدبية ودينية وتأيينية أقيمت في كربلاء، ولكنه لم يحرص على جمع ثمرات قلمه، ومن كلمة ألقاها في احتفال ديني أقيم بمناسبة مولد منقذ البشرية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تطرق فيها الانتكاسة التي منيت بها الأمة العربية في الخامس من حزيران ١٩٦٧، يقول في هذا الموقف:

" في مثل هذا الظرف العصيب والمحنة التي نعيشها اليوم بمرارة وألم تطل علينا إشراقة ذكرى خير مولود واشرف موجود يعجز القلم عن تصوير شخصيته الفذة وتعداد جوانبها الكريمة، كما تعجز العصور على امتدادها أن تأتي بمثل هذه الشخصية النادرة التي غيرت وجه التاريخ ووطورت مراحل الحياة البشرية وملأها بالسعادة الأبدية والعيش الرغيد.

١- البرامكة والعلويون - ص ١٨ ، ١٩.

٢- البرامكة والعلويون ص: ١٩.

" محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أعظمه من اسم " وما أكرمه من رجل جاء لإنقاذ البشرية من الرذائل والمجون ولا استغلال.

أجل : _ بعث لإنقاذ الناس من عبادة الأصنام وإباحية المجوس واستغلال اليهود وعبثهم بالمقدرات والكرامات ، وخلال ربع قرن عن الزمان استطاع أن يقضي على عبادة الأصنام وغيرها من الرذائل ووحد هذه الأمة وتمم مكارم أخلاقها بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وقاوم (صلى الله عليه وآله وسلم) النفوذ اليهودي بالسيف وفضح أساليبهم جهاراً ، ومزق شملهم في واقعة (خير) بقوة دعوته الإسلامية الحقّة وببطولة ابن عمه الخارقة الإمام العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) تلك الواقعة التي قصمت ظهر اليهود وأوقفت خطرهم عند حده المتصدع .

إن هذه الواقعة التاريخية لم تكن لتبرح أدمغة اليهود حتى قال (شكول) - متشفياً - في العام الماضي بهذا العام بالذات بعد النكسة المؤلة - قالها بالحرف الواحد : "هذه خير" ومعنى قوله :

أي إننا أدركنا خير بالاستيلاء على القدس !!.

أسفاً علي القدس مهبط الوحي ومنطلق الأسرار ، وقبله المسلمين الأولى ، أسفاً على أرضها الطاهرة وقد دنستها أقدام اليهود الملتخة يوحل العمالة والصهيونية.

وله في تأبين المرحومة العلامة الشاعر عبد الحسين الدارمي في ذكره

الأربعينية كلمة مسهبة تناول فيها عوامل الأسرة والأرومة وتخلص فيها إلى شخصية الدارمي ونشأته ودراساته وأسرتة (دارم) العربية العريقة وها هو يقول:

(صناعة المجد وبناء العظمة ونكران الذات لا تتأتى بغير التضحيات الجسام والصبر كما أن أبواب العلم لا يطرقتها إلا أصحاب الملكات النامية والقابليات الخلافة والطاقات الهائلة، أما أدعياء العلم فمستقر حياتهم في (سلة المهملات).

وتاريخ العظماء يزخر بكثير من تلکم القيم والحيويات ويطفح بالمواهب الصقيلة ويعج بالتضحيات الجسام، فكم من عظيم قدم نفسه قرباناً للعقيدة والوطن! واستعذب طعم الموت في سبيل الإصلاح وتقويم الانحراف؟ وكم من نبيل أنكر ذاته وذوب مصالحه في تحقيق مصالح الآخرين؟ وكم من عالم روض نفسه على شظف العيش وخشونة الحياة؟.

هذه العوامل منفردة ومجموعة لها الأثر المباشر في تكوين شخصية الرجل العظيم سواء أكان عالماً أم مصلحاً، جواداً أم شجاعاً حيكماً أم أديباً، ولو أضفنا إلى تلکم العوامل البناءة عاملي البيئة والأسرة لتكاملت معالم الشخصية وشقت طريقها إلى البقاء والخلود .

فالبينة مدرسة كبرى تخرج الرجال العظام وتتعهد توجيهها نحو الأفضل وتكفل إنماء قابلياتها إلى المستوى اللائق وتصلق مواهبها الخلاقة وتغرس فيها أكمل الصفات وأكرم العادات وقد تشذ بعض العناصر المتصدأة عن القواعد

النبيلة ولكن لا قياس على الشاذ.

أما عوامل الأسرة فهي المصنع الذي ينتج العضو والصالح ويشده إليه شداً، ويقلده وسام أمجاد قبيلته (الأم) وبطبعه بطابع عاداتها وتقاليدها ويرسم له أبعاد الحياة ويلقنه سيرة الآباء ومآثر الأجداد وغاية الأسرة (من ربيها) أن يرفع اسمها عالياً ويمثل سلالته وقومه تمثيلاً صادقاً في جميع المجالات والمواقف المشرقة وهنا أيضاً لا قياس على الشاذ.

ولو تناولنا حياة الفقيه الغالي وتبعنا العوامل التي أكملت معالم شخصيته من مجد مؤثر وعلم غزير وأدب رفيع وبيئة كريمة وأسرة عريقة لما وجدنا كبير عناء، فالمجد ما خلده من آثار قيمة في البحث والتدريس والقضايا الاجتماعية، والعلم ما اكتسبه من أستاذه المرحوم الإمام الشيخ محمد الخطيب فقيه عصره وواحد زمانه وأماً بيئته التي عاش فيها ردها من السنين فهي كربلاء، بلد العلم والعرفان، بلد القداسة والكرامات، وأما أسرته فيكفيه اعتزازاً انتسابه إلى (دارم) ودارم بيت رفيع من تميم، وتميم عدلاني، يلتقي مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الياس بن مضر، وهو الجد السادس عشر للنبي "صلى الله عليه وآله وسلم" (١).

١- كان المرحوم الشيخ عبد الحسين الدارمي شاعراً مبدعاً وأديباً وعالمًا ذا شخصية محترمة، ساهم في عدة حفلات دينية في كربلاء بقصائده الرائعة، كان متواضعا، حسن الخلق والمعاشرة وقد تتلمذ على المرحوم آية الله الشيخ محمد الخطيب وكان أكثر تلامذته علما وأدبا. توفي في يوم ٢٧/ ٧/ ١٣٨٦) وأقيمت له الذكرى الأربعينية وساهم فيها أدباء وشعراء من كربلاء منهم "مؤلف

قام الإمام المجاهد الأكبر سماحة السيد محسن الطباطبائي الحكيم برحلة تاريخية إلى (سامراء) تجلت فيها منزلته الكبيرة في قلوب أبناء الشعب الذين كانوا بمختلف طبقاتهم يحتفون بسماحته استقبالا وتوديعا أينما حل وارتحل .
واليك مقتطفات من أهم ما ورد في هذه الرحلة التاريخية بقلم جاسم الغلغاوي :

[رحلة الإمام الحكيم]

من النجف إلى سامراء

" احتضنت سامراء ضيفها الكبير قرابة أسبوعين وكانت الوفود تتقاطر عليها من كل صوب وحذب للاستفسار عن صحته والدعاء له بطول العمر والبقاء والائتمام به عند كل صلاة وفي صبيحة يوم الثلاثاء المصادف ٩٦٣/١١/٥ هبت سامراء تودع ضيفها العزيز، فانخلعت على فراقه القلوب، وتناثرت الدموع وكان حفل التوديع أجمل تعبير على المشاعر الصادقة والحب الخالص والأخوة الإسلامية النامية.

في بلد

" ولما وصل الركب المقدس إلى (بلد) استقبلته الجماهير بكل ما تستطيع التعبير عن مشاعرها ، بالهتافات والتكبير والأهازيج والتصفيق

الكتاب " وقد خلف العلامة الدارمي من الذكور الشيخ عبد اللطيف وهو شاعر، وعدنان وهو أديب مثقف ونهيب بهذين الصديقين أن يقوموا بطبع ديوان والدهما تخليداً له وإحياءاً لتراثه.

وزغاريد النساء ونحر الذبائح ونصبت الأقواس ونشرت اللافتات الترحيبية حيث القصائد والكلمات " .

في السيد محمد

" أما في السيد محمد فكان الكرم الحاتمي والسجايا العربية في استقبال الضيف والترحيب بالقادمين من أبرز صفات الاستقبال وبعد استراحة قصيرة وانتهاء الناس من وجبة الطعام واصل الركب سيره إلى الكاظمية مكللاً بالهبة والوقار ومحفوظاً بعناية الله وقد استقبل الركب في الدجيل وسميكة أروع استقبال حتى وصل الكاظمية ليلاً ومكث سماحته فيها يومين وبارحها عصر يوم الجمعة ٩٦٣/١١/٨ تودعه القلوب وتساير ركبه الأرواح وكانت الحفاوة بالغة في المحمودية وفي الإسكندرية لا تقل روعة عنها " :

" واتجه الموكب إلى قضاء المسيب، تلك المدينة الوادعة التي وقفت بوجه الشيوعيين العملاء ببطولة نادرة إذ تحدث إرادتهم وسحقت عقاربهم وقطعت حبالهم يوم استقبلت الإمام الحكيم امتحاناً لذاقتهم التي صقلتها تعاليم الإسلام والدلالة على اصالة عروبتهم التي فرضت عليهم حماية الدين وإكرام الضيف " .

في كربلاء المقدسة

سبق لكربلاء أن استقبلت حكيماً وبطلها الإسلامي في سنة ١٩٥٩ ببسالة نادرة وقلوب أقوى من الحديد وحفظت في شخصه بيضة الدين ، وان تلك العقيدة التي استقبلته بها جماهير كربلاء في الطغيان الشيوعي هي اليوم أقوى صلابة

وأشدّ مراساً".

اصطف المستقبلون على جانبي الطريق من مدخل المدينة حتى موقع دار سماحة الإمام الحكيم وهي مسافة تقدر بـ " كيلو " متر واحد والكل يهتفون ويكبرون وتكاد قلوبهم تطير فرحاً بهذا اللقاء الحبيب، لقاء الأب الروحي مع أبناء اتخذوا الدين في الحياة وسيلة وجبلوا على التضحيات وامتازوا بالجهاد الأكبر في سبيل الله والوطن هذا هو الواقع والحقيقة وإن لم ينصفهم التاريخ ويضع جهادهم في المكان اللائق ".

اشاعات باطلة

في الرحلة (الحكيمية) الأولى آثار الشيوعيون حولها دخاناً قائماً من الشائعات، ونثروا الشكوك وفسروا للعوام الأمور معكوسة، وكان قاموس تفسيرهم لا يخلو من عبارات الشتائم والتهم الرخيصة، فكل من لا يواكب سيرتهم المنحرفة هو في عرفهم متآمر جاسوس يجب قتله والتمثيل به .

أما في هذه الرحلة المباركة فقد حاول حفنة من النكرات من دعاة العنصرية والتفرقة والحاquدين أن يطيروا بعض الأباطيل ولكن محاولتهم باءت بالفشل فان الحكيم ورحلته فوق الشبهات والشائعات، رحلة الحكيم كانت لله ولتعظيم شعائر الدين وما كان لله ينمو وأنوف الشعوبيين والشيوعيين والمتصيدين في الماء العكر أنوف هؤلاء جميعاً في الرغام^(١).

الكلمة الأخيرة

ليس من السهل أن يكشف الإنسان صفات غير أو يتعرف على طباعه إلا بالاحتكاك والمعاشرة. وإني بحكم روابط - الصداقة والأدب - القديمة بيننا عرفت " أبا لواء " صديقاً حميماً، ساعياً للخير موالياً لأهل البيت عليهم السلام . يتصف بالتواضع والخلق الرفيع وسلامة القلب، وهو عضو في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد، وشهرته الأدبية تعدت حدود بيئته إلى الخارج. بواسطة آثاره الأدبية ومؤلفاته الكثيرة المطبوعة. وقريباً سيصدر له مؤلف جديد في موضوعه وهو: (العرب في الكتاب والسنة والتاريخ) ونأمل أن يعقبه بمؤلفات أخرى فإن قلمه السيل ورغبته في التأليف يحققان هذا الأمل في مستقبل الأيام والأعوام .

والآن لتفارقه على صعيد هذه الصفحات - لا فراق القلب للقلب - لنلتقي مع أدينا الكربلائي الأستاذ مشكور الأسدي.





مشكور الأسدي

الأدب عنصر حيوي كائن، يتقمصه الوجود
الإنساني ويعتبر أحدهما مرآة ناصعة للآخر، رمزاً
لمستوى قيمه المعنوية.

وأعني بالوجود الإنساني . . . ذلك الإنسان الذي يؤتیه الله هذه الموهبة
الفكرية الخلاقة لتكون صوناً هادراً للخير والفضيلة في مجالات الشعور
والتفكير والتعبير المنطقي والوجداني على ضوء العقل السليم، وتلك هي
الكفاءة التي تجعل الأديب أو الشاعر الإنساني قدوة صالحة في بيئته ومجتمعه،
يعمل في سبيل الكرامة والقيم الرفيعة من حيث هو إنسان، وأشرف مخلوق
على وجه البسيطة ولأنه جزء من وحدة الوجود في نظام هذا الكون الفسيح
البديع المشرق بالجمال.

وإن لنا من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما يؤيد
ذلك في جوهره وفي مغزاه العميق، حيث يخاطب الإنسان والحكمة التفجر من
ينابيع عبقريته الزخارة من خلال قوله المأثور هذا: —

وتحسب أنك جرمٌ صغيرٌ

وفيك انطوى العالم الأكبر

والأدب في وجوده الفكري وسيلة من وسائل التهذيب الحلقى والنفسي والنهوض بالشعب أو الأمة لتطوير حياتها في مجالات التقدم والازدهار أو ليل استقلالها وسيادتها في ميادين الحركات السياسية والثورات الوطنية لتلخيص بلادها من نير الظلم الاستعماري واستعبادها وامتصاص دمائها وابتزاز أموالها وخيراتها على حساب شهواتها الحاجة في أي زمن ومكان .

وإذا كان العلم بمختلف أنواعه يعتبر أساساً لبناء الحضارة الإنسانية على مر العصور والأجيال . . . فان الأدب وهو إلى جانب العلم دعامة راسخة في بناء الكيان الروحي في حياة المجتمع وعلى الأخص في بلاد الشرق الإسلامي والعربي الذي هو مهبط رسالات السماء وموطئ أقدام عظماء البشرية من الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله لتحرير الإنسان من رقة الجهل، وأغلال العبودية وشقاء الفوضى، وتوجيهه إلى توحيد الله والإيمان به، والذين كانت دعواتهم قائمة على مبادئ العدل والحق والحرية والآداب والأخلاق والمثل العليا بما فيها إنصاف المظلوم وإسعاد المجتمع البشري في الحياة حيث كانت الدعوة الإسلامية على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتمة تلك الدعوات الإلهية السامية، فالأدب العربي أكثر إنسانية من سواه، لأنه لغة الضاد العريقة المتأثرة بلغة الوحي السماوي المنزل، والمستمد حيويته وخلود من رسالة الإسلام ومن معينها

الزاهر الذي لا ينضب وهو " القرآن الكريم " .

إن الشخص الذي يسمى (أديباً) يجعله هذا اللقب أو بعبارة أخرى تعطيه كلمة (أديب) صفة خاصة يتميز بها عن سائر الأفراد، ويكون محترماً بينهم يشار إليه بالبنان .

ويحق للأديب أو الشاعر الإنساني أن يكون كذلك بواسطة الأدب الذي هو بمثابة العلم وليس أقل منه شأنًا .

وللأديب كما للعالم منزلة رفيعة في الحياة الاجتماعية فكلاهما صاحب رسالة إنسانية قيمة تعمل على رفع المستوى الفكري والثقافي في حياة الناس دائماً وأبداً .
وكلماً اتسعت مدارك الأديب كان أكثر إحاطة بأمور الحياة خيرها وشرها .
وإحاطته بالأمور الحياتية تزيده اندفاعاً شديداً إلى خوض المعارك الأدبية والإصلاحية بصلافة ورباطة جأش .

ولنأخذ مثلاً على ذلك أديبنا الكربلائي الكبير الأستاذ مشكور الأسدي الذي لأدبه صولات، ولقلمه صرخات في مضمار الفكر تشهدها له أمهات الصحف والمجلات العراقية العربية .

مولده . بيته

ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة (١٣٣٩ هـ - ١٩١٩ م) وهو نجل المرحوم الحاج مهدي العطار، وكان للمترجم إخوان توفياً وهما: - محمود - وعبد الحسين الصراف والد الأستاذ الشاعر زكي الصراف .

وبيته كربلائي القدم، عربي عريق، أسدي الحسب والنسب يتصل بيت

الشاعر الكبير المرحوم محمد جواد (بدقت) أحد شعراء كربلاء الفطاحل في القرن الثالث عشر الهجري ، وينحدر من قبيلة (بني أسد)، وفي حوزة المترجم - عثمانية - قديمة لوالده مكتوب فيها : - الحاج مهدي بن حمود بدقت.

وهناك مصاهرات وصلات قرى بين بيت (المترجم) وآل عواد وآل بحر وآل بستان التي هي من البيوتات الكربلائية العربية المعروفة.

وقد أفادنا صديقنا الفاضل الوجيه الحاج سليم العواد^(١) بمعلومات وافية

١- الحاج سلم العواد من ذوي الاطلاع بتاريخ كربلاء وبيوتاتها، ولديه مجموعة خطية تتضمن معلومات وافية عن قضايا كثيرة وحوادث تاريخية عديدة وقعت في كربلاء منذ القرن الثاني عشر الهجري حتى - ثورة العشرين -.

وهو ابن محمد جواد بن حسن بن مهدي بن احمد بن عبد العزيز بن راشد بن سليمان العواد، و - آل عواد - أسرة عربية عريقة لها ماض مجيد في كربلاء ومهم في بغداد ويرجعون في نسبهم إلى شتر الخليل - (اجعفر) من الربيعية من عبدة. نبغ فيهم شاعر لامع في الفصحى هو المرحوم الحاج محمد جواد بن عبد الرضا العواد البغدادي في القرن الثاني عشر الهجري ، وشاعر شعبي هو الحاج محمد بن الحاج محمد عباس العواد وكان نسابة خبيراً توفي في أوائل هذا القرن الهجري كما برز منهم رجال أشداء تمثلت فيهم الشهامة والشجاعة العربية والروح الوطنية العالية، وقد ابلوا بلاءاً حسناً مع أفراد أسرهم تضامناً مع سادات ورؤساء ورجالات كربلاء ضد الحكام العثمانيين والانجليز في مواقف بطولية يعتز بها تاريخ هذا البلد خاصة في وقائع - المناخور - و (علي هدله) و (داود باشا) و (نجيب باشا) و (حمزة بك) واستشهد منهم فيها عدد غير قليل. أما أشهر رجالهم في (ثورة العشرين) التي قدحت مدينة كربلاء زنادها ضد الغزاة الانجليز فهم المغفور لهم : عبد الكريم وعبد الجليل وعبد الرحمان أولاد عبد الرزاق العواد الذين كانوا من أبرز قادة هذه الثورة الكبرى بزعامة المرحوم آية الله الشيخ الزعيم محمد تقي الشيرازي.

عن شخصية والد المترجم وأصالته العربية وانه كان من كبار النجار المحترمين في كربلاء.

ويقول الأستاذ عباس العزاوي في نهاية بحثه عن قبيلة بني أسد: " ومن بني أسد العلامة الحلي والطريحيون وآل كمونة في كربلاء ومنهم الأستاذ مشكو الأسدي"^(١).

ثقافته

أكمل الأستاذ مشكور مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة في كربلاء والثانوية ببغداد، وكان حينئذ في مقتبل العمر وعهد الصبا، فوجد في نفسه آمالا كبيرة تبسم لمستقبله ابتسامة الفجر لصباحه الباكر، ودفعه طموحه الشديد لتحقيقها فسافر إلى (مصر) وواصل دراسته العالية في - كلية الآداب - بـ (جامعة القاهرة) وتخرج منها سنة (٤٨ - ١٩٤٠) وحاز فيها على شهادة (ليسانس في الأدب العربي).

عين موظفاً لأول مرة عام (١٩٥٠) في مديرية الدعاية العامة ببغداد وعمل فترة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم اشغل عدة وظائف في وزارة الثقافة والإرشاد، منها مديرية الاستعلامات العامة وهو اليوم مدير للمكتبات التابعة لهذه الوزارة .

١- عشائر العراق - للأستاذ عباس العزاوي - ص ٥٢ ج ٤.

نشاطه الأدبي وأسفاره

بدأت موهبة الأستاذ الأسدي بالظهور عندما كان على رحلة الدراسة المتوسطة في كربلاء ، وكان يكتب خواطره النفسية والفكرية وينشرها مقالات متناثرة على صفحات الجرائد والمجلات العراقية وكان نشاطه الأدبي المبكر في مطلع شبابه مدعاة لإعجاب أصحاب الصحف والمجلات وكذلك القراء على حد سواء، وسبباً طبيعياً لاشتغاله في الصحافة العراقية منذ ذلك الوقت حتى اليوم ولم ينقطع عن تزويدها بثمرات قلمه وأدبه إلا في بعض الفترات القصيرة التي كانت تحجبه عنها كثرة مشاغله أو سفراته إلى الخارج .

ولقد زار كافة البلاد العربية بما فيها شمال أفريقيا العربية، وتركيا وإيران والأفغان وقسماً من (أوروبا) ووصل في رحلاته إلى النمسا ويوغسلافيا واليونان وألمانيا. وكتب انطباعاته عن هذه البلاد العربية والإسلامية والأجنبية في مذكرات ينوى تقديمها إلى الطبع لو سنحت له الظروف.

والأستاذ مشكور كثير المطالعة بل هي أهم هواية عنده (إن صحَّ أن تكون المطالعة هوايته) وله مكتبة كبيرة ولكنها غير منظمة، ويحرص أشد الحرص على جمع الآثار الأدبية العراقية والتراث الإسلامي بحثاً وتنقياً .

وأشهر المجلات العراقية والعربية هي مسرح أفكارها وخواطره وبحوثه الأدبية مثل : البيان، الهاتف، الأسبوع، السياسة، الرابطة العربية، الأديب، الرسالة، وغيرها فضلاً عن الصحف العراقية والعربية القديمة والحديثة التي سيرد ذكرها.

ويتصف صديقنا " الأسدي " بدمائة الأخلاق، وحرارة العاطفة وحسن التواضع، ولطافة الحديث، وتكاد لا تفارقه إذا جلست إليه وهو بكلمك بعدوبة منطقته، وهدوء صوته، والابتسامة لا تفارق شفيته.

أدبه وأسلوبه

الأدب موهبة من المواهب الفكرية الإنسانية، ومرآة ناصعة تنعكس عليها مشاعر الأديب ومستوى ثقافته، وكلما كان مستواه رفيعاً كان نتاجه أكثر قوة وإبداعاً، بل القوة والإبداع من أهم مميزاته، والدليل على ذلك هو أدب الأستاذ مشكور الأسدي الذي يمتاز بهذه الجوانب الأصيلة في أدبه الحي ومستوى ثقافته العالية.

أما أسلوبه في كتابه فهو يمتاز بعمق التفكير، والمتانة والرزانة، والبراعة الفائقة، والإطالة المشوقة - لا المملة - ويتناول بقلمه كل شيء، ويخوض في كل موضوع، ديني أو سياسي، أدبي أو تاريخي، فني أو اجتماعي . . . الخ، وأسلوبه كذلك اقرب إلى التحقيق العلمي منه إلى العرض والتحليل في كل ما يكتب، ويغلب عليه طابع الأدب للبحث.

نماذج من بحوثه الأدبية

وأجدني الآن أمام ذهن متوقّد، وفكر نير، تلمح فيه بارقة الذكاء، وثروة أدبية مكدسة بين يدي من مجلات وصحف تحمل على صفحاتها الغراء المقالات والبحوث الرائعة التي نشرت بقلم أديبنا الكبير الأستاذ مشكور الأسدي، على أن هذه المجموعة المكدسة هي قليل من كثير، وجزء من كل ما

كتب وحرر ونشر، ولو أراد أن يجمع آثاره المنشورة كلها في الجرائد والمجلات يشق عليه ذلك ولقي من جرائه عناءً كبيراً لكثرتها وغزارتها، ولربما أربت - أو جمعت - على بضع مجلدات ضخام.

والحقيقة أنني لا ادري أي موضوع اختار ؟ وأي ثمرة من ثماره الأدبية أتناول ؟ أو أي زهرة من أزهارها الخلافة أقطف ؟ ولكني سأترك الذوق حسن الاختيار وفقاً لرغبات النفس، والنفس ما تشتهي، وحسي أنني والقارئ الكريم على اتفاق في الرأي والذوق فيما أختار له من أدب الأستاذ الأسدي . لنقرأ قبل كل شيء ما كتبه تحت عنوان (الملاحم) عن مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأهداف نهضته المقدسة عرضاً وتحليلاً بقوله :

"مصرع الإمام الحسين عليه السلام في عرصات كربلاء ليس ملحمة شهادة قط، وإلاّ فشهداء الإسلام كثيرون، إنه يتجاوز ذلك إلى ملاحم عديدة، أولها الشهادة نفسها التي تفوق كل شهادة بإرهاصاتها ونتائجها، ثم ملحمة مثالية الحق الذي لا يكون كذلك إلاّ حين يدافع عنه ويطالب به ويراد عرضه ناصعاً وتمثله كاملاً، ثم ملحمة الكرامة الإنسانية التي تأبى تجرّع الضيم والخنوع للذلّ والانبطاح إلى الهتافات، ثم ملحمة الرؤية إلى المستقبل، النظر المستشف والعين الصحيحة والمضيّ في هئية الحاضر المنتقص لاستقبال المستقبل البهيّ مهما كان الثمن غالياً وعالياً.

هذه الملاحم وغيرها هي ملاحم واقعة الطف سارت بها الأمثال منذ أجيال، منذ أن وقعت، ولا تزال تسير، ثم كان من ذلك ملاحم أخرى ذات

صبغة أخرى، هي ملاحم الرثاء والصيال والشعر والنثر المعلى . . إن (ديوان الحسين عليه السلام بكل أفانيه المنظومة والمنشورة ملاحم تحكي لنا تلك الملاحم، هذه كانت من تلك وتلك. تقرأ في هذه وتستبطن مآثرها، وخالدات مواقفها، وغالي مدامعها وحسرات قلوبها، ونبضات قوتها، والتماعات تحديها، ومعاجز بقائها.

لم يكن الحسين عليه السلام بالضعيف الحوار أمام القوة الفوارة التي نصبت له الكمين في كربلاء كما يريد أن يصوره بعض الجهلة ممن يخطبون على منابرهم من أجل استدرار الدمع، كان الحسين ذاك الهزبر: —
ذاك الذي أعطى المهتد حقه

في يوم نحس لم تزره ذكاه
وجماجم الأعداء فيه كأنها

فقع البطاح وهكذا الأشلاء

هذه الملاحم التي يزاحم بعضها بعضاً ما موقفنا منها في هذا العصر الذي استنسرت فيه الزراير؟ أين أثر مثالياتها في سلوكنا إزاء هذا الاستنصار ونحن لحي مجدها ومجد صاحبها كل عام في مثل هذا الموسم الحزين في مثل هذا اليوم الحزين نذكر على ضوئها الباهر واقعنا الباهت . . الخ" (١).

ويشيد الأستاذ مشكور بقوة العرب وشجاعتهم النادرة وصفاتهم النبيلة

الأصيلة ودورها في بناء الحضارة ومواقفهم التاريخية لمشرفة ضد أعدائهم في العصور الغابرة وما كانوا يتحلون به من إباء وشم وعزة وسؤدد فيقول تحت عنوان : (الدعوة إلى القوة) :

" نحن العرب عرفنا بشدة المراس والقوة وعرفنا بالاستهانة بالأخطار والشجاعة عند اللقاء واحتقار الميوعة والجبن والتخاذل وإنَّ الحرب صناعة العرب، لذلك فإن كل دعوة إلى الاستهانة بروح القوة إهانة لنا من حيث أنها تكون وسيلة لإذلالنا وإبقائنا على ما نحن فيه من ذل يجب أن نتخلص منه بالقوة .

وقلماً مرَّ العرب في دور الذي يمرون به اليوم فإنَّ لكل الاستعمار الغربي في بلادنا قد زاد عليه خطر (إسرائيل) التي لم تعد مزعومة مع الأسف، فنحن في حالة تهديد حقيقي تعانيه من عدة جهات، نعانيه من الغرب الظالم ونعانيه من إسرائيل المعتدية، فحق علينا أن نلتفت إلى تراثنا في تقديس القوة وصناعة الموت وأن نعدَّ لأعدائنا ما استطعنا من وسائل الدفاع والهجوم، فالاستنامة إلى الضعف والمهادنة والسلام وتكرار هذه العبارات المخدرة نفسياً والدعوة إليها ملونة بالمثاليات العليا التي تخدم غيرنا تبقينا ضعفاء فاترين لا نقوى على دفع الظلم الواقع والذي قد يقع" (١).

ويقرن أديبنا المشكور (الأسدي) كرامة القلم بكرامة صاحبه من حيث

ترتبط أحدهما بالأخرى روحاً ومعنى، ومعنى ذلك أن الأديب الذي لا يشعر بكرامة نفسه فهو عديم الشعور كذلك بكرامة قلمه، فالقلم ترجمان الفكر والشعور ورمز الكرامة الأديب، والأديب الذي يبخل قيمة أدبه ويركض وراء كل تافه أو يسكت عن الحق - والساكت عن الحق شيطان أخرس - يجب أن نقرأ عليه وعلى أدبه وقلمه ألف سلام وسلام !! فاستمع إليه وهو يحدثك تحت عنوان: (كرامة القلم):

" للقلم كرامة يعرفها أصحاب الأقلام الحرة، هؤلاء الذين يمرون باللغو حين يعترضهم مر الكرام فلا يغمسون قلمهم بالمداد الأدكن يردون به على ذلك اللغو. كرامة القلم من كرامة صاحبه وصاحب القلم الكريم صاحب رسالة هي رسالة الشرف الوطنية يذب بها عن الحق الصريح ويدفع بها الباطل الكسيع، صاحب القلم هو من لا تعريه المغريات الزائلات، ولا يخيفه تهديد ووعيد لأن الرزق بيد الله وحده . . هو ذلك المخلص فيما يأتي ويدع من قول، الماضي كالسيف يقطع الفضول ويثبت الأصول ويدعو إلى الفضيلة والوطنية ومكارم الأخلاق ورعاية الإنسان والإيمان بالله العلي القدير الذي إليه المآب بعد الرحلة القصيرة فيكون عنده الحساب وفصل الخطاب سبحانه وتعالى" (١).

والأستاذ مشكور كالمفكر الضليع الذي ينظر إلى الحياة بعقله الكبير، ومما

يقول في خواطره اليومية في وصف (الربيع) بمثل هذا الأسلوب الساحر .
 "بدت أكامم الربيع تتفتح عن براعة لطفه الوردي المتموج في أعقاب
 الشتاء المتخلف فأينعت الأرض باللون الأخضر الزاهر لون الحياة المبهجة
 الطيبة التي تزدهر فيها طاقات السرور في قلب الإنسان كما تزدهر باقات
 الزهور في ممشي البستان .

" الربيع واسطة عقد بين فصلين مختلفين وهو فيهما - الوسط - البائع
 الآخذ منهما جميعاً خير ما فيهما جميعاً فليس يعرف قرّ الشتاء وليس يعرف
 قيظ الصيف بل هو يقيس من هذا ومن ذاك ما يخلط بينه جميعاً فيكون مزيجاً
 يترجم عن مزاج الربيع ويكون اتصالاً يرجع ترنيمات الوصال، فليس عبثاً
 من ثمة أن يفرح الناس بالربيع وليس بدعاً أن يرقص الوجود في محراب بهائه
 الرضاء . . الخ(١).

وهو كذلك يصف فصل الصيف وصفاً ينطق والواقع قائلاً بلغة الأدب
 الوجداني وفي أسلوبه نكتة لطيفة تثير الانشراح في نفسك.

" جاء فصل الصيف، فصل المساكين والفقراء . . .

جاء فصل الصيف بقيظه بعد قرّ الشتاء، فنقر الفقراء من الأسمال الثقيلة
 إلى خفيف الرداء الممزق واكتفوا بأيسر الطعام وأبخسه وتراموا حيثما اتفق من
 سطح خان أو رصيف شارع أو صحن جامع أو زاوية مكشوفة، جاء الصيف

وجاء معه الحر والعرق واستراحة الظهيرة وكسل الجسم وفتور الذهن - جاء فصل الباذنجان - حفظك الله من كل سوء.. جاء فصل الصيف حيث يغادر الموسرون هذا الوطن القائظ إلى منأى من بلاد المصايف الجبلية وسواحل البحار اللازوردية حيث لا يشعرون بحر ولا ينضحون بعرق ولا يأكلون - الباذنجان - وحيث يعيشون في جنات ونعيم، ويتركون المساكين أمثالنا يكدحون آناء الليل وأطراف النهار . . الخ(١).

وما أكثر خواطر كاتبنا القدير - الأسدي - الذي يبث فيها لواعج نفسه حيناً، ومسررات قلبه حيناً آخر، وكل ما في خواطره جدير بالقراءة والتفكه، إذ يعطيك انطباعاً حياً عن واقع الحياة ومظاهر الطبيعة الفاتنة، وها هو يصف لك (نسيم الشمال) وصفاً رقيقاً لطيفاً كلطافة أسلوبه فمن قوله:

"نسيم الشمال . . ما أرق هذا النسيم حين يهب على القلب المتيم فيحى، واته وبسعه بعد إعنات ؟ نسيم الشمال حمل إلى وجداني ما به حياة الروح وانبلاج زهرة العمر عن مكنونها الطهور الذي لم يتفتح إلا له وجده، نسيم الشمال مر على قلبي رحيماً ضاحكاً عاطراً، فصفق هذا القلب وانتشى وعرف ما الحياة بعد موات! وضحكت حقيقي التي لم تضحك إلا له، وتجلت مسحورة به ممهورة بحبه ! ما أقدس هذا النسيم الضاحي، هذا النسيم الذي

أطلق شذاه عواطفني المكبوتة وخواطري البيضاء وأشعاري المنشورة الخ^(١).
وتراه يترجم شعوره نحو شهر رمضان إيماناً منه بقدسيته وروحانيته التي
تربط قلب المسلم بدينه وتوجهه توجيهاً ذاتياً إلى ربّه بفرائض الصوم
والعبادات والأعمال الصالحة ومما يقول تحت عنوان (مرحبا بـرمضان) :
" جاء رمضان فأهلاً بـرمضان، قدم شهر الصيام الذي أنزل فيه الفرقان،
مرحباً بشهر الاعتكاف إلى الله في تنزه عن الدنيا وخلوص إلى الخير واستشعار
آلام الغير واستبطان داخل النفس عن طريق الجوع والظمأ في النهار القائط ،
مرحباً بـرمضان فيه عبرة للإنسان ومران له على مصاولة الحدثان . . الخ" ^(٢).
ومن قوله في وقفة له " على أطلال بابل " عنوان مقاله :
" نحن الآن في بابل ، هذا هو الطريق الملوكي المبلط بالآجر اللّماع كل
آجرة من قطر ، هذا هو الطريق المستقيم الذي سار فيه الملوك الصيد حين
خرجوا إلى "فتح" أو عادوا من "نصر" هذا هو طريق " بختنصر " مر فيه قبل
الدنيا ومثل حضارتها يجرجر وراءه سبائا إسرائيل يرفلون بالقيد ويتعشرون
بالذل . . (٣) " .

والأستاذ مشكور دائم التردد على مسقط رأسه "كربلاء" وتراه يصف

١- جريدة صدی الأخبار ٨ / تشرين الأول / ١٩٥٣

٢- جريدة صدی الأخبار ١٦ / مايس / ١٩٥٣

٣- جريدة الطريق ١٥ / مايس / ١٩٥٣

في إحدى زيارته معالمها وذكريات طفولته فيها ومما يقول: -

"ساعات معدودة محدودة، أمضيتها في كربلاء أعادت إلى ذهني خواطر
أيّام الطفولة والصّبّا، مرّ أمامي شريط رائع المعاني والإحساسات فيه ما يسر
وما يحزن، فيه بضعة من وجودي، فيه بضعة من وجداني، فيه (أنا) بسنواقي
الأولى " - وقوله: " ولكن كربلاء نفسها لم تتجدد وان بدت في بعض
مظاهرها متجددة، لا أقصد (النور الإلهي) في هذا البلد المقدس فإنّه - نور -
أزلي متجدد .. دائما .. الخ(١)".

ويصف لنا - مشكور - ذلك المشهد العظيم في " مكة المكرمة وعرفات ،
الذي هو صورة مصغرة للمشهد الأعظم في "يوم القيامة فيقول تحت
عنوان: " مشرق الروح ":

"في مثل هذه الأيام المباركة من العام الماضي كنت في الديار المقدسة
أؤدي مناسك الحج . أمامي يمر المسلمون الحاجون فرادي وجماعات بينهم
الأبيض والأسود والأصفر، فيهم من جاء من آسيا الصغرى أو من جنوب
أفريقيا أو من قلب الجزيرة العربية جاءوا كلهم يهدف واحد هو أداء
مناسك الحج " : تنفيذ أوامر الله .. تتحدى شرّة النفس برداء الروح . .
الطواف حول البيت العتيق . . زيارة قبر المصطفى : والتعارف مع الحجيج في
أقدس ضجيج " وقوله: " الجميع إخوة مسلمون، انشقت فيهم مرارة الفرقة

اللونية أو الجنسية وزالت الفروق بين الغني والفقير كلاهما في إزار الإحرام قد صفا قلبه من أطماع الدنيا . . الخ.

" أينما كنت أسير ومع من أتحدث أجد الحسرة تملأ الجوانح على ما صار إليه المسلمون في عصر الذرة، كيف نهبت "فلسطين" كيف قامت دولة الضلال ؟ كيف لا تهبّ شعوب الإسلام لدرء الكفر عن بلاد الإسلام ؟ كيف لا تشترك هذه الشعوب في خصام الخصم اللدود . . الخ" (١).

المستشرق ماسينيون

كان المستشرق الفرنسي ماسينيون من رجال العلم والبحث والتنقيب عن الآثار التاريخية والمواقع الأثرية في الشرق العربي والإسلامي خاصة العراق، وكانت له اتصالات وروابط ودية وثيقة بعدد كبير من أعلام الأدب والفكر في هذه الربوع منهم المرحوم السيد عبد الحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية السابق وقد زاره (ماسينيون) في داره كربلاء مرتين الأولى في أواخر العهد العثماني والثانية منذ أكثر من عشرين عاماً عندا جاء لمشاهدة (حصن الاخضر) الذي يبعد عن كربلاء مسافة (٣٠ - كم) في الجهة الجنوبية منها (٢).

١- جريدة الجمهورية بغداد ٧ / ٣ / ١٩٦٨ .

٢ - من مقال للمؤلف عن حياة السيد عبد الحسين ومؤلفاته والروابط المتينة بينه وبين ماسينيون، منشور في مجلة الإيمان النجفية للشيخ موسى يعقوبي العدد: (٧ - ٨) ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ .

وللأستاذ مشكور الأسدي أكثر من لقاء مع هذا المستشرق المعروف في القاهرة وفي (ميونيخ) بألمانيا وقد كتب بإسهاب عن ذلك جاء فيه: " كان (ماسينيون) في هذا اللقاء بادي النشاط كما رأيته من قبل في القاهرة ، لم تكن السنون من سمهري قامته، ولم تحفر في وجهه الغضون العميقة ولم تفلت من نفسه حيوية العالم . . الخ" .
حتى يقول: " . . .

وكان المرحوم السيد عبد الحسين من رجال الفكر والعلم المبرزين باضطلاعهم في التاريخ الإسلامي والفلسفات الفكرية القديمة اليونانية والعربية والفارسية وكانت له مكتبة ضخمة عدت في طليعة مكبات العراق قبل نصف قرن تقريباً، وقد أشار إليها المؤرخ الشهير (جرجي زيدان) في كتابه: "تاريخ آداب اللغة العربية ج / ٤" ولكنها احترقت ولم يبق منها إلا النزر القليل: وذكره الكاتب اللبناني الكبير المرحوم محمد علي الحوماني في كتابه (بين النهرين) حيث زاره في داره بكربلاء وتباحث وإياه في أصول العقيدة الإسلامية والفلسفة اليونانية والخير والشر والجبر والتفويض في الإسلام غير ذلك من الأمور التي مرجعها الدين والعقل ووصفه بالذكاء والحدق وأشاد بشخصيته اللامعة .

وللسيد عبد الحسين مؤلفات كبيرة مخطوطة وقد بذلت جهوداً كثيرة بعد وفاته عام ١٣٨٠ هـ في سهيل تحقيق بعض هذه الآثار المخطوطة وإخراجها إلى حيّز الوجود وذلك إجابة لطلب نجله السيد عبد الصالح آل طعمة سادن الروضة الحسينية المقدسة .

إلا أنني لم أستطع أن أحقق الأمل المنشود إذ وجدتها مكدسة بدون تنظيم، ومعظم صفحاتها غير مرقمة، وقد حققت قسماً كبيراً من كتاب: (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) وكتاب " بطون قریش " وقبل الانتهاء منهما تركتهما للسبب المذكور ولكن حفيده الأستاذ السيد عادل الكليدار هو الذي أكمل تحقيق كتاب (بغية النبلاء) وأخرجه للنور .

وأخيراً: فانه مهما قيل عن المستشرق بصورة عام من وجود ميل يدفع بعضهم أو بكثير منهم إلى غايات لا علاقة لها بالعلم والمعرفة فإنني أعتقد بان المطلعين على دخائل ماسينيون تلميذ العلامة الألوسي والمغمور بتجليات الحلاج يعترفون بأنه لم يكن من هؤلاء بل كان من العلماء الأفذاذ المنصرفين للعلم والبحث عن الحقيقة والله أعلم^(١).

ولـ "مشكور الأسدي" رأي صريح حول الشعر الحر وهو أشبه بالانتفاضة على هذا الشعر - الممسوخ - الخارج على القاعدة والموازن في الشعر العربي الأصيل، العمودي المقفى، الذي جاء تحدياً له سواء آمن أصحاب هذه "المدرسة الجديدة" التي هي في طريقها إلى الأفول أو لم يؤمنوا مع تقديرنا لمواهبهم الأدبية الخلاقة - و"كل حزب بما لديهم فرحون". فأقرأ من نقده المبني على الحقيقة ما يلي:

"ما يسمى اعتباراً بالعشر الحر ليس شعراً ولنا هو كلام مسطور يمكن وصف بعضه بأنه نثر بالمعنى لهذا اللفظ، لأن الشعر هو الكلام الموزون المقفى ليس إلا، ومن قال غير ذلك فإثماً هو يماري ويخرج عن الجادة الأدبية ويعلن جهله على رؤوس الأشهاد. هذا إذا لم يكن ممن يبغون تخريب ديوان العرب فيتلبسون بلبوس الحرية والتجديد في غير ما حق... فالشعر هو الكلام الذي نعرفه موزوناً مقفى إذا خلا الكلام من هذه الصفة لم يكن شعراً وإن جاء

١- جريدة (الأيام) - الأربعاء ٢٩ جمادي الثاني ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ .

بالمعاني الرائعة والتعبير البارعة" (١).

ومن قوله أيضاً تحت عنوان [الشعر الحر ليس شعراً]:

"... وشعرنا الحر، المتخلى عن الوزن والقافية أو عن أحدهما ليس شعراً لأنه تعرى عن مميزات الشعر وإطلاق اسم الشعر عليه يراد به تغطية ما في أكثره من غثاء وثخافت وتزيينه بما هو عاطل منه - إلى قوله: - إن الشعر صعب مرتقاه ولكنه بطبيعته يتألاً للعين فيودّ الوادون أن يقولوه فلا يبلغ أكثرهم من ذلك شيئاً فيقولون قولاً ليس بشعر يدعون أنه الشعر ليقال عنهم شعراء ... الخ" (٢).

وللأسدي مقال مطول عن حياة وشاعرية شاعر العرب المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي صاحب العبقريّة الوقادة في النظم والارتجال (٣) جاء فيه:

١ - جريدة (العرب) العدد ٤٠٧ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ .

٢ - مجلة - الإخاء - باللغتين - العربية والتركمانية - العدد العاشر - شباط ١٩٦٥ .

٣ - من آثار هذه الشاعر الخالد مجموعتان - الأولى طبعت في دمشق عام ١٩٤١ ، والثانية في القاهرة عام ١٩٤٨ . كذلك مجموعة "معلقات الكاظمي" طبعت عام ١٩٤٢ . وهي اليوم نادرة الوجود في الأسواق ، وللصديق الأديب النجفي الأستاذ عبد الرحيم محمد علي فضل كبير في إحياء ذكر هذا الشاعر الموهوب إذ بحث وتحرّى وجمع كل ما قاله الأدباء والشعراء والكتاب العرب عن "الكاظمي" وشخصيته الأدبية الفذة وطبع منها أربعة أجزاء وقد أهدى لمكتبي الخاصة منها متفضلاً ومشكوراً .

"... لماذا إذن تنكر على الكاظمي قدرته أو عبقريته في الارتجال؟ هل إنَّ ارتجال الشعر من مثل الكاظمي - أعسر من حل أعقد المسائل الحسابية - يقوم به فني لم يطر شاربه؟ ففقدرة الكاظمي كانت مزكاة ومحلاة ومحاطة بتمكنه من العربية وتمرسه بالشعر حفظاً وقرضاً واجتهاده الشخصي الصرف... الخ(١) .

خاتمة البحث

لننقل هنا رأى الأستاذ الخاقاني في مشكور الأسدي: "الأستاذ مشكور الأسدي أديب عراقي معروف وباحث محقق وكاتب رصين الأسلوب يرصد النكتة ويتحرى الأهداف التي تموج الذهن وتشحذه وهو اليوم يواصل دراسته في القاهرة بجامعة العلوم وفي الوقت نفسه تراه كسفير لكل عراقي وممثل صادق في دعوته للعراق في نفخر بسيرته ونعتز بشخصه.. الخ"(٢).

ولنجعل أديبنا الحاج مشكور الأسدي يختم هو هذه الدراسة بمشاعره، بوجدانه الملتهب، بقلبه المنفجر ألماً من قضية فلسطين الجريحة والقدس الشريف السليب والنكسة الكبرى التي جلبت الذل والعار والمسلمين في الخامس في حزيران ١٩٦٧، على أيدي الصهاينة المجرمين صنائع الاستعمار الغربي العدو اللدود للأمة العربية والإسلامية.

١- جريدة الأيام ٢٠ / ٥ / ١٩٦٢ .

٢ - مجلة البيان العدد (٣٣ - ٣٤) محرم ١٩٦٧ هـ - كانون أول ١٩٤٧ لصاحبها الأديب الباحثة الأستاذ علي الخاقاني صاحب المؤلفات والتراجم الأدبية القيمة.

" تحية للفدائي العربي البطل في فلسطين، لقد فتح صفحة جديدة في النضال من اجل الوطن المبتلى، من أجل إعادة البقعة المشرفة، من أجل مسح الذل عن الجبين، تحية للباذل نفسه ولا نامت أعين الجبناء، يحمل السلاح على كتفه وقلبه الصلد قد من جديد أقوى من السلاح الحديد، يهجم بهذا وذاك، لا يبالي إلا أن يصيب، فإذا به يصيب، ويصرع الأفعى، ويمرغ أنف العدو في التراب، وإن استشهد ووقع صريعاً على أرض ففي عليين وحسن أولئك شهيداً، صفحة جديدة فتحت في جبهة العدو تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم فيزداد هلع الأعادي يوماً بعد يوم وسيأتي الوقت الذي تزلزل الأرض تحت أقدامهم العرجاء" (١).

ونلفت نظر القارئ الكريم إلى الاستدراك التالي (٢):

(ومن البارزين اليوم من أسرة آل عواد الوجيه جاسم محمد الحاج جواد وللوجيه احمد عبد الجليل آل عواد ولهما منزلة اجتماعية مرموقة ومعرفة ودراية بأصول النظام العشائري والتحكيم في القضايا العشائرية ومن الذين يدعون إلى المناسبات الرسمية دائماً.

وكذلك منهم عباس بن حسين والأستاذ محمد علي حسين الحاج جواد

١ - جريدة الجمهورية ١٨ / ٢ / ١٩٦٨.

٢ - تثبت ما سقط سهواً من السطر العاشر من - ص ٢٣٧ - ما يلي: " ولبيت الأسدي أيضا مصاهرات وصلات مع بيت الخطيب بيت المرحوم آية الله للشيخ محمد الخطيب".

وكذلك تربط السطور التالية بموضوع إمرة آل عواد في الهامش من الصفحتين ٢٣٧ - ٢٣٨ :

والأستاذ كاظم العواد وعباس بن عبد النبي العواد وعباس العهد النبي الحاج
محمد وكاظم بن خليل والحاج أحمد والحاج سلم الآنف الذكر الذي له رغبة
شديدة في تتبع الآثار والحوادث التاريخية وتدوينها.

حسين فهمي الخزرجي



تطلعت الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء
إلى روادها الطلائع، الذين برزوا بمواهبهم
الخلاقة على مسرح الحياة الأدبية في كربلاء . .

وأبدوا من معالم نبوغهم الفكري ما كان يجتذب القلوب ويشير
الإعجاب.

كان الأديب الأستاذ حسين فهمي الخزرجي من أولئك الرواد الذين كان
لنشاطهم الأدبي صدى عميق في أرجاء القطر العراقي، والحقيقة أنهم لم يكونوا
رواد هذه الحركة فحسب، بل كانوا أصحاب نهضة أدبية بانطلاقتهم في رحاب
الأدب، وتخليقهم في أجوائه العريضة، وآفاقه الواسعة.

وكان قوام هذه الحركة أو النهضة الأدبية جماعة من الشباب الناهض
الذين توسموا في الأدب بلوغ الكمال وهو الهدف الأسمى، كما توسّم الأدب
فيهم كذلك حب الخير، ونكران الذات، وخدمة الجيل . والطموح بالترقي في
الحياة.

منهم: الدكتور صالح جواد آل طعمة^(١) وعبد الباقي رضا والدكتور محمد جواد "دعبل" ونزار الحلبي والأستاذ الخزرجي وغيرهم من شباب الأدب في كربلاء الذين كنت أتطلع إلى نشاطاتهم الأدبية عن كتب. قيل منتصف هذا القرن الميلادي واقف على آثار حركتهم الأدبية: وأتلفذ بثمرات أفكارهم التي كانت تصدر من معين لا ينضب، وتنشرها أمهات الصحف والمجلات العراقية العربية.

لقد فتح هؤلاء النخبة من أدبائنا الكربلائين صفحات بيضاء في تاريخ الأدب المعاصر في كربلاء في الفترة القريبة التي أشرنا إليها.

وقد اتصلت معرفتي بالأستاذ الخزرجي منذ الصغر، وعرفته كاتباً وأديباً وشاعراً أيام كان ملازماً لصديقه الحميم أديبنا الكبير المغترب الدكتور السيد صالح جواد آل طعمة وزملائه الآخرين في مضمار ذلك النشاط الأدبي الخالد: ثم توثقت علاقاتنا الودية بمرور الزمن وكان الأدب هو الرابط الرئيسي بيننا أولاً وأخيراً.

مولده . بيته . ثقافته

ولد في مدينة الضّاد، وبلد القداسة والمثل العليا، - كربلاء المقدسة - في سماء الأربعاء الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠/٤/٢١ ورباه

١ - للدكتور صالح جواد شقيق وهو الأستاذ السيد عدنان أو عبد الرسول كما هو اسمه الحقيقي وهـ - وشاب مثقف حسن الأخلاق ومازال يدرس في جامعة بغداد .

والده^(١) تربية سليمة كما ينبغي أن يربي الآباء الصالحون أبناءهم، وعلمه مبادئ القراءة والكتابة والحساب قبل أن يبلغ السن القانونية لدخول المدرسة وما أن أكمل السادسة من عمره حتى كان يقرأ بعض السور القرآنية لذلك كان من الطلاب المبرزين في حياته المدرسية ، وان دل ذلك على شيء فإنما يدل على ذكائه المفرط.

ويقول هر في ترجمته الخطبة في سياق هذه المعلومات من نشأته وتعلمه مبادئ العلوم الأولية على والده أن لوالده الفضل الأكبر في توجيه حياته العلمية والأدبية بوضع مكتبته الخاصة تحت تصرفه عندما دخل المرحلة الإعدادية وتشجيعه إياه على الكتابة والنشر والتأليف، وصقل عقله يوم كان - طفلاً صغيراً - وتنويرها بكل ما يمت إلى الإسلام الحنيف من خلق فاضل وعادات وتقاليد والماء رغبته في تحصيل العلم والأدب، وهو يعتبر رعاية والده له المدرسة الأولى التي بسطت عليه ظلالها، ونمت فيه الإمكانيات والقابليات لمواجهة الحياة في شتى نواحيها.

وهكذا يجب أن يكون الإباء مثالا سامياً للمربين الأكفاء ليتخرج عليهم أبناءهم كما يتخرجون على - معلمهم وأساتذتهم - في مراحل الدراسات المدرسية ، فان كان الآباء والأمهات يشعرون على حدٍ سواء بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم في تربية أبنائهم وتوجيههم نحو الخير والفضيلة فإنهم بدون

١- وهو شاعر شعبي وردت ترجمته في كتاب - شعراء كربلاء الشعبيون - للأستاذ جاسم

خدمة كبرى للحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان، ويخففون عن كاهل المعلمين المربين مشاركة معنوية وفعلية معهم في حمل الرسالة التربوية والعمل على أدائها بما تستحق من واجب وحسن تقدير.

إذ ليست المسؤولية بعاتق المعلمين وحدهم في النواحي التربوية وحسب، وإنما للآباء والأمهات (الأولياء) منها قسط كبير، وإن التعاون فيما بينهم في هذا المضمار لا يخرج من كونه تعاوناً إنسانياً ينتج ويثمر، وكثيرون أولئك الآباء الغياري الذين يولون هذه الناحية أهمية كبيرة وينظرون إليها نظرة فيها كل معاني الإكبار والتقديس.

مجالس الآباء المعلمين

ولعلي لأخرج عن صلب الموضوع فإنَّ خواطر الفكر يجرب بعضها بعضاً، والشيء بالشيء يذكر:

إنَّ مجالس الآباء والمعلمين التي تأسست في العراق منذ سنوات قليلة لا شك إنها تحمل طابعاً إنسانياً في نطاق هدفها النبيل، ونسعى إلى تحقيق غايات مثلى تبرز بوضوح في حرصها الشديد على شدِّ أزر الآباء والمعلمين وتضافر جهودهم وتضامنهم في العمل المشترك عن طريق الإنصار المباشر وغير المباشر مع بعضهم لتوجيه الطلاب توجيهاً تربوياً سليماً سواء في البيت أو المدرسة لئلا يكون للمحيط الخارجي الفاسد أيُّ تأثير عليهم مما يؤدِّي ذلك إلى فشل تلك المساعي وذهابها أدراج الرياح، إذ لا شك أنَّ المحيط الخارجي هو المعول الذي يحاول دائماً أن يهدم البناء الذي يقوم على جهود المدرسة أولاً والبيت ثانياً.

ثم العمل على تذليل المصاعب التي تواجهها المدرسة والبيت على حد سواء مما يحدث الطلاب من مشاكل في حياتهم الدراسة والحياة ومشاكل وأتعب ! وإذا ما تم التعاون الايجابي الفعّال بين البيت والمدرسة لإيجاد حياة هادئة وادعة للنشء وخلق جو ملائم له وتهيأة كل ما يحتاج إليه من وسائل التربية والدراسة والتقويم الذاتي في عقل وحكمة وسياسة ومرونة . . فان ذلك هو السبيل الوحيد لخلق جيل صالح واع عميق الإحساس والشعور بواجباته ومسؤولياته في مواجهة الحياة، ولا تقوتنا إلى الإشارة إلى أن كل فرد من أفراد هذا الجيل الصالح بالذات سوف يشعر بإنسانيته بين مجتمعه كعضو نافع فيه، أو كمواطن صالح مطبوع على الخير وسلامة القلب ورجاحة العقل ، وصفاء الفكر ، والحب الشديد لدينه ووطنه وأمتّه وتراثه وذلك بما يقدم له الآباء والمعلمون من خدمات تربوية نافعة تعمل على رفع مستواه الفكري والثقافي وإسعاده في الحياة بوسائل التشجيع والتشويق.

ومن فوائد مجلس الآباء والمعلمين أيضاً . . إن الطالب (مازال طالباً) يلتزم بالنظام وطاعة الوالدين والمعلمين ويتجنب الإهمال والتقاعس والمشاكسة ويحترم زملاءه مادام يسيطر عليه الشعور بالمسؤولية والخوف من البيت أو المدرسة نعلمه بأنهما يراقبان حركاته وسلوكه من قريب أو بعيد ، ولكن للأسف الشديد أن مجلس الآباء والمعلمين الذي حظي باهتمام الأولياء والمسؤولين ونشاطهم ورعايتهم بإقامة الحفلات المدرسية بمناسبته في سنواته الأولى قد لقي أخيراً من الإهمال ما جعله مجرد اسم يذكر وحسب.

أسرة المترجم

تنحدر أسرة الأستاذ الخزرجي من قبيلة عربية عريقة لها مكانتها في التاريخ وهي قبيلة (الخرج) ومنذ أكثر من قرنين نزحت إلى كربلاء وسكنت في محلة (باب الطاق) وعند والده وثيقة قديمة^(١) تشير إلى ذلك مؤرخة في سنة ١١٦٧ هـ وهو ابن علي غالب بن حسون بن ناصر بن حسين بن علي بن عبد الله بن قاسم بن محمد بن مالك بن باقر بن عابدين الخزرجي، وله شقيق يعمل موظفاً في مديرية التربية بكربلاء وهو الأستاذ أياد نظمي الخزرجي.

ثقافته ونشاطه الأدبي

دخل المدرسة الابتدائية في السادسة من عمره واجتازها إلى المتوسطة وأنهى الدراسة الإعدادية في فرعها الأدبي عام ١٩٤٤ وفي هذه الفترة انتقل بحكم وظيفة والده إلى النجف الأشرف ووجد هناك منطلقاً لأفكاره الأدبية إذ نشأ في جو ثقافي وصحفي ، وقد أدى اشتغاله في الصحافة إلى إحرازه التقدم الكبير في هذا الميدان حيث اختير محرراً في مجلة - الغري - ورئيساً لتحرير مجلة العدل الإسلامي .

والصحافة عمل شاق مرهق، إلا أن فيه لذة لا يتذوق طعمها إلا أصحاب الخبرات والتجارب الأدبية في العمل الصحفي الذين يجدون في مشاق

١ - البيوتات الأدبية في كربلاء - ص ٢٠٩ للأستاذ موسى إبراهيم الكرباسي .

عملهم راحة لضمائرهم خاصة إذا كانوا يهدفون إلى التوجيه المعنوي لرفع مستوى الأدب والعلم والأخلاق في محيطهم ومجتمعهم، وهكذا يجب أن تكون الصحافة الحرة في كل عصر وجيل.

وفي عام ١٩٤٨ أصدر كتابه القيم بعنوان [الشيوعية عدوة العرب والإسلام] ثم أعقبه بكتاب [الاشتراكية الإسلامية] وعين معلماً ابتدائياً عام ١٩٤٩ ولكنه كان شديد الطموح في إتمام دراسته فدخل الدورة التربوية ونخرج منها عام ١٩٥٩ وعين ملاحظاً للتعليم الابتدائي، وهو اليوم رئيس ملاحظي الإدارة للتعليم الثانوي في مديرية التربية بـكربلاء.

والأستاذ الخزرجي من الذين ينطبق عليهم القول المأثور لإمام البلاغة علي بن أبي طالب - عليه السلام - القائل: [منهومان لا يشعبان طالب علم وطالب مال] فلرغبته الشديدة في الحصول على شهادة عليمة عالية دخل كلية الحقوق ببغداد وتخرج منها عام ٦٦ - ١٩٦٧ ولكنه باق على وظيفته المذكورة ولم يزاوِل المحاماة ويدرس الآن - الماجستير - في جامعة القاهرة وله اتصالات وثيقة بمعظم أدباء وكتاب البلاد العربية، وهو أثناء عمله الإداري ينتهز الفرص فيكتب خواطره الفكرية، وقد ألف حتى الآن سبعة كتب في مواضيع مختلفة أدبية واجتماعية وقومية وغيرها لا تزال مخطوطة، وقد انتمى بالعضوية إلى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين منذ عام ١٩٦٥ .

مستواه وأسلوبه

الأستاذ حسين فهمي الخزرجي أديب وشاعر رقيق كانت ممارسته الأدبية

الطويلة التي نشأ فيها في كربلاء والنجف ذات أثر كبير في رفع مستواه الفكري الذي تبدو معاملة في أسلوبه الرصين وهو الأسلوب الحي، للأدب الحي وهو كاتب ناضج يصيب الهدف في كتاباته، وشاعر يبلغ غايته في نظمته، بصفاء قريحته خاصة في الغزل.

نماذج من نشره

اخترت هذه القطعة لما فيها من حقائق لا تخفى على أذهان الذين يخضعون لسلطان العقل، الذي يميز بين الخير والشر، وبين الحرية والعبودية، وبين الإيمان والإلحاد، وبين النور والظلام، وصاحب العقل الراجح السليم هو الذي يمشي مع النور - نور العقل - ليكون في سلامة وأمان من مخاطر الزمان، ووعورة المتاهات، ومهاوي الظلمات.

يقول الخزرجي في كتابه - الشيوعية عدوة العرب والإسلام " قبل أن نتكلم عن أخطار النظرية الشيوعية في العالمي العربي والإسلامي يجدر بنا أن نذكر سبب دخولها فيهما ولماذا تمسك بعض الشباب بأذيالها لكي يظهر أن العربي لا يمكن أن يكون شيوعياً إلا إذا تنازل عن شيء نفيس ألا وهو - عرويته - ولكي نبين أن المسلم لا يمكن أن يكون شيوعياً إلا إذا تخلّى عن شيء مقدس ثمين وهو رسالته^(١).

ونصغي بعد ذلك إليه وهو يحدثنا عن نهضة الحسين عليه السلام تحت

١ - الشيوعية عدوة العرب والإسلام - ص / ١٨ للمترجم .

عنوان: [يوم الحسين الخالد] :

(تكرر السنون تلو السنين، وتمر الأجيال بعد الأجيال، ويوم الحسين عليه السلام خالد كأنه حدث الأمس، لا تمحو ذكراه الدهور مهما تعاظمت، هو يوم له في قلب كل مؤمن عبرة تمتزج معها العبر والعظات .

يوم الحسين عليه السلام فيصّل قاطع بين الحق والباطل، يوم الحسين عليه السلام مآثرة من مآثر التاريخ، ويوم الحسين عليه السلام صرخة في وجه الظلم، إنّها صولة ناجحة لهدم صرح الطغاة ؛ هو نصرة للدين ووثبة موفقة لدحر الباطل وهو عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين.

هذا هو يوم الحسين عليه السلام خالد أبد الأبدين يتجدد كل عام فيذكى في النفوس الأحزان والآلام كما يذكى فيها الصبر والعظات في ذات الوقت، الأحزان والآلام لهول المصيبة وعظمتها على الإمام أبي عبد الله عليه السلام وآل بيته الطاهرين، والصبر والعظات الغاية التي لاقى من أجل الإمام عليه السلام هذه المصائب.

مَن مَنّا يتذكر الفاجعة فلا تفيض عيناه بالدموع حزناً على الحسين وآله عليهم السلام في الموقعة الكبرى؟ ومن مَنّا يتذكر الفاجعة فلا تتكسر فيه العبرات على الأطفال وهم يستغيثون عطشاً؟

موقف - وأيم الحق - يمزق الأكباد ويقطع الأحشاء، وقفه الحسين عليهم السلام بقلب جلد، ونفس مطمئنة راضية لمصيرها المحتوم لأنّ له غاية يريد أن يبلغها، وهي إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإن ذهب هو ضحية ذلك.

ضحى الحسين عليه السلام بنفسه وعياله ليعطينا - نحن العرب والمسلمين - دروساً في التضحية في سبيل المبدأ، كان له مبدأ في الحياة يجب إظهاره فهانت عليه التضحية ولكنها كانت غالية وكانت فاجعة . . . الخ" (١). ويقول في كتابه المخطوط (ما قل ودل) تحت عنوان - ثقتنا بأنفسنا عماد نجاحنا - :

" ما من شخص يشك في قدرته على انجاز عمل اضطلع به بمسطيع أن يوجه نشاطه توجيهاً حسناً مثمراً . ذلك لأنَّ العقل الباطني والحالة النفسية هما اللذان يقرران مصير كل عمل يتولاه الإنسان والثقة بالنفس إحدى إحياءات العقل الباطني التي تعلمنا كيف ننظر إلى الأشياء نظرة متفائلة مليئة بالاطمئنان، فالثقة بالنفس عماد النجاح في الحياة.. الخ" (٢).

وكتب دراسة أدبية عن صديقه الأديب الكبير الدكتور صالح جواد جاء فيها:

" وصالح جواد آل طعمة بعد ذل صلب العقيدة لا تهره الزعازع يتصف بجرأته وشجاعته، كما يتميز برزاقته وصرامته في نفس الوقت لكنه إن خالفته في شيء لا يرتضيه وأنت لم تكن على حق - فإن ينقلب إلى ثورة لاهبة وبركان يتدفق نيراناً، خارقاً حدود الصداقة يتسم كذلك بأخلاق عالية جداً

١ - جريدة المجتمع الكربلائية - العدد ٢ الخميس ١٩٦٣.

٢ - ما قل ودل، للمترجم - مخطوط ..

وشمائل قل أن توجد عند أكثر شبابنا اليوم، لا يرتاد المجال العامة إلا قليلاً، فإذا ذهب فقره - المكبة - فقط. سلوته الوحيد قلمه فقد اتخذ حبيبا يئته آلامه وآماله ولواعج نفسه، وكتبه أعز أصدقائه لديه.

وفوق ذلك فهو عربي صميم من (آل طعمة) إحدى البيوتات الشريفة في كربلاء ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام رقيق النفس طيبها، متوثب الروح، مشبوب العاطفة، نير الفكر، حالم النظر، يتطلع إلى العلى منذ أن كان طرى الجناح، وهو إلى جانب هذا متحدث يسحرك حديثه لرشاقة العبارة التي يقذفها، وأناقة اللفظة التي يرسلها... (١)

ويقول الخزرجي تحت عنوان - أصل العرب وموطنهم: -

(العرب هم الأقوام التي تنطق باللغة العربية وهي إحدى اللغات الشرقية السامية القديمة ويقال (العرب العاربة والعرب العاربة) وهم ليسوا عجماء، ورجل عربي أي ثابت النسب في العرب، وقال صاحب _ اللسان_: (والعرب هذا الجيل لا واحد له في لفظه سواء أقام بالبادية أو بالمدن والنسبة إليها أعراي وعربي) (٢).

وله هذه الأبيات الرائعة التي يفصح فيها نوايا الضالعين في ركاب الأعداء الألداء أصحاب النعرات العنصرية المقيتة ورواد البلشفية الهدامة

١ - أدب كربلاء الحديث، للمترجم - مخطوط -.

٢- نحو وجهة قومية، للمترجم - مخطوط -.

ومروجي المبادئ الأجنبية الوافدة على شرقنا الإسلامي والعربي من وراء الحدود ولا شك انك ستجد لذة ومتعة حين تقرأ قوله : _

سألتني وقد غواها أجير

من دعاة المبادئ الأجنبية

أهذا - الرفيق - قل لي لماذا

كنت صبا بمبدأ القومية ؟

ما ترى القوم في شقاق مقيت

كيف ترجوا الوفاق العنصرية ؟

قلت والقلب ملؤه حسرات :

من سموم الدعاوة - البلشفية -

إنما مجد موطني يا فتاتي

في بقاء القومية العربية

وله في الغزل هذه الرائعة التي يثبت فيها شكواه من آلام الهوى

بقوله : _

يا قلبي تناهيته الغزاة

وتمادت بفتكه الفائنات

فغدا موجعا ينوء بجرح

ليس طب يفيد أو أساة

كل يوم صريح حب جديد

تتعالى من حوله الذكريات

وصفوة القول: إن الأستاذ حسين فهمي الخزرجي من أدبائنا
الكربلايين المعاصرين الذين لهم قدم ثابت في ميدان الأدب، يستوحي أفكاره
من محيطه، ومن واقع الحياة التي تعيشها أمتنا، وهو إلى جانب موهبته الأدبية
يتصف بالأخلاق العالية والوطنية الصادقة.

علي الشيخ محمد الحائري



للأدب قيمة معنوية في الحياة، إذ هو ملكة
من الملكات الإنسانية الفاضلة التي توجه
الإنسان نحو الخير والكمال، وتَهْدِب فيه الجوانب
النفسية بالأخلاق الكريمة والسلوك المستقيم .

المستقيم والأخلاق والآداب كلمتان مترادفتان بينهما ترابط جوهري
وهما من أسمى الغايات التي ترفع من قيمة كل امرئ يسعى من أجل تحقيقها .
ولا ندري . . فلعل الأدب هو الخلق الفاضل، أو الخلق الفاضل هو
الأدب ! ولو أمعنا النظر ف يقول أمير الشعراء أحمد شوقي القائل : _
قوام نفسك للأخلاق مرجعه

فقوم النفس بالأخلاق تستقيم
نستدرك الحقيقة، ويتبين لنا إنَّ الأخلاق هي الإطار العام للآداب وإنَّ
الآداب لا تتم إلا بتكامل الأخلاق لأنها قوام النفس وبها يستقيم سلوك
الإنسان في الحياة على حد قول شوقي ، ويقارب هذا المعنى قول شاعر

الرافدين معروف الرصافي الذي يقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

وإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

ونرى في هذا القول تجسيدا لمعاني الأخلاق التي ترفع مستوى الأفراد والمجتمعات والأمم وتكون مقياسا لقيمها الرفيعة وأما إذا ذهب أخلاقها فإنها تصبح عديمة القيم المعنوية وكأنها عديمة الوجود، والرصافي أيضاً هذا القول الرائع الذي يقرن فيه الخلق بالأدب ويعتبرهما (سُلماً) يرتقي الإنسان بواسطته إلى المراتب العالية، فقيمة الأدب بالخلق وقيمة الخلق بالأدب:—

من عاش في الوسط الزاكي زكا

حتى علا في المعالي أرفع الرتب

فاحرص على أدب تحيا النفوس به

فإنما قيمة الإنسان بالأدب

والأدب كائن حي، يعالج الأمراض الروحية التي تعبت فساداً بمعنوية الإنسان وتجردّه من الأخلاق السامية أيما تجريد؛ حيث لا ينفعه إذ ذاك سوى الأدب فهو طبيبه الحاذق، وهو دوائه الناجع والأديب الموهوب هو المقصود في ذلك كما يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي:—

"الإنسان مخلوق مركّب من روح وجسد لاشكّ في ذلك، وإذا كانت الأبدان بحاجة إلى من يطبّها ويأسو جراحها فإنّ القلوب والأرواح أشدّ حاجة من ذلك، والأديب الموهوب هو طبيب الأرواح بشخص الداء ويصف

الدواء . . الخ" (١).

ويدور حديثنا الآن حول شاعرية شاعر ترعرع مع الأدب وشبّ مع الشعر ونشأ وهو كالبلبل الغريد يتغنى بجمال الطبيعة، بهالاتها المشرقة في رحاب الكون، بالأخلاق والآداب لأنها الفضائل والكمالات التي يسعد بها المجتمع وترقى بها الأمة إلى قمم المجد الإنساني .

هذا الشاعر هو الأستاذ علي الشيخ محمد الحائري .

ولد عام ١٩٣٣ في كربلاء بلد الأجداد والمواهب والطاقات الفكرية الهائلة، وكان والده المرحوم الشيخ محمد الحائري من رجال الدين الأفاضل ومن خطباء المنبر الحسيني .

يحمل المترجم شهادة الدراسة الثانوية - الفرع الأدبي - وشهادة الدورة التربوية وما زال منذ عام ١٩٥٥ يمارس التعليم الابتدائي.

تأثر بمحيطه الديني غاية التأثير؛ واغترف من مناهله العذبة وتعلمذ على بعض رجال الدين الأفاضل في كربلاء في النحو والأدب والشعر والعلوم الدينية، وتأثر بحافظ إبراهيم والرصافي والجواهري وبدوي الجبل. وكان أكثر تأثراً في الرثاء بالشعراء الأكابر أمثال: السيد بن الشريف الرضي والشريف المرتضى والمتنبي ومهيار الديلمي والسيد حيدر الحلبي. وهو يتابع قراءة الشعر الحر الحديث ولكنه لم يحاول النظم على شاكلته حتى الآن.

شعره

تفتحت ملكة الشاعر علي الحائري في ربيع عمره، كما تفتتح البراعم في الربيع وبدأ ينظم الشعر في وقت مبكر.

ويمتاز شعره بكل المزايا والفنون التي يتجلى بها الوجه الأصيل للشعر العربي. ويتخلل عناصر الإبداع من عاطفة ورهافة ووجدان ورقة شعور وجمال وخيال وقسوة السبك والأسلوب، وهو ينحو منحى الشعراء القدامى باقتفائه أثر المدرسة القديمة باختياره الألفاظ الغربية وزجّها في بناء قصائده العمودية.

وبين يدي ديوانه الضخم يضم من أغراض الشعر ألواناً شتى في الدين والسياسة والمدح والرثاء والاجتماع والغزل، يماشي بها روح العصر، وهو مع العرب في قضاياهم الراهنة يبعث صرخاته الوجدانية في وجه الاستعمار والمستعمرين دفاعاً عن حقوقهم في صراعهم الرهيب مع النفوذ الأجنبي الدخيل من أجل حريتهم وكرامتهم وسيادتهم، وهو بركان منفجر على الصهيونية العالمية قبل وبعد النكسة المذلة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، أمّا اليهود المجرمون فقد أجساد الكاتب الأديب الأستاذ السيد كاظم محمد النقيب عنهم بقوله:

"ولنا مع اليهود حاضر مليء بالعدوان علينا والتعصّب ضدّنا فلقد استعانوا بكل الوسائل الدنيئة وبالشیطان (الاستعمار) وأصبحوا مطية له من أجل تحطيمنا والقضاء علينا وسحق كرامتنا ولكن لم نعد نحن كما كنّا

بالأمس. لم نعد نملك القوة!! فلقد كثر عددنا وكثر سلاحنا وكثرت أقوالنا
وتصريحاتنا ولكننا فقدنا القوة... الخ(١).

نماذج من شعره

هذه مقتطفات من رثائه لأبي الشهداء وبطل الإسلام الخالد الإمام
الحسين بن علي عليه السلام :

حسين ويومك يوم الخلود

ويوم الشهادة والسودد

رمى الدهور بعقمٍ لذا

إلى الآن نـدُّك لم يولد

وذاك في العصر السابقات

رشاد إلى الزمن الأبعد

شهيد الفضيلة أنت الشهاب

لمن رام نهجك في مقصد

ومصرعك الفذ يوم الطفوف

أيُّها على الضيم لم ترقد

فديتك من أروع لم يـرع

١ - انظر: نحن اليهود - للأستاذ السيد كاظم محمد النقيب ص: ١٣ وهو كتاب قيم جدير

فأودى سلياً بقلب صدي
 ومن يزدري الموت جنب العقـ
 سيدة يثبت ومن هابه يكمد
 عصابة سوء أحاطت به
 من الظالمين من الجحد
 من النفر الساقطين الغواة
 من الراغبين إلى المسجد
 سليل النبوة من هاشم
 عظيم المآثر والمحتد
 وكيف قضى ظمأً وهو من
 سقى ظمأً المجد بالأكبد
 وكيف المذاكى عدت فوقه
 وداست على صدره واليد
 وكيف يولول آل الرسول
 بظلماء تخش طلوع الغد
 حواسر جُرْدَن من برقع
 نوادب يخشين من معتد

حسين نداؤك سِفْرُ العصور

ونبراس حقّ بدنيا الغد^(١)

وله قصيدة رائعة يستنهض فيها جيوش العرب لإبادة إسرائيل تحت عنوان: (لبيك يا فلسطين) ويباري بها قصيدة شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري التي مطلعها: —

ردّي يا خيول الله منهلك العذبا

ويا شرق عد الغرب فاقتحم الغربا

وهذا هو قول شاعرنا الحائري: —

أغيري خيول النصر والصارم الذربا

وهبّي كهول الزعزع الغمر إذ

ودكّي على العلج المغير حصوله

وسوميه ذل العيش ولا موت والجدبا

لقد آن أن تستأصل الشرّ أمّة

من الغرب ما كلّت سواعدهم

من القوم خواضي دماء عداّهم

يلتهم رحي الهيجا فكانوا لها قطبا

أغيري خيول النصر واقتحمي بها

١ - ديوان (الركب الضائع) للشاعر علي محمد الحائري مخطوط .

معاقل كم ضل الدخيل بهما
 وفلي حديد القيد عن خير معصم
 وردّيه حرّاً لا يذال ولا يسبي
 لقد كان ملء العين والقلب بأسنا
 ومنّا الذي لو صاح مستنجد لبي
 رضعنا لبان المجد من مرضع العلى
 سل العدل والتاريخ والشرق
 ذكرتك (أولى القبلتين) وجانحي
 يؤج بنار الثأر محتدماً جنباً
 وأمسى دويّ الصافنات يقودها
 لنصرتك الفاروق قد ملأ الرحبا
 و "حيفا ويافا" جنتان قطوفها
 دوان ولكن هالني قطفها غلبا
 أيرتع فيها الوحش جذلان آمناً
 وبدراً عنها الطير زجراً ولا نعبا ؟
 فلسطين يا مهد النبوات والهدى
 ويا منهلاً من شهد تاريخنا عذبا
 ويا جنة من صنعة الله صاغها

من السحر فازدادت بآياتنا عجبا
 سنسترجع الحق السليب وإن غلا
 فداء ففجر النصر منبلج غبا^(١)
 ومن غزله الذي يطرب القلب ويهيج النفس هذه الأبيات :
 أبقى من الصب المشوق ذمءا
 وتداركيه فقد قضى برحاء
 بأبي جفونك اذ يصبين مقاتلي
 بقلى ويبعثن القتيل رجاء
 الرائشات إلى الكبود سهامها
 والمضرمات بنارها الأحشاء
 والموحيات الشعر في إمضاء
 والمهمات بسحرها الشعراء
 حسناء يا أغرودة بفم الهوى
 غنى بها شوقاً صباح ومساء
 يا نغمة رقصت على فم واله
 فشدا بها فرحاً وضحج غناء^(٢)

١ - الركب الضائع.

٢ - الركب الضائع - ديوان شعره.

ثم اقرأ ترانيمه التي يعبر بها عن شعوره وأمنيته بقيام الوحدة بين العرب
وتوحيد دولتهم لإعادة كيانهم الأصيل وأجادهم التليدة وهذا قوله : _

للوحدة الكبرى لحون ترثمي

عادت بها بغداد ضاحكة الفم

سل أي فجر هل نشوان السنا

من بعد ليل بالخنا متجهم

يا خزيها حقبا مررن بسبة

وانحن كالشبح المروع المعتم

أيام لا للشمس لون أصيلها

يخلو ولا للنجم رفة مبسم

عبس الزمان بها فرزه فاقم

وبلية تعرو وخطب يرتمي

تحشى الكرى فيها نواظر أمتي

وخلا العرين من الهصور للضيغم

أكبرت يعرب أن تغض على القذى

أو أن ترود المجد غير معظم

حميد مجيد هدّو



في حدود عام ١٢٠٠ هـ أي ما يقارب القرنين،
نزحت من بغداد إلى كربلاء أسرة عربية عريقة الحسب
تنتسب إلى عشيرة (المعامرة) المعروفة المنتشرة في بغداد
والحلة والهندية والنجف.

وقد آثرت هذه الأسرة مجاورة قبر ريحانة الرسول الأعظم الإمام الحسين عليه السلام وهي التي تعرف بـ (آل هدّو)^(١) وهم من تجار الحبوب المعروفين في كربلاء التي هي مركز التقاء عام منذ مصرع الإمام الشهيد عليه السلام حتى اليوم وإلى الأبد بين مختلف الأجناس والأقوام الإسلامية التي آثرت السكنى في كنف هذه البقعة الطاهرة. وشأنها شأن كافة العتبات المقدسة في العراق التي تحتضن أشكالاً منهم ولكن كربلاء المقدسة يمكن القول بأنها أكثر

١ - هدّو: _ لفظة ثبتت من باب التمليح على الجد الأكبر لهذا البيت بعد تصغير اسمه من (هادي) إلى هويدي.

نصيباً من غيرها باحتضانه البيوتات العربية العريقة النازحة إليها في مختلف الأدوار التاريخية.

سكنت أسرة - هذو - في محلة (باب الطاق) المعروفة قديماً بمحلة - آل عيسى - نسبة إلى الأقوام العلويين الذين عرفت هذه المحلة باسمهم حيث كانوا يسكنونها في القرن الثامن الهجري، وقد انقرض نسلهم فيما بعد.

وسبب نزوح آل (هذو) من بغداد إلى كربلاء كما هو المعروف على اثر بعض الاضطرابات السياسية والأمراض التي انتشرت في أوساط بغداد منها مرض - الطاعون - الفتاك، وكانت لهم مزارع في منطقة الوشاش يعملون فيها ولكنهم تركوا مهنتهم تلك بحكم تلك الظروف التي ألجأهم على الهجرة والنزوح إلى كربلاء.

مولده ودراساته ونشاطه

ولد في كربلاء عام ١٩٤١ وهو ابن مجيد بن حمود بن محمود بن هادي (هذو) بن عبد الله.

أنهى مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية - فرع الأدبي - وتخرج من دار المعلمين الابتدائية في كربلاء عام ١٩٥٩م وعين معلماً ثم مديراً لمدرسة الأشبال الابتدائية، وفي هذه الفترة أخذت تراوده أفكار طامحة تزيد شوقاً واندفاعاً لمواصلة الدراسة الجامعية، فلم ير بداً من ذلك فدخل إلى جامعة بغداد وتخرج منها عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧م، وحاز على شهادة (البكالوريوس) في الآداب وعين مدرساً في متوسطة (أبي العلاء المعري) في

الكاظمية.

وتنفيذاً لرغبته الشديدة سجل في كلية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة ليحصل على شهادة (الماجستير) في الأدب والنحو وما زال في صدد تحضير رسالته الجامعية لهذا الغرض.

أما نشاطه الأدبي فهو موضوع حديث طويل، وبكلمة موجزة نقول إن الأستاذ حميد استطاع خلال فترة قصيرة من عهد شبابه هذا أن يخرج إلى حيز الوجود بعض الكتب من تأليفه وبعض الدواوين بتحقيقه، إضافة إلى المقالات التي نشرها في كثير من الصحف والمجلات العراقية والعربية الشهيرة مثل: البلاغ، الكتاب، المكتبة، الإخاء الإيرانية، الغري، الإخاء التركمانية، الأفق الجديدة الأردنية، الأديب اللبنانية، والجرائد مثل: البلد الجمهورية، الأبناء، المجتمع الكربلائية، كل شيء، الأيام، الفجر الجديد، الشعب وغيرها. ومن آثاره (إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان) أول كتاب أصدره عام ١٩٦٣م وهو دراسة شاملة حول شخصية الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال وحياته وأدبه وفلسفته الفكرية وآثاره ولقد عرض هذا الكتاب علي قبل تقديمه للطبع فراجعته من ألفه إلى يائه (وكان باكورة تأليفه) فرأيته أثراً أدبياً يحق لـ (إقبال) أن يكون مدار بحثه ومحور حديثه.

وأما تحقيقه لديواني الشاعر الكبير العلامة الشيخ عبد الحسين الحويزي الخالد، فهو كذلك تخليد لذكرى هذا الشاعر الكربلائي الموهوب، وكانت دواوين الحويزي في طريقها إلى الاندثار لولا الجهود التي بذلها الأديب حميد

هدوّ للبحث عنها والحصول عليها.

والواقع أن الشيخ الحويزي قلما نجد بل قلما ترى الأجيال المتعاقبة مثيله في العبقرية الفكرية الزخارة فلقد كان نسيج وحده في قوة شاعريته، وينبوع أدبه.

ولقد كتبت وأسهبته في الحديث عنه في عدة مقالات تقديرًا لمواهبه وإكباراً لشخصيته الأدبية اللمعة ووفاءً لحقه علي^(١).

وللأستاذ حميد أيضاً تحقيق عن مخطوطات مكتبة سماحة العلامة المجاهد السيد عباس الكاشاني بعنوان - مخطوطات مكتبة العلامة السيد عباس الكاشاني - وهذا الكتاب يعكس في محتواه صورة حية للتراث العلمي والأدبي والفكري القابع في الظلام في مكتبة الكاشاني التي هي اليوم في طليعة المكتبات الخاصة وأضخمها في كربلاء إن لم نقل في العراق ذلك لأنها تحتوي على ٥٠٠٠ آلاف كتاب أو تزيد وفيها من نواذر المخطوطات ونفائس المطبوعات ما لم تجد لنظائرها في غيرها من المكتبات.

أسلوبه

الأستاذ حميد هدوّ أديب في مستواه الفكري الذي هو حصيلة دراساته ومطالعاته واختلاطه بالأدباء والشعراء وعضويته في جمعية المؤلفين والكتاب

١ - نشرت في مجلة الإيمان، الأقلام، البلاغ التي تصدرها الجمعية الإسلامية للخدمات الثقافية في الكاظمية برئاسة سماحة العلامة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

العراقيين وتبعه قضايا النشر والتأليف، وأسلوبه في الكتابة جيد ومتمين، وهو كذلك شاعر ولكن نثره أكثر قوة من شعره الذي لا يستوي مع نثره في القوة والجودة.

نماذج من نثره

نقتطف من (تصديره) لديوان المرحوم الشيخ عبد الحسين الحويزي -
الجزء الأول - ما يلي :

"عالج الحويزي القضايا الاجتماعية فتعرض في شعره إلى إصلاح المجتمع وذلك ببث الوعي والقضاء على الجهل والتخلف والفقر والمرض للثالث الاجتماعي المريب وكثيراً ما دافع عن الفقراء وطالب المسؤولين بإصلاح حالهم ودراسة أوضاعهم المزرية وتبني الدعوة للأخلاق والفضائل ومنافحته عن كل ما هو خير في المجتمع ومحاربة الرذيلة فلا غرو إذا وجدناه يقف إلى جانب الجهة التي تدو إلى محاربة التبرج والالتزام بالحاجب الشرعي للمرأة.. الخ" (١).

وللأستاذ حميد مقدمات لبعض الكتب الأدبية، نأخذ شيئاً من مقدمته للجزء التاسع من دواوين الشاعر الشعبي الكبير الشيخ كاظم المنظور الكربلائي قوله :

".. ولكن لكل شاعر هوى في نفسه وميلا خاصا يحتل الجزء الكبير من

تفكيره فيعكس تلك الأصداء ويصحبها في قال شعري وشاعرنا المنظور اشتهر برثاء أهل البيت عليه السلام واطهر تفوقاً ونبوغاً في الرثاء بسبب استعداده الفطري للتعبير عن الحزن الذي كان يفطر في مكامن فؤاده، وكان تأثير واقعة الطف على نفسه بليغاً مما جعل الشاعر يوقف شعره عليها تقريباً فأجاد وأبدع حتى أصبح في هذا المجال أناشيد ترددها المواكب الحسينية ومادة طيبة لمجالس العزاء.

فهو عندما يتحدث في شعره عن يوم عاشوراء يعكس المشاهد الحزينة والصور الدامية لتلك الواقعة الحاسمة في تاريخ الإسلام عامة والشيعة خاصة، ويعرض أحداث المعركة ووقائعها ونتائجها بأسلوب عامي حزين يبكي الحجر الأصم، وهو عندما خص معظم قصائده في الرثاء لآل البيت الأطهار عليهم السلام ليس معنى ذلك أن مراثيه الأخرى ليست بمكان بل إنه أحسن إحساناً في مراثيه لبعض العلماء الأعلام والزعماء الأفذاذ.. الخ" (١).

ومن شعره نورد الأبيات التالية ففيها ترجمة الشعور التائه في مهمهمات الحب والوجد حيث يقول: —

حادي العيس لا تعجل سراها

لا تدعني متيماً في هواها

فلقد أقسم الفؤاد يمينا

بالسّموات والذي قد بناها
 إنه مغرم بحبّ سعاد
 وسناء وجهها ونور ذكائها
 لم ولن أسطيع بعد سعاد
 لا وطه إن أصيرنّ لا وطه
 فهي القلب والسراج ومنها
 أشرقت فرقداً لنا وجنتها
 وهو بعد ذلك يصف شجاعة العرب وقوة بأسهم وأيام صولتهم
 بقوله :—

أسد الغاب ما يجور قهورا
 عزة الكون وما أرخوا عنانا
 وردوا فارتشفوا العِزَّ كما
 ضربوا في حومة المجد جراننا
 يوم ضاعت كل آفاق الثرى
 بهم كانت ذرى العليا مكانا

وله بعض التحقيقات لبعض الدواوين، ويأملان يدفعها إلى الطبع
 مثل : ديوان السيد الرضوي وديوان الحويزي ج/٣ وديوان - البيغاء -
 بالاشتراك مع الأديب الأستاذ صبيح رديف أمين مكتبة المجمع العلمي

العراقي، وديوان محمد جواد البغدادي إضافة إلى بعض آثاره المخطوطة مثل: تاريخ كربلاء المطول وغيره.

وأخيراً: نرجو ألا تؤثر حياته الزوجية (المباركة) على نشاطه الفكري بل نريد منه أن يتغلب هو عليها بالمزيد من الإنتاج الأدبي خاصة وإن الأديب حميد هدوء من الذين نشاطهم مثار الغبطة بين أقرانهم.

عبد الجبار عبد الحسين خضر



نشأ وفي نفسه ولع شديد بدراسة الأدب. وبدأ
في عنفوان شبابه ينظم لشعر ويحرر المقالات حتى بلغت
موهبتة أشدها، كما أصبح نتاجه - شعراً أم نثراً - من
القوة بمكان.

ولقد عرفته كاتباً يستطيع أن يصور خواطره وأحاسيسه ببراعة وشاعراً
تتجاوب له القريحة فينظم في الشعر العمودي المقفى، وفي الشعر الحر أيضاً،
ويجيد النظم في كليهما.

والأستاذ جبار كذلك من هواة القصة قراءة وكتابة، وناقد بارع نشد
الهدف السليم في نقده، والهدف السليم هو العنصر الأساسي في بناء النقد
الموضوعي النزيه. ولعل النقد م اختصاصه إن جاز لنا عنه بـ(الاختصاص).
ويمتاز أسلوبه بوضوح الفكرة والقوة ووحدة الموضوع والتركيز على الأشياء
التي يلتقطها ويطرحها على بساط النقد للمناقشة بأسلوبه الهادئ المذهب
وهكذا يجب أن يكون أسلوب الأديب.

وما أكثر مقالاته في نقد مجموعة من الكتب الأدبية والتاريخية وبعض الدواوين لبعض الشعراء الكربلايين وغيرهم الذين لم يسلموا من مداعباته ومصارحاته في معرض نقده لهم حتى أنا بالذات.

إنّ هذا الموضوع ليس دراسة أدبه أو ترجمة، وإنّما هو تعريف كما اسميه فحسب، لأنّ هذا الكتاب الآن يتعجل الخروج إلى التّور ولم يكن بالإمكان التوسع في البحث، سيّما وإنّه من موضوعات الجزء الثاني كما كان مقرّراً.

ونختار من شعر الشاعر عبد الجبار - وهو كثير - هذه المقطوعة التي قالها في رثاء أبي الشهداء الإمام علي عليه السلام عن قلب متفجّع بواقعة الطف مأساتها الكبرى: -

ذكرى الطف

خوטר جامحات في بياني

يصوغ لهيها عطر الجنان

تدهدها القوافي شامخات

ويعبق في جوانبها حناني

أبا الشهداء هبني حسن قول

واحلل عقدة عقلت لساني

لسمو فوق ما يسمو قريضي

خريدة مؤمن ثبت الجنان

سيبقى الطف والأيام تفنى

يردد ذكراه قاص ودان
 سيبقى الطف عنواناً كبيراً
 لكل مناضل حر اللسان
 أبا الشهداء حسب الطف يوماً
 سيبقى خالداً مر الزمان
 وقفت بكر بلا فرداً وكانوا
 يعدون الأسنة للطعان
 تصول خيولهم في كل شعب
 يطير لنقعها قلب الجبان
 عرضت قراعمهم رأياً برأي
 ففروا من مقارعة البيان
 يميت نفوسهم فقد بعيد
 توارثه فلان عن فلان
 فكنت الحق يحق كل شيء
 وكنت الشمس تسطع كل آن

وله في رثاء المرحوم عبد المنعم الجابري قطعات لاهبة من العاطفة في
 قلب كئيب، وكان الجابري المتوفى سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م متمسكاً بدينه
 معتدلاً في سيرته شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام أديباً وشاعراً، توفي

في عنفوان شبابه وكان صديقاً في وقد تأثرت بوفاته غاية التأثر ورثيته بقصيدة مطلعها:

نَظَمْتُ رِثَائِي بِالْأَدْمَعِ لِحُزْنٍ تَأْجَجَ فِي أَضْلَعِي

"نشرت في مجلة العدل النجفية"

وعبد المنعم هو شقيق صديقنا الأستاذ الفاضل المتدين كاظم عبود الجابري، والأستاذ عبد الجبار يرثيه بقوله: —

ما لوعة القلب تخفيها فتحتمل

إن كان حزنك مشبوب اللظى

ولا التعلل بالذكرى يهدهدا

إن كان ليلك مهزوز الرؤى شمل

ولا التعلق بالدنيا وزخرفها

إن كان فقدك فيما تدعى رجل

يا (منعما) ولساني عاجز أبداً

أكبرت فقدك إذا أودت بك العلل

أكبرت فقدك حتى كدت أجحده

الله أكبر لولا أنه أجل

وله تحت عنوان: (من الواقع الأدبي في كربلاء) مقال فيه مداعبات أدبية كثيرة لعدد من أدباء وشعراء كربلاء، ولكن نستطيع في الوقت نفسه أن

نعتبره - نقداً أدبياً - للنقاط التي عاجلها بفكره وقلمه وهو مقال مفصل جداً نأخذ منه هذه المقتطفات.

"..... أمّا إذا تجاوزنا هؤلاء فإننا سنواجه وبكل وضوح وجوهاً مشرقة تعطي أكثر مما تطالب وتنتج أكثر مما تدعى وتعلن ومن هؤلاء من يأخذ منه العمل الأدبي جل وقته وفراغه.

فالأستاذ موسى الكرباسي فهو بالإضافة إلى عمله في التدريس نجده لا يترك فرصة تمر دون أن يكون على صلة دائمة بالإنتاج وهو إضافة إلى كل ذلك لا ينقطع عن أكثر الحلقات الأدبية التي تنعقد في الكثير من المجالات ومنها مطبعة أهل البيت، وكتابه (البيوتات الأدبية) الذي سيصدر عن قريب حديث الساعة ومثله تماماً الأستاذ السيد صادق آل طعمة، فهو وإن لم يتمكن لحد الآن من إبراز فكرته وجمعيته الأدبية للوجود إلا أنه على اتصال دائم بالأدب والأوساط الأدبية، حركة دعوية يشهد له بها الجميع وتفاعل كبير مع كل الأحداث، ولكن الشيء الوحيد الذي أسجله على الأستاذ صادق آل طعمة هو هذه الحساسية المتناهية التي تميز كل علاقاته وتصرفاته مع الآخرين، وهي حساسية من النوع الذي يجب أن يكون عليها جميع المفكرين ولكن ليس لهذا الحد وهذه الدرجة وما عدا ذلك فإن لأدب الأستاذ آل طعمة وزناً خاصاً لا يستطيع تقييمه إلا أولئك الذين رزقوا رهاقة الحس ونقاوة الذوق، ولا أدري لماذا بقي كتابه (الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء) رهن الآلات في المطبعة.

بقي علينا أن نترصد الباقيين فمحمد علي الخفاجي لا تكاد تظفر له بشيء اللهم إلا قصيدة أو اثنتين وفي مجالات منزوية قد تلعب الصدفة أدواراً في الملاعك عليها، والمقربين من الأستاذ الخفاجي يعرفون جيداً السبب وكذلك الأخ جاسم الكلگاوي، ولكنه لا ينقطع مطلقاً عن البحث والتنقيب في بطون الكتب، وكتابه (العرب في الكتاب والسنة والتاريخ) أوشك جزؤه الأول على الصدور.

(....) وإذا ما تجاوزنا ذلك فإنَّ أوَّل من يطالعنا عبد الرضا الصخني وهو يحاول إثبات قدرته على تخطي كل الحواجز والقيود حيث يثب بين صفحات الصحف والمجلات بعضاً من إضماماته العقبة الشابة الفياضة التي تعكس بعضاً من توثب روحه ونزوعها نحو الكمال والاستكمال.

وعلى العموم فالأدب في كربلاء بين وإذا ما أردنا الحكم على الأدب من خلال صدور الآثار الأدبية فإنَّ النشاط بعض سمات الحركة الأدبية في كربلاء، لأنَّ صدور ثلاثة مجاميع شعرية خلال ثلاثة أشهر لثلاثة من شعراء المدينة يعطي أكبر وأقوى الدليل على سلامة وصحة هذا النشاط (فشهرزاد في خيام اللاجئین) لکاتب هذه السطور (وعبیر وزیتون) للشاعر عدنان غازي الغزالي (ومرافئ الظلال) لباسم يوسف الحمداني، خير دليل على هذا النشاط^١.

وبعد ذلك نعود إلى القول فإنَّ الأستاذ عبد الجبار كان محرراً في جريدة (فتى العرب) الموصلية، وهو اليوم عضو في لجنة تحرير مجلة "الرائد" لنقابة المعلمين - فرع كربلاء - ويعمل معه في هذا الحقل الأستاذان أسعد توفيق والشاعر عدنان الغزالي.

خاتمة المطاف

عزيزي القارئ: أتمثل إليك قبل كل شيء بقول للشاعر القائل: -
 عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَسْعَى بِمِقْدَارِ جَهْدِهِ
 وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَفَّقًا

وما أصدق هذا القول، فانه ينطبق على بما له من دلالة واضحة فانا قد سعت بمقدار جهدي في تأليف وإخراج هذا الكتاب المتواضع وأما الموفقية - التي هي الغاية المتوخاة - فلست أدري هل أنا لها أم هي مجرد أمل منشود؟! ولقد وضعت نصب عيني - أول ما شرعت - المقاييس الشخصية والأدبية وسرت على ضوئها في دراسات الكتاب، ولم أفرط بها أيما تفريط في إعطاء كل أديب أو شاعر حقه بما يستحق دون زيادة أو نقصان، ومع ذلك إنني لست ادعى العصمة والكمال فإنهما لله وحده، وإنني واثق من انك قد لمست هذه الحقيقة من خلال مطالعتك لمواضيع الكتاب خاصة إذا كنت ممعنا فيها.

وأما إذا بدا لك شيء خلاف ذلك، أو إذا اكتشفت في بحوثي قصوراً في أمور تمت إلى التحقيق العلمي والاستقصاء الموضوعي بصلة فان ذلك لا

يمش - ول قليلا - بكرامة الكتاب - كما اعتقد - ولا يقلل م قيمة الهدف النبيل الذي استهدفته، أو نزاهة القصد التي التزمت بها من البداية حتى النهاية.

وإنَّ لي من رحابة الصدر ما أتقبل بها منك كل نقد موضوعي بناءً نزيه تقوم به من أودى خاصة في مواضع الخطأ والزلل التي لا يسلم منها حتى فطاحل الكتاب والمؤلفين. وتلك هي سنة التأليف في كل عصر وجيل. وسوف تجدني شاكرًا شعورك الطيب وإيجابيتك التي تجعلني احترم رأيك الصريح، واقدر نظراتك الصائبة، وأجل نقدك الوجيه، مع اعتراف ضمني بالخطأ - (والاعتراف بالخطأ فضيلة).

وأود أن أشير هنا إلى نقطة مهمة تحتل جزءاً كبيراً من كيان الكاتب والكتاب في آن واحد، فكثيراً ما نرى من الكتاب من يتعرضون إلى نقد جارح طابعه التهكم والسخط والازدراء، وهو إلى جانب ذلك خارج على العرف الأدبي وحتى العرف الاجتماعي لما فيه من أساليب ممجوجة بعيدة عن الحق والحقيقة والمنطق الرصين وهدفها إثارة العنعنات والشقاق والبغضاء الخ.

وإننا نعرف البعض من الناقدين الذين يقوم نقدهم دائماً على مثل هذا الأسلوب الفارغ الناطق بجهلهم وأنانيتهم وبخسهم وانتقاصهم حقوق الكاتب والكتاب وتنكرهم للحقائق، وذلك هو الظلم الفظيع.

إنَّ النقد الموضوعي النزيه هو الذي يتصف بشيئين: - الأوَّل إبراز المحاسن والإشادة بها، والثاني - البحث عن مواطن الضعف والخطأ والمؤاخذة عليها.

وأما إذا تجرد النقد من هاتين الصفتين فهو ليس إلا لغو وثرثرة، واللغو
والثرثرة ليسا من الأدب في شيء بل الأدب بعيد عنهما بعد السماء عن
الأرض.

وختاماً: — أرجوا أن ألتقى من الإخوان القراء الأعزاء وجهات نظرهم
الصائبة بـ(الكلمة الطيبة صدقة) و- الدين النصيحة والأدب التقويم.
فأني وإياهم أبناء أدب يؤاخي بيننا ويؤلف بين قلوبنا كما يقول الشاعر
الحكيم: —

إن لم يكن نسب يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد

تقريض قيّم

تفضل علينا الأخ الشاعر علي محمد الحائري بهذا التقريض - مشكوراً -
وكان المفروض أن يأخذ مكانه في صدر الكتاب ولكن لضيق المجال أثبتناه هنا
مع التقدير: -

وسفرٌ حوى الأدب الأملعي
تناهى مؤلفه في كماله
بروضته الشعر حلو اللّغى
فاضفى عليه برود جماله
بأجمل من صدحات الطيور
وأوقع من بلبل في احتفاله
فلله درّك يا (صادق)
وبوّأك الفكر أسمى مجاله
تقصيته في ربوع الطفوف
ورحت تسطر أي رجاله

وما كربلاء سوى هالة
لبدر يدل بيدر مثاله
على ترها من دماء الحسين
نجوم النهى سطع من جلاله
هو السبط وابن امام البراع
علي - تفيأ ساجي ظلاله
كربلاء / علي محمد الحائري

المؤلف في سطور

ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م.

رباه والده الجليل الحاج السيد محمد رضا آل طعمة بتربية دينية سليمة فأحسن تربيته، وهذبه بمكارم الدين والأخلاق، فأتم تهذيبه، وعلمه فنون الخط العربي والفارسي الجميلين بإتقان.

درس القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على أستاذه الأول المرحوم الشيخ محمد (أبي خمرة) السراج الأسدي. ومنه أيضاً اقتبس بعض الفنون في الخط العربي.

درس علم التجويد على العلامة السيد محمد حسن يوسف وعلى أستاذه الورع الحاج محمد حسين الكاتب في كربلاء.

درس العلوم العربية من نحو وصرف وفصولاً من الفقه والتشريع الإسلامي في مدرسة الإمام الخطيب الشيخ محمد رحمه الله ومن أساتذته في هذه المدرسة المرحوم العلامة الشيخ عبد الحسين الدارمي والخطيب الشهير السيد محمد كاظم القزويني وغيرهما وأحياناً (العلامة الخطيب - نفسه).

شبّ وترعرع على مطالعة الكتب الأدبية ودواوين شعراء الجاهلية والشعراء القدامى في الإسلام والمعاصرين، وتأثر بالشريف الرضي وأخيه

المرتضى والمتنبى على الأكثر ثم الجواهري والرصافي وشوقي وحافظ إبراهيم وغيرهم، ولعل دواوين الرضي والمرتضى والمتنبى هي التي أظهرت موهبته الأدبية وملكته الشعرية.

بدأ ينظم الشعر ويكتب المقالات منذ عام ١٩٥٠ لم ينشر منها شيئاً في ذلك الوقت، وترك الشعر لفترة طويلة ثم عاد إليه في عام ١٩٥٨ واستمر في النظم حتى اليوم.

شارك في معظم حفلات كربلاء الدينية والأدبية بخطبه الارتجالية وقصائده الحماسية على الأخص مهرجانات كربلاء السنوية العظمى بمولد الإمام علي عليه السلام وكثيراً ما عهدت إليه فيها وفي غيرها عرافة الحفل، وأول احتفال ديني شارك فيه هو الذي عقدته الهيئة العلوية في كربلاء برئاسة السيد صدر الدين الشهرستاني منذ ١٨ عاماً تقريباً.

استفاد في البداية من تجارب بعض أصدقائه الأدبية الذين لهم قدم في الأدب أمثال: المرحوم العلامة الحويزي الدكتور السيد صالح جواد آل طعمة والسيد مرتضى الوهاب والسيد مرتضى القزويني والسيد الشهرستاني.

تخرج من الدورة التربوية الخاصة برجال الدين عام (٥٩- ١٩٦٠) وما زال حتى اليوم يمتحن التعليم الابتدائي.

وهو خطاط شهير يجيد كتابة الخطوط العربية على الأخص الثلث - والنسخ - والرقع - والديوان - وكذلك الخط الفارسي مع تطبيق قواعدها الفنية بدقة ومهارة وبراعة وذوق سليم خاصة اللوحات الخطية الكبيرة والجدير

بالذكر أن الخط قد ازدهر في كربلاء بواسطته لما بذل في سبيله من جهود لإحيائه منذ ستة عشر عاماً تقريباً.

انتمى بالعضوية إلى جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد في عام ١٩٦٢.

يملك مكتبة خاصة تحتوي على ما يقارب (١٧٠٠) كتاب في مختلف المواضيع ولكنها غير منظمة.

كان عضواً إدارياً أربع سنوات في الجمعية الخيرية الإسلامية وقد استقال منها في عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤.

نشر كثيراً من المقالات والقصائد في مختلف الصحف والمجلات العراقية والعربية المرموقة منها. العرفان اللبنانية - الإيمان - البلاغ - الأقلام - الشؤون الاقتصادية لغرفة تجارة كربلاء ١٩٦٢ - الأسرة - الثقافة الإسلامية - العدل - التضامن الإسلامي - الرائد لنقابة المعلمين فرع كربلاء - رسالة الجمعية الخيرية الإسلامية - صوت المبلغين وكان صاحبها فضيلة الخطيب السيد حسن المصباح - والأخلاق والآداب وغيرها.

وأما الجرائد منها: جريدة الأخبار البغدادية - جريدة المجتمع الكربلائية، وغيرها من المجلات والنشرات التي لا تخطر على البال.

كما أن له مقدمات عديدة لبعض الكتب مثل: ذكرى العلامة الخطيب. لماذا اخترت مذهب الإمامية أو مذهب أهل البيت بدون توقيع. والجزأين السادس والثامن من دواوين الشاعر الشعبي الكبير الشيخ كاظم

المنظور الكربلائي - المنظورات الحسينية ومجلة صوت شباب التوحيد الكربلائية وغيرها من المجالات مع عدد كبير من الأدباء والشعراء داخل العراق وخارجه....

مستقل الفكرة، مستقيم الاتجاه، بعقيدته الإسلامية التي قاوم بها التيارات الحزبية السياسية خاصة صموده بوجه المبدأ الفوضوي الهدام أيام انتشاره وكان مهدداً بالخطر الشديد هو وشقيقه الأكبر السيد مهدي آل طعمة - صاحب المواقف المشهودة في تلك الأيام السود - عام ١٩٥٩ أيام الفوضى.

أما حياته الزوجية فهي العقبة الكأداء في طريق نشاطه الأدبي وهو الذي يقول: الحياة الزوجية كسجن كبير والمتزوج كالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة. ويطبق هذا المثل على شخصه ومن على شاكلته.



المصادر

- ١- الشّعر العراقي الحديث- الدّكتور يوسف عزّ الدين.
- ٢- الوزارات العراقية- عبد الرزّاق الحسيني.
- ٣- ديوان الحويزي القديم- عبد الحسين الحويزي.
- ٤- مدينة الحسين ج/١ - محمد حسن الكلّيدار آل طعمة.
- ٥- مجلّة المرشد م/٤ - السيد هبة الدين الشهرستاني.
- ٦- شعراء الثورة العراقية- خضر العباسي.
- ٧- كربلاء في التاريخ- عبد الرزاق عبد الوهاب آل طعمة.
- ٨- جريدة المجتمع الكربلائية- جاسم الكلّكاوي.
- ٩- مجلّة التّضامن الإسلامي- جمعية التّضامن الإسلامي الناصرية.
- ١٠- رحلة ابن بطّوطة.
- ١١- البيوتات العلويّة- إبراهيم شمس الدّين القزويني.
- ١٢- تاريخ كربلاء والحائز الحسيني- الدكتور عبد الجواد الكلّيدار آل طعمة.

- ١٣- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب.
- ١٤- تحفة الأزهار وزلال الأنهار- ضامن بن شذقم.
- ١٥- نزهة الحرمين في عمارة المشهدين- العلامة حسن الصدر.
- ١٦- العدد ٣٦ الحمرة - عبد الرسول الواعظي - إصدار منابع الثقافة الإسلامية في كربلاء.
- ١٧- التكامل في الإسلام ج/٢ - العلامة أحمد أمين.

آثار المؤلف

المطبوعة

- ١- في ذكرى فقيه الإسلام الخالد الإمام الشيرازي- وهو مجموعة مقالات ألقاها في حفلات تأيينية في النجف وكربلاء على روح فقيه كربلاء آية الله العظمى المرحوم السيد مرزعه مهدي الشيرازي - ١٣٨١هـ .
- ٢- فاجعة عزاء طويريج- بالاشتراك مع الأديب الحاج جاسم الكلگاوي، وقد نفذ فور صدوره لأهميته بحوثه التاريخية ووصفه الدقيق للفاجعة الكبرى التي ذهب ضحيتها ٣٣ شهيداً في موكب عزاء طويريج في ظهر يوم عاشوراء أثناء دخوله وذلك عام ١٣٨٦ - ١٩٦٦م إلى الصحن الحسيني الشريف بهروله المعهودة.
- ٣- الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء الجزء الأول ١٣٨٨ - ١٩٦٨ .

آثاره المخطوطة

- ١_ الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء ج ٢، ج ٣.
- ٢_ شذرات الفكر (مجموعة مقالات منشورة).
- ٣_ من وحي الأدب_ مقالات أدبية.
- ٤_ قبسات من نهضة الحسين عليه السلام .
- ٥_ صفحات مشرقة من تاريخ كربلاء.
- ٦_ معالجات في شؤون نظام العتبات المقدسة.
- ٧_ من أعلام الفكر في كربلاء.
- ٨_ الحركة العلمية الدينية في كربلاء.
- ٩_ هكذا يتطفّلون على الأدب.
- ١٠_ الشّعائر الحسينية في معرض النقد والتوجيه.
- ١١_ نفحات (ديوان شعر). وسيرى النور قريباً بإذن الله تعالى.

المحتويات

٧.....	تقريض
٨.....	تصدير
١٤.....	تقديم
٢٣.....	كلمة
٢٧.....	كلمتي
٤٨.....	شاعر كربلاء الكبير السيد مرتضى الوهاب
١٠٠.....	الدكتور صالح جواد آل طعمة
١٤٧.....	ضياء الدين [أبو الحب]
١٦٩.....	المحامي جعفر عباس الحائري
١٩٣.....	السيد مرتضى القزويني
٢٢٦.....	السيد صدر الدين . الحكيم . الشهرستاني
٢٥٣.....	السيد محمد حسن . الكيلدار . آل طعمة
٢٦٧.....	الحاج جاسم الكلكاوي
٢٨٨.....	مشكور الأسدي
٣١٠.....	حسين فهمي الخزرجي
٣٢٣.....	علي الشيخ محمد الحائري
٣٣٣.....	حميد مجيد هدّو
٣٤١.....	عبد الجبار عبد الحسين خضر
٣٥٠.....	تقريض قيّم